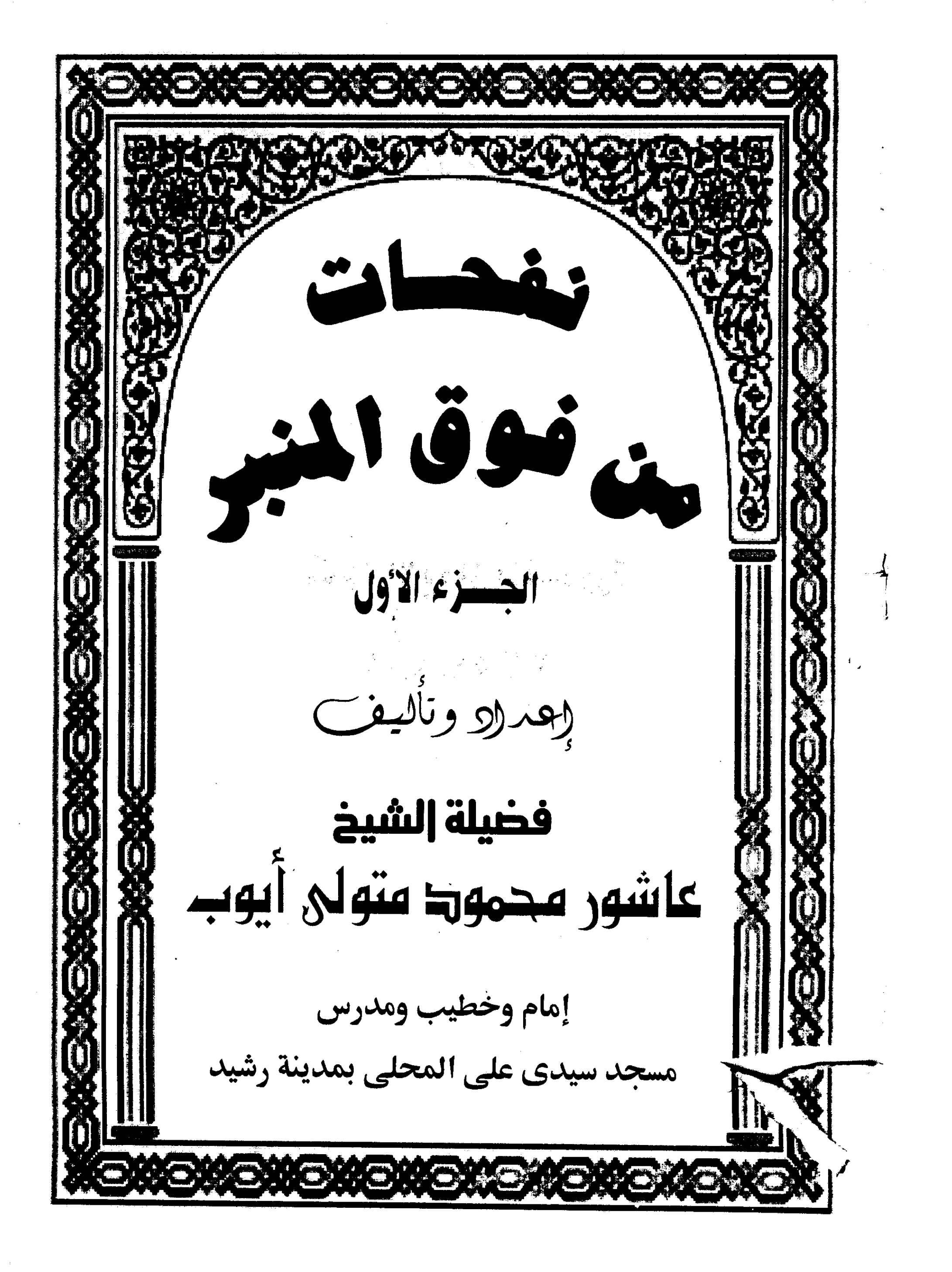


نفحات من فوق المنبر

الجزء الأول

إعداد وتأليف

فضيلة الشيخ
عاشور محمود متولى أيوب

إمام وخطيب ومدرس
مسجد سيدى على المحلى بمدينة رشيد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

الحمد لله الذى أقام على وجوب وحدانيته ووجوده فى كل شىء دليلا وبيّن ذلك لمن تكتب عليه الشقاوة أتم تبيين ، ونصب على قدمه وبقائه وقدرته وإرادته فى كل حادث برهانا يقطع الشبه كفيلا أدركه على البديهة من أهل السعادة كل بليد وفطين . وشهد بعلمه وحياته وسمعه وبصره كل ناطق وصامت ، وأنه لم يزل جليلا فبادت لذلك شبه الملحدين ، وتلاشت حجج المعطلين ، وتعالى عن أن يكون له أحد كفؤا ، فلا شريك له فى فعل من الأفعال ، ولا مثيلا ، فلا يصدر عن أحد قول ولا فعل إلا وهو صادر عن قدرته وإرادته عن يقين ، قدر الخير والشر ونوع أفعال عباده إلى اختيارى وغيره بشهادة العيان لمن لم يكن قلبه عليلا .

وصلاة وسلاما على حبيبه ومصطفاه سيدنا ومولانا محمد الذى لولاه ما خلق الخلق ولا أرسل إليهم رسولا ، فهو أول الأنبياء وخاتمهم ، وهو سيد ولد آدم أجمعين صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الصادقين المتصدقين ، ومن تبعهم من المخلصين والعلماء العاملين :

أما بعد ،

فيا إخوانى فى الله ويا أحبابى فى سيدنا ومولانا رسول الله ، فقد سألنى صفوة الدعاة من أهل العلم أن أُعد مجموعة من الخطب المنبرية النافعة ، حتى تخرج إلى النور بفضل المولى الغفور ، فأجبتهم إلى ذلك فعملت على رغبتهم بكل سرور ، وها هى الخطب بين يديك أخى الداعية تتحدث وتعالج أمورا عصرية .

قد وقع فيها بعض البرية وقد حرصت كل الحرص ما استطعت إلى ذلك سبيلا ، أن لا أضع آية ولا حديثا إلا مخرّجا ولا حكما شرعيا إلا من مصدره الرئيسي حتى يعلم الداعية خاصة والناس عامة ماذا يقرءون ، وقد قمت بحمد الله تبارك وتعالى بوضع باب يتحدث عن كيفية إعداد الخطبة ، ولما كان البعض من الدعاة لاسيما حديث التخرج يقرأ فى بعض الكتب التى تؤدى إلى التشويش ، قمت بوضع قائمة تشتمل على أهم الكتب

والمراجع التى يستطيع الداعية والمرشد أن يأخذ منها وهو مطمئن البال والله المستعان .

ثم ألحقت ذلك ببحث يتضمن " فقه صلاة الجمعة وخطبتيها " . وما يتعلق بهما من شروط وأركان وسنن ومندوبات ومكروهات .

والله المستعان ، أخى الداعية : ها أنا ذا أقدم إليك وبين يديك هذه المجموعة التى هى نفحات من فوق المنبر ، فإن رأيتنى قد وفقت فالرجاء أن لا تنسانى من دعواتك بظاهر الغيب ، وإن وجدت نقصا فأرجو أن تخبرنا به ولا تدخره فى نفسك ، واعلم أن الكمال لله وحده والنقص والخطأ من شيم البشر ، والله يهدينا وإياك إلى سواء السبيل ، ويغفر لنا ولك الهفوات والزلات ، إنه ربى نعم المولى ونعم النصير وبالإجابة جدير وهو حسبنا ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى اللهم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أفقر العباد إلى مولاه

الغني به عمن سواه

عاشور محمود متولى يوسف أيوب

المالكي غفر الله له

"إمام وخطيب ومدرس مسجد سيدى على المحلى بمدينة رشيد"

الخميس ٢٧ من ذى القعدة سنة ١٤٢٣ من هجرة صاحب الشفاعة ﷺ .

الموافق الثلاثين من يناير سنة ٢٠٠٣ من ميلاد سيدنا عيسى المسيح عليه السلام .

ت / ٢٩٦٠٩٦٧ / ٠٤٥ إدفينا - رشيد / بحيرة .

* * * * * * * * * * *

كيف تقوم بإعداد خطبتك

أخي الداعية: نفع الله بك:

اعلم هداني الله وإياك إلى طاعته أن الخطبة المنبرية أمانة ومسئولية ، وليست وظيفة ترتزق منها ، إنما هي رسالة قد حُمِّلنا أمانتها ، رسالة مدحها الله في قوله سبحانه: ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ (١) .

من أجل هذا الفضل العظيم كان علينا أن نرعى تلك المسئولية ونتقى الله فيها ، ولنعلم جيدا أننا مسئولون أمام الله عن كل فرد ندعوه إلى الله عز وجل ، لذا كان علينا أن نهتم بإعداد الخطبة المنبرية إعداد جيدا يرضى الله ورسوله . ومن ثم فقد قمت بوضع عنوان أبين كيفية إعداد الخطبة . أسأل الله أن ينفعنى وإياك به والله المستعان .

فأقول وبالله التوفيق:

تعتبر الخطابة والوعظ والإرشاد رسالة سامية لا تدانيها رسالة ؛ لما فيها من عظيم الخطر وجليل الأثر فى توجيه القلوب إلى الله - عز وجل - وإزاحة حجب الغفلة عنها من وقت لآخر - ولذا أمر الله - تعالى - بالتذكير فقال: ﴿ **وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ (٢) .

والاشتغال بالعلم والوقوف على المنبر ، من أجل أعمال النبوة ، لقول النبى ﷺ: «**العلماء ورثة الأنبياء**» (٣) .

ويقول صلوات ربى وسلامه عليه: «**إن الله سبحانه وأهل سمواته وأرضه ، حتى النملة فى جحرها ليصلون على معلم الناس الخير**» (٤) .

ويقول مولانا رسول الله ﷺ لسيدنا معاذ لما بعثه إلى اليمن: «**لأن يهدي الله بك**

---

(١) سورة فصلت الآية: ٣٣ .

(٢) سورة الذاريات الآية: ٥٥ .

(٣) رواه الترمذى .

(٤) رواه الإمام أبو عيسى الترمذى وقال: حديث حسن صحيح .

رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها» (١) .

وروي عن سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام «من عَلِمَ وعَمِلَ وعلَّمَ فذلك يدعى عظيما فى ملكوت السماوات» (٢) .

ولذا كان من الواجب الأول والأمر المحتم على من يتصدى لهذا العمل الجليل البالغ الأثر فى التوجيه والتثقيف الدينى وجمع الهمم على الخالق الأعظم .

ويتشرف بحمل هذه الأمانة وأداء تلك الرسالة أن يكون مثلا طيبا للمؤمن الصالح التقى ؛ لأن لسان الحال أبلغ من لسان المقال ، " فالأبصار تراقب الظواهر أكثر مما تراقب البصائر البواطن . ولأن الاستقامة مفتاح التوفيق وسبيل الإلهام والله تعالى يقول: ﴿ وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ (٣) لذا كان على الواعظ أن يعظ نفسه قبل أن يعظ الناس حتى يجعل الله فى قوله بركة فينفذ إلى القلوب ويؤثر فى النفوس ، فيؤتى ثماره وفوائده بدلا من أن يتبدد فى الهواء .

ومن ثم فإن هذا الاستعداد استعداد ذاتي يراعيه الخطيب فى شخصه بالتخلية والتحلية : بالتخلية من الصفات المذمومة ، والتحلية بالصفات المحمودة ، والإقبال على طاعة الله بكنه الهمة ، أما الاستعداد الآخر فهو استعداد علمى بتعلم القراءة الصحيحة للقرآن الكريم . ثم الاهتمام باللغة والإلمام بقواعد النحو والصرف حتى لا يتسبب الخطأ فى تفهيم السامع خلاف المعنى ، ويجعل صورة الخطيب مهزوزة فى نظر المتعلمين القادرين على كشف هذه الأخطاء .

وكذا الاهتمام بكثرة الاطلاع على أمهات الكتب والمراجع الدينية الصحيحة وكتب البلاغة ليتأهل بذلك لإعداد خطبة قوية مؤثرة .

* * * * * * * * * * *

---

(١) رواه الإمامان البخارى ومسلم .

(٢) انظر سراج الخطيب ص ٦ .

(٣) سورة البقرة الآية : : ٢٨٢ .

قائمة بأهم الكتب والمراجع

ومنها على سبيل المثال:

١- تفسير الإمام القرطبى .

٢- تفسير الإمام الألوسى المسمى بروح المعانى .

٣- التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلى .

٤- تفسير الشامل للدكتور أمير عبد العزيز .

٥- مختصر تفسير ابن كثير للشيخ / محمد على الصابونى هذا بالنسبة للتفسير .

أما بالنسبة للحديث فهناك ما يلى:

١- موطأ الإمام مالك .

٢- مسند الإمام الشافعى .

٣- مسند الامام أحمد بن حنبل .

٤- صحيح الإمام البخارى .

٥- صحيح الإمام مسلم .

وحبذا لو اقتنيت كتاب زاد المسلم للإمام الشيخ / حبيب الله الشنقيطى .

فقد حوى هذا الكتاب جملة من الأحاديث التى اتفق عليها البخارى ومسلم ، وشرحها شرحا وافيا وضم لهذا الشرح أبحاثا نفيسة ، مسكين من لا يقتنيه ، ويمكنك أيضا أن تقتنى كتاب اللؤلؤ والمرجان فيما اتفقا عليه الشيخان للأستاذ / محمد فؤاد عبد الباقى .

٦- جامع الإمام الترمذى مع شرح الإمام أبو بكر بن العربى المسمى بعارضة الأحوذى .

٧- سنن النسائى ، وأبو داود ، وابن ماجة .

٨- دليل الفالحين شرح رياض الصالحين لابن علان .

٩- شرح الشبرخيتى على الأربعين النووية .

١٠- إيضاح المعانى الخفية فى الكلام على الأربعين النووية .

١١- جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلى بتحقيق الدكتور محمد الأحمدى أبو النور ويقع فى ثلاثة مجلدات فإن اقتنيت المجلد الواحد الموجود بتحقيق آخرين فلا بأس وإن كنت أنصح بالطبعة الأولى بالتحقيق الأول فإنه مفيد .

أما بالنسبة للفقه : فإنى لا أنصح الداعية أن يستعين فى تدريس الفقه وبحث مسائله من كتاب الفقه على المذاهب الأربعة للشيخ عبد الرحمن الجزيرى أو كتاب وزارة الأوقاف ، وإنما أرجو وأتمنى من الداعية أن يرجع إلى كتاب فقه الكتاب والسنة للدكتور أمير عبد العزيز أو كتاب الفقه الإسلامى وأدلته للدكتور وهبة الزحيلى ، وحبذا أن يقتنى كتب المذاهب الأربعة ، وها أنا ذا أضع إليك جانبا منها أولا .

أولاً : الفقه الحنفى :

١- حاشية الطحاوى على مراقى الفلاح .

٢- مجمع الأنهر وملتقى الأبحر .

٣- فتح القدير .

٤- اللباب شرح الكتاب .

٥- حاشية ابن عابدين .

٦- الاختيار وهو مطبوع محقق .

ثانيا : الفقه المالكى :

١- المدونة الكبرى للإمام سحنون بن سعيد عن الإمام عبد الرحمن بن القاسم عن الإمام مالك .

٢- الكافى لابن عبد البر .

٣- أسهل المدارك شرح إرشاد السالك .

٤- الفواكه الدوانى شرح رسالة بن أبى زيد القيراوانى .

٥- سراج السالك شرح أسهل السالك .

٦- الشرح الصغير مع حاشية الصاوى عليه .

ثالثا : الفقه الشافعى :

١- الأم للإمام الربيع نقلا عن الإمام الشافعى .

٢- كفاية الأخيار شرح متن أبو الشجاع .

٣- فتح الوهاب لشيخ الإسلام زكريا الأنصارى .

٤- حاشية البيجورى على شرح ابن قاسم .

٥- منهج الطالبين وعمدة المفتين .

٦- الإقناع مع حاشية البيجرمى عليه .

رابعا : المذهب الحنبلى :

١- المغنى مع الشرح الكبير لابن قدامة .

٢- الكافى فى فقه الإمام أحمد

٣- العدة شرح العمدة .

٤- شرح منظومة الآداب .

٥- الإنصاف فى بيان الراجح من الخلاف على مذهب الإمام / أحمد .

٦- الروض المربع .

كتب أخرى :

١- الميزان لسيدى عبد الوهاب الشعرانى .

٢- بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد .

٣- إحياء علوم الدين للإمام الغزالى حبذا لو كان مع شرحه للزبيدى .

٤- الحقوق الإسلامية للشيخ : عبد الله العفيفى .

٥- وصايا الرسول لطه الغيفى .

٦- من وصايا القرآن للشيخ / محمد بحيرى .

٧- موسوعة أخلاق القرآن للدكتور أحمد الشرباصي .
٨- الموسوعة الشرباصية للشيخ / أحمد الشرباصي .
٩- يسألونك فى الدين والحياة للشيخ / أحمد الشرباصي .
١٠- دعوة الرسل إلى الله / للشيخ العدوى .
١١- النفحات المحمدية للشيخ / محمد مصطفى أبو العلا .
١٢- نفحات من بيوت الله للشيخ / عاشور أيوب .
١٣- سبل الهدى والرشاد المسمى بالسيرة الشامية .
١٤- فقه السيرة للدكتور البوطى .
١٥- نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين للخضرى .
١٦- العواصم من القواصم للإمام أبى بكر بن العربى .
١٧- قصص القرآن للدكتور / حمزة النشرتى .
١٨- حياة الصحابة للإمام الكندهلوى .
١٩- طبقات ابن سعد .
٢٠- تاريخ الملوك والرسل للإمام الطبرى .
٢١- البداية والنهاية لابن كثير .
٢٢- سيرة ابن هشام .
٢٣- رجال حول الرسول ﷺ / لخالد محمد خالد .
٢٤- رجال ونساء أنزل الله فيهم قرآنا للأستاذ / عبد الرحمن عميرة .
٢٥- السلوك الاجتماعية / للشيخ حسن أيوب .
٢٦- قصص الأنبياء / للشيخ حسن أيوب .
٢٧- تبسيط العقيدة الإسلامية / للشيخ حسن أيوب .
٢٨- أسماء الله الحسنى للدكتور / أحمد الشرباصى .

٢٩- اسباب النزول للإمام الواحدى .

٣٠- أسباب النزول للسيوطى .

٣١- الناسخ والمنسوخ لأبى بكر ابن العربى .

إلى غير ذلك من الكتب النفيسة النافعة .

هذا : وعلى الخطيب المخلص أن يراعي ما يلى :

أولا : وحدة الموضوع فإن السامع عندما لا يرى وحدة الموضوع فقد تتشتت أفكاره ، وبالتالى فإنه يخرج من المسجد بعد صلاة الجمعة بلا إفادة من الخطبة ؛ لأنه لم يعلم عن ماذا كان الحديث .

لذا - أهيب بإخوانى الدعاة أن يلتزموا الوحدة الموضوعية لأنها عامل مهم من عوامل نجاح الخطبة .

ثانيا : على الخطيب أن يعمد إلى قضايا عصره ، وذلك لأنه طبيب معالج للأمراض المنتشرة فى عصره فمثلا يتكلم عن الحسد أو عن السحر أو عن الذهاب إلى العرافين والعرافات حتى يقضى على هذه الفوضى ، والتى اندلعت فى عصرنا هذا ، وليت العالم يقوم بجولة كل أسبوع بين شوارع المدينة أو البلدة التى يدعو فيها ، وذلك بصحبة صديق له من أهل البلدة حتى تتبين له أحوال وأخلاق الناس ، وما ينتشر بينهم من عيوب كى يضع لها العلاج من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة ، فلعمرى لو أنكم فعلتم ذلك لكان هذا العمل غاية فى القمة والعظمة ، وهناك أيضا أكلة الميراث والربا وسب الدين والحلف بالطلاق والحق أن الأمر على غير ذلك ، فإن الخطيب يقوم بحفظ خطبة من ديوان أو شريط من الأشرطة التى عمت بها البلوى ، ثم يصعد المنبر ويقرأها على الناس كما سمعها أو قرأها وكأنها مهمة أراد أن يؤديها خوفا من مفتش الدعوة فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ثالثا : أهيب بالإخوة الدعاة أن يعالجوا الأمراض والعيوب المتفشية فى المجتمع بلا تجريح وسب ولعن . فإن إمام السماحة والرحمة سيدنا ومولانا محمد ﷺ كان على خلاف ذلك . وانظروا إلى خطبه وهى مطبوعة فى السوق فإنك ما إذا قرأتها وأمعنت

النظر فيها ؛ لرأيت المصطفى ﷺ ليس بخطيب فحسب ، وإنما ستجده أبا وأستاذا ومربيا وراعيا ورحيما ، وفوق ذلك كله فهو الأمين ، ولكن أين ذلك مما نراه فى عصرنا هذا؟

من اهتمام بعض الخطباء فى خطبهم المنبرية بالحديث عن السياسة وذم الحكام وولاة الأمر بل ربما صرح بأسمائهم أحياء وأمواتا ، وأشهد الله أن هذا العمل هو بعيد كل البعد عن هدي الكتاب والسنة وما موقف مولانا سبحانه وتعالى من فرعون منا ببعيد فأنتم تعلمون أن فرعون لعنه الله تكبر فى الأرض بل إنه ادعى الألوهية ، وليس هناك ذنب بأعظم من هذا الذنب ، ومع ذلك فإن المولى سبحانه وتعالى وصى موسى وهارون بقوله لهما :

﴿ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى * قَالاَ رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى ﴾[1] .

فكان من الممكن أن يأمرهما بسبِّه ولعنه ولكنه سبحانه قال لهما : **﴿ لاَ تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى * فَأْتِيَاهُ فَقُولاَ إِنَّا رَسُولاَ رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلاَمُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴾**[2] هذا ما نطق به نور القرآن وسار على منواله مولانا رسول الله ﷺ فى خطبه ودعوته بقوله ﷺ فى خطبه «**ما بال أقوام يفعلون كذا**» .

وكانت دعوته لمن عاندوه «**اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون**» أين هؤلاء الدعاة من تلك الدعوة الإلهية المحمدية الممتزجة والمتوجه بالرفق واللين والسماحة والرحمة؟ .

وقد خاطب الحق تعالى حبيبه ومصطفاه بقوله : **﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾**[3] .

ويقول له سبحانه : **﴿ ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم**

---

(١) سورة طه الآية : رقم ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ .
(٢) سورة ط الآية ، رقم : ٤٦ ، ٤٧ .
(٣) سورة آل عمران الآية : ١٥٩ .

بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [1] فعلى الداعية المخلص أن يدعو إلى الله ببصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة دون تجريح لأحد ودون التعريض أو التصريح بأسماء لأن هذا مذموم شرعا ويكفيه أن يبين موقف الكتاب والسنة وعلماء الأمة من هذا العيب أو الذنب المنتشر وأن يقوم بوصف الدواء مع طلب الهداية لهم من الله .

رابعا : على الدعاة الهداة أن يتجنبوا فى خطبهم ودروسهم الأحاديث والقصص والحكاية الموضوعة إذ لا فائدة من ذكرها والعهدة عليه لأنه أمين ، ولعمرى لو أنه اطلع على المراجع سالفة الذكر واعتمد عليها فى خطبه ودروسه فإنه لن يقع فى ذلك إن شاء الله تعالى .

والكتب المعتمدة والصحيحة كثيرة بحمد الله تعالى .

كما ننصح كل خطيب بعدم إطالة الخطبة فإن خير الكلام ما قل ودل .

وإن كثرة الكلام يُنسِي بعضه بعضا ، ولا بأس أن تكون الخطبة تتراوح من ثلث ساعة إلى نصف ساعة ، فهذا أفضل بكثير من الإطالة المملة ، وقد يكون فى القوم المريض وذا الحاجة رعاكم الله وسدد على طريق الحق خطاكم ، على أنى أهيب بالداعية أن لا يخطب فى الناس بلا زى أزهرى ويصعد عارى الرأس فهذا مما لاشك فيه عدم اقتناع بزيه الطيب الذى يضفى عليه الوقار والهيبة .

فإنه مما لاشك فيه أنك وأنت تركب القطار فلو جاءك محصِّل القطار وهو يرتدى جلبابا فإنك تأبى أن تدفع له ثمن التذكرة لأنه مجرد من ملابسه الرسمية ، فما بالك بزيك الطيب الجميل ، ثم إن المصلى قد يأتى إلى المسجد وله لديك حاجة من أين يستدل عليك وأنت ترتدى ملابس عادية لا تميزك عن الجمهور من عامة الناس؟ ، فاتق الله ولا تنسى أن من أخذ الأجر حاسبه بالعمل ، وأنت قد سلمتك وزارة الأوقاف الزى وتمنحك بدلا له لتعمل على كيه وتنظيفه والويل ثم الويل لإدارة الأوقاف منك إذا علمت أن اسمك قد مُحِي من بين الذين صرفوا بدل الزي وأنت لا ترتديه ، ألا فلنتق

---

(١) سورة النحل الآية : ١٢٥ .

الله جميعا قبل أن نأمر الناس بالتقوى التي هي السلاح الأقوى . وإلا فأين أنت من قول الله تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾ [1] نعم إن هذه الآية قد نزلت في حق علماء بني إسرائيل ولكن العلماء قد قرروا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . والمولى عز وجل يؤكد على ضرورة موافقة القول للعمل فيقول جل شأنه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ ﴾ [2] .

أخي الداعية : وختاما أرجو منك القدوة الحسنة لتكون نبراسا يضيء طريق النجاة للسالكين . وإني لأضرع إلى الله عز وجل أن يجنبنا وإياك كل ما يغضبه وأن يجعلك قدوة طيبة وأسوة حسنة طيب السيرة كريم الأخلاق ولنضع نصب أعيننا قول مولانا الإمام علي رضي الله عنه : " من نصب نفسه للناس إماما فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليمه لغيره وليكن تعليمه بسيرته قبل تعليمه بلسانه " [3] .

هذا وأسأله سبحانه أن يجعل تلك الكلمات العلوية نبراسا لنا . ﴿ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [4] . ﴿ رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ [5] . ونعوذ بالله عز وجل من مخالفته ومخالفة نبيه سيدنا ومولانا محمد في القول والعمل إنه ربي سميع قريب مجيب الدعاء . وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

والحمد لله رب العالمين

* * * * * * * * * * *

---

(١) سورة البقرة الآية : ٤٤ .

(٢) سورة الصف الآية : ٢ .

(٣) انظر كتاب الخطابة وإعداد الخطيب لفضيلة/ الأستاذ الشيخ : الدكتور عبد الجليل عبده شلبي ص ٤٧ جـ١ ط وزارة الأوقاف .

(٤) سورة البقرة الآية : ٢٨٦ .

(٥) سورة آل عمران الآية : ٨ .

فقه الجمعة وخطبتيها

أيها الأحبة الفضلاء وفى هذه العجالة أقدم إلى حضراتكم فقه الجمعة وخطبتها مقتبسة من المراجع الفقهية سالفة الذكر وغيرها ، مما سنشير إليه من مراجع إن شاء الله . وذلك فى الهوامش وبالله التوفيق .

أولا : ما جاء فى السنة الشريفة عن فضل يوم الجمعة :

فقد ورد أن يوم الجمعة خير أيام الأسبوع . فعن سيدنا أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «**خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم عليه السلام وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها ولا تقوم الساعة إلا فى يوم الجمعة**»[١] .

وعنه ﷺ أنه قال : «**سيد الأيام يوم الجمعة وأعظمها عند الله ، وأعظم عند الله من يوم الفطر ويوم الأضحى وفيه خمس خلال . خلق الله عز وجل فيه آدم عليه السلام ، وأهبط الله تعالى فيه آدم إلى الأرض ، وفيه توفى الله تعالى آدم ، وفيه ساعة لا يسأل العبد فيها شيئا إلا آتاه الله تعالى إياه ، ما لم يسأل حراما وفيه تقوم الساعة ، مامن ملك مقرب ولا سماء ولا أرض ولا رياح ولا جبال ولا بحر إلا وهن يشفقن من يوم الجمعة**»[٢] .

ثانيا : ما يستحب يوم الجمعة وليلتها :

يستحب يوم الجمعة وليلتها أمور نذكرها فيما يلى :

١ - الإكثار من الصلاة على النبى ﷺ ليلة الجمعة ويومها وذلك لقوله ﷺ: «**إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا على من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة على**» قالوا يا رسول الله وكيف تعرض عليك وقد أرمْت (أى بليت)؟ فقال : «**إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**»[٣] .

---

(١) رواه الإمام مسلم وأبو داود وغيرهما وصححه الترمذى .
(٢) رواه الإمام أحمد وابن ماجه ، وقال الإمام العراقى إسناده حسن .
(٣) رواه الخمسة إلا الترمذى .

٢- يستحب للمؤمن أن يقرأ سورة الكهف ليلة الجمعة ويومها ، وذلك لقوله ﷺ **«من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين»** (١) .

٣- يستحب الغسل والتطيب ولبس أجمل الثياب ، وذلك لما روي عن سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ أنه قال : **«على كل مسلم الغسل يوم الجمعة ويلبس من صالح ثيابه وإن كان له طيب مس منه»** (٢) .

٤- يستحب التبكير إلى صلاة الجمعة لغير الإمام ، وذلك لما روي عن سيدنا أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال **«من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة (أى لغسل الجنابة) ثم راح فى الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة ، ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ، ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ، ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ، ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر»** (٣) .

هذا بالنسبة للمأمومين ، أما الإمام فينبغى أن يكون آخر الناس دخولا إلى المسجد فإن كان له مسكن بجوار المسجد أو فوقه أو له استراحة أو خلوة داخل المسجد ، فلا يخرج من مكانه إلا بعد الآذان الأول ، وبعد تنفل الناس لكى يشتاق الناس وتشرئب أعناقهم إليه وهذا من فقه الإمام فأين ذلك مما نراه الآن من جلوس الأئمة والخطباء عند المنبر قبل الظهر بنصف ساعة أو ربع ساعة ، وكأنهم علموا من مصدر موثوق به أن المنبر سوف يسرق ، ولقد كان هدى النبى ﷺ وهو المعلم الأعظم لا يخرج من بيته إلا على منبره ، وقد يقول إمام من الأئمة : إن مسكنى بعيد عن المسجد فماذا أصنع؟ أقول لهؤلاء الأئمة: لا بأس من الحضور فى البلدة التى تعملون فى أحد مساجدها ، ولكن عليكم أن تتجولوا فى داخل البلدة أو تمكثوا عند حبيب من الأحباب وتذهبوا إلى المسجد فى وقت متأخر على الخطبة مباشرة ، على أن يكون مؤذن المسجد أو عامله عالما بوجودكم داخل البلدة تجنبا للقلق والاضطراب ، فليت

---

(١) رواه النسائى والبيهقى والحاكم .

(٢) رواه الأئمة أحمد والبخارى ومسلم .

(٣) رواه الجماعة إلا ابن ماجه .

الأئمة والخطباء يتنبهون لذلك عصمنى الله وإياكم من الخطأ والزلل فى القول والعمل .

هذا ويكره تخطى الرقاب فى المسجد كراهة شديدة لغير الإمام ، أما الإمام فلا يكره له ذلك لأنه يأتى متأخرا وقد يضطر لذلك .

ومما ورد فى السنة من النهي عن تخطي رقاب الناس فى المسجد يوم الجمعة : أن رجلا تخطى رقاب الناس يوم الجمعة ورسول الله ﷺ يخطب فقال له رسول لله ﷺ: «**اجلس فقد آذيت وآنيت**» أي أبطأت وتأخرت [١] .

وعلى ذلك فلا يجوز جمع التبرعات أثناء خطبة الجمعة فتأملوا ذلك حفظنى الله وإياكم من كل سوء .

وجوب صلاة الجمعة ودليل فرضيتها :

صلاة الجمعة ركعتان : فقد روي عن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أنه قال : «**صلاة الجمعة ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم ﷺ**» [٢] .

وهى فرض عين بالإجماع لقوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ** ﴾ [٣] .

ولما روى عنه ﷺ قال : «**الجمعة حق واجب على كل مسلم فى جماعة**» [٤] .

ووجوب الجمعة إنما يكون على غير ذوى الأعذار وهى واجبة على الرجال دون النساء والصبيان ولكنها تصح منهم .

ومن فاتته صلاة الجمعة صلاها ظهرا أربع ركعات بإجماع الأمة ، ولا تجب الجمعة على المسافر وهو مذهب أكثر العلماء ، وقال الزهرى والنخعى : إذا سمع النداء لزمته ، لذلك قيل : يستحب له الجمعة للخروج من الخلاف إذا أمكنه ذلك .

ولا تجب الجمعة على المريض الذى يلحقه بقصد الجمعة مشقة ظاهرة غير

---

(١) رواه أحمد وابو داود .

(٢) رواه أحمد والنسائى وابن ماجه بإسناد حسن .

(٣) سورة الجمعة الآية : ٩ .

(٤) رواه أبو داود .

محتملة ، وقال الإمام أبو حنيفة: لا تجب على الأعمى ولو وجد قائدا ، وأوجبها على الأعمى جمهور العلماء إذا وجد قائدا متبرعا أو بأجرة المثل وهو واجدها .

وإذا اتفق يوم الجمعة ويوم عيد وحضر أهل البلد وأهل القرى ، قال جمهور العلماء: تجب الجمعة على أهل البلد وتسقط عن أهل القرى .

ولا تسقط الجمعة عليهما عند الأحناف .

ومن لزمته الجمعة فلا يجوز أن يصلى الظهر قبل فوات الجمعة لأنه مخاطب بها فإن صلى الظهر قبل فوات الجمعة لا تصح صلاته وبه قال الأئمة الثورى ومالك والشافعى وزفر من الأحناف وأحمد وإسحاق وداود .

وقال أبو حنيفة ، وصاحباه ، وأبو ثور: يجزئه الظهر .

الأعذار المبيحة لترك الجمعة تبيح تركها: سواء كانت قبل زوال الشمس أو حدثت بعده إلا السفر ففيه صور:

١- إذا سافر قبل طلوع فجر الجمعة جاز عند العلماء كافة .

٢- إذا سافر بعد الزوال فإن كان يصلى الجمعة فى طريقه بأن يكون فى طريقه موضع يصلى فيه الجمعة ، ويعلم أنه يدركها فيه جاز له السفر وعليه أن يصليها فيه .

٣- إذا سافر بعد الزوال ولم يخف فوت الرفقة المسافرين فى الحال ، ويتضرر بالتخلف عنهم ، فلا يجوز له السفر عند مالك ، والشافعى ، وأحمد ، وداود ، وقال أبو حنيفة: يجوز له السفر .

٤- أمَّا السفر بين طلوع الفجر والزوال فيجوز عند الحسن ، وابن سيرين ، ومالك وابن المنذر ، وجوّزه عمر بن الخطاب ، والزبير بن العوام وأبو عبيدة رضى الله عنهم ، وهو الصحيح عند الشافعى والأصح عنده التحريم .

ما الحكم إذا تبايع رجلان من أهل فرض الجمعة بعد جلوس الإمام على المنبر وشروع المؤذن فى الأذان؟

حرم البيع على المتبايعين جميعاً ويصح البيع عند أبى حنيفة والشافعى ولا يصح عند أحمد وداود ، ويحرم عليه العقود والصنايع وكل ما فيه تشاغل عن السعى إلى الجمعة .

ويشترط لصحة الجمعة: أن تقام فى أبنية مجتمعة يستوطنها شتاء وصيفاً من تنعقد بهم الجمعة ، سواء فيه البلاد الكبار ذوات الأسواق والقرى الصغار ، وأما أهل الخيام فإن كانوا ينتقلون من موضعهم شتاءً أو صيفاً لم تصرح الجمعة فيها ، وإن كانوا دائمين فيها شتاءً وصيفاً وهى مجتمعة بعضها إلى بعض فقال الإمامان مالك وأبو حنيفة والأصح عند الشافعى: لا تجب عليهم الجمعة ولا تصح منهم ، وقال الإمام أحمد: يجوز إقامتها لأهل المصر فى الصحراء كالعيد .

وأجمع الفقهاء: أنه لابد من عدد لانعقاد الجمعة واختلفوا فى قدره . قال سيدنا عمر بن عبد العزيز لا تصح الجمعة إلا بأربعين بالإمام مِمَّن تلزمهم الجمعة وتصح منهم بأن يكونوا رجالاً بالغين عقلاء أحراراً مستوطنين للقرية أو البلدة التى يصلى فيها الجمعة ، لا يظعنون عنها شتاءً ولا صيفاً إلا سفر حاجة ، وبه قال الأئمة الشافعى وأحمد وإسحاق بن راهويه .

وروي عن عمر بن عبد العزيز أيضاً أنه اشترط خمسين رجلاً .

وقال الإمام ربيعة: تنعقد الجمعة باثنى عشر وهو اختيار طائفة من المالكية ، وقال الأئمة أبو حنيفة والثورى والليث: تنعقد بأربعة أحدهم الإمام .

وقال الإمامان داود والحسن بن صالح: تنعقد باثنين أحدهما الإمام .

وأما الإمام مالك فقال: لا يشترط عدد معين بل يشترط جماعة تسكن قرية ويقع بينهم البيع والشراء ولا يحصل بثلاثة وأربعة ونحوهم .

كما يشترط لصحة الجمعة أن يتقدمها خطبتان ، وسيأتى الكلام عن فقههما بعد الفراغ من الحديث عن فقه أحكام الجمعة .

وأجمع الفقهاء على أن الجمعة لا تصح إلا بجماعة إذ أن الجماعة شرط لصحة

الجمعة .

وأجمعت الأمة على أن الجمعة لا تقضى على صورتها جمعة ولكن من فاتته لزمه الظهر .

وكذلك أجمعوا على أن الجمعة لا تصح إلا فى وقت الظهر ، ولا تجوز قبله وبه قال مالك وأبو حنيفة والشافعى وجمهور العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم ، وخالف الإمام أحمد فقال: تجوز قبل الزوال ، وإذا شرعوا فى صلاة الجمعة فى وقتها ثم خرج الوقت قبل السلام منها فاتت الجمعة ويتمونها ظهرا ، وقال الإمام أبو حنيفة تبطل ويستأنفون الظهر ، وقال الإمام أحمد إن كان صلى منها ركعة أتمها جمعة وإن كان أقل يتمها ظهرا .

وأجمعت الأمة على أن الجمعة ركعتان ، وعلى أنه يسن الجهر منها وتسن القراءة فيها فى الركعة الأولى بعد الفاتحة سورة الجمعة ، وفى الثانية المنافقين وكذلك يستحب أن يقرأ فى الأولى سبح اسم ربك وفى الثانية ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾ .

وكان النبى ﷺ يقرأ بهاتين تارة وبهاتين تارة .

وقال الإمام أبو حنيفة لا مزية لهاتين السورتين ولا لغيرهما والسور كلها سواء فى هذا . . . وقال الإمام مالك: يقرأ فى الأولى " الجمعة " والثانية " هل أتاك حديث الغاشية " .

وهذا ولا ينسى من وجبت عليه الجمعة الحرص على تقليم أظافر وحلق شعر عانته ، ونتف شعر إبطيه ، ولبس أحسن الثياب وأفضلها البيض ، وأرجو منه أن يكون له ثوبا أبيض يصلى فيه الجمعة فقط ، ويوصى أن يكفن به تبركا بالجمعة كما قال الفقهاء ، ولا ينسى الطيب كما أسلفنا إن تيسر له ذلك ، وإذا صلت النساء الجمعة فليس عليهن مس طيب بل يحرم ذلك عليهن ، ولا تطيب المرأة إلا لزوجها فقط داخل بيتها فى حجرة نومها ، فإن خرجت معه خارج بيتها للمسجد أو لحاجة أزالت الطيب أولا حتى لا يشم طيبها أجنبى عنها والله تعالى أعلم .

تتمة: نذكر فيها سنة الجمعة الراتبة .

اعلموا إخوانى أنه لم يثبت عن النبى ﷺ أنه صلى قبل الجمعة سنة راتبة للجمعة ، وعلى ذلك فإن للعبد المسلم أن يصلى قبل الجمعة مما عليه من فرائض أو يصلى نوافل مطلقة لا بنية سنة الجمعة ، وله أيضا أن يصلى تحية المسجد أو سنة الوضوء .

وإليكم ما قاله أهل العلم فى تلك المسألة والله الموفق .

قال الإمام أبو شامة رضى الله عنه : جرت عادة الناس أنهم يصلون بين الأذانين يوم الجمعة متنفلين ركعتين أو أربعا ونحو ذلك إلى خروج الإمام ، وذلك جائز ومباح وليس بمنكر من جهة كونه صلاة ، وإنما المنكر اعتقاد العامة ومعظم المتفقهة أن ذلك سنة للجمعة قبلها كما يصلون السنة قبل الظهر ويصرحون فى نيتهم بأنها سنة الجمعة وكل ذلك بمعزل عن التحقيق ، والجمعة لا سنة لها قبلها لأن المراد من قولنا الصلاة المسنونة أنها منقولة عن رسول الله ﷺ قولا أو فعلا والصلاة قبل الجمعة لما يأت منها شىء عن النبى ﷺ يدل على أنها سنة ولا يقاس فى شرعية الصلوات [1] .

ثم قال : ثم الدليل على صحة ذلك أن النبى ﷺ كان يخرج من بيته يوم الجمعة فيصعد منبره ثم يؤذن المؤذن ، فإذا فرغ أخذ النبى ﷺ فى خطبته ، ولو كان للجمعة سنة قبلها لأمرهم بعد الأذان بصلاة السنة وفعلها هو ﷺ ولم يكن فى زمن النبى ﷺ غير هذا الأذان الذى بين يدى الخطيب ، وعلى ذلك مذهب المالكية إلى الآن (فإن قلت) لعله ﷺ صلى السنة فى بيته بعد زوال الشمس ثم خرج قلت ، لو جرى ذلك لنقله أزواجه رضى الله عنهن ، كما نقلن سائر صلواته ليلا ونهارا ، وحيث لم ينقل شىء من ذلك فالأصل عدمه ودل على أنه لم يقع وأنه غير مشروع ، وإن قلت : فما معنى قول البخارى رحمه الله فى صحيحه (باب الصلاة بعد الجمعة وقبلها) وذكر بالسند إلى ابن عمر رضى الله عنه : «**أن النبى ﷺ كان يصلى قبل الظهر ركعتين وبعدها ركعتين وبعد المغرب ركعتين فى بيته وبعد العشاء ركعتين وكان لا يصلى بعد الجمعة حتى**

(١) انظر كتاب الباعث على إنكار البدع والحوادث ص ٨٣ .

ينصرف فيصلى ركعتين»[١] .

قلت مراده من هذه الترجمة : **أنه هل ورد فى الصلاة قبلها وبعدها شىء؟ ثم ذكر** هذا الحديث لبيان أنه لم يرد إلا بعدها ، **ولم يرد قبلها شىء والدليل على أنه مراده أنه** قال : (باب الصلاة قبل العيد وبعدها) .

وقال أبو المعلّى : سمعت سعيد عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كرّه الصلاة قبل العيد ، وذكر بالسند إلى ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ خرج يوم الفطر فصلى ركعتين لم يصل قبلها ولا بعدها ومعه بلال رضى الله عنه " .

قلت فترجم البخارى للعيد مثل ما ترجم للجمعة ولم يذكر للعيد إلا حديثا دالاً على أنه لا تسوغ الصلاة قبلها ولا بعدها فدل ذلك على أن مراده من الجمعة ما ذكرناه[٢] .

وقد يقول البعض إن للجمعة سنة قبلية مستدلا بما أخرجه ابن حبان وصححه من حديث ابن الزبير أن النبى ﷺ قال : **«ما من صلاة مفروضة إلا وبين يديها ركعتان»** ، ويقول ابن عباس : كان رسول الله ﷺ يصلى قبل الجمعة أربعا ، **لا يفصل فى شىء** أخرجه ابن ماجة ، وبما أخرجه الترمذى من أن عبد الله كان يصلى قبل الجمعة أربعا وبعدها أربعا ما روى عن ابن عمر من التقدم بصلاة أربع ركعات قبل الجمعة ويقول : كان رسول ﷺ يفعل ذلك . **أقول هذه الأدلة لا حجة فيها وذلك .**

أولاً : أن حديث : **«ما من صلاة مفروضة إلا وبين يديها ركعتان»** ، من العام المخصوص بغير الجمعة لما ثبت أنه ﷺ لم يصل بين آذانها وإقامتها .

وثانيا : أن حديث ابن عباس فى سنده بقية بن الوليد مدلس ، ومبشر بن عبيد كذاب منكر الحديث ، وحجاج بن أرطأة مدلس ، **وعطية العوفى متفق على ضعفه** ولذا قال الحافظ فى الفتح : سنده واه وقال النووى فى الخلاصة : **إنه حديث باطل .**

ثالثا : أن أثر ابن مسعود يحمل على النفل المطلق قبل دخول وقت الجمعة .

---

(١) انظر فتح البارى ج٢ ص ٢٩٠ .

(٢) انظر الباعث ص ٨٥ ، وتمام البحث ص ٣٤٤ ، وانظر إشهاد الخلق إلى دين الحق للإمام السبكى ج٤ ، ص ٣٥٤ .

رابعا: أن ما نسبه الكاتب إلى ابن عمر من التقدم بصلاة أربع ركعات قبل الجمعة لم يثبت بهذا اللفظ بل الثابت عن نافع قال: كان ابن عمر يطيل الصلاة قبل الجمعة ويصلى بعدها ركعتين فى بيته ويحدث أن رسول الله ﷺ كان يفعل ذلك ، أخرجه أبو داود والمراد أنه كان يطيل الصلاة قبل الجمعة قبل الزوال لا بعده ؛ لما ثبت أنه ﷺ ما كان يصلى بعد الزوال وقبل الخطبة شيئا ، ولقول ابن المنذر روينا أن ابن عمر كان يصلى قبل الجمعة اثنتى عشرة ركعة ، ولم يقل أحد إن سنة الجمعة القبلية ثنتا عشرة ركعة ، ويحتمل أن اسم الإشارة فى قوله: كان رسول الله ﷺ يفعل ذلك عائد إلى صلاة الركعتين بعد الجمعة فى بيته ، فقد قال عبد الله بن دينار: كان ابن عمر إذا انصرف من الجمعة انصرف إلى منزله فسجد سجدتين ، وذكر أن رسول الله ﷺ كان يفعل ذلك ، أخرجه أحمد ومسلم والأربعة .

وقياس الكاتب الجمعة على الظهر قياس فى مقابلة النص فلا يعول عليه .
وقوله: وما المانع أن يكون صلاها فى بيته قبل أن يخرج على أصحابه ؟

نقول: المانع أنه لم ينقل إلينا فإنه لو كان كذلك لنقله أزواجه كما نقلن سائر صلواته فى بيته ليلا ونهارا ، وحيث لم ينقل أنه صلى راتبة قبلية للجمعة فهي غير ثابتة ، قال الإمام أبو شامة الشافعى فى كتابه الباعث: جرت عادة الناس أنهم يصلون بعد الأذان يوم الجمعة متنفلين . بركعتين أو أربع وذلك جائز ومباح من جهة كونه صلاة ، وإنما المنكر اعتقاد العامة ومعظم المتفقهة أن ذلك سنة للجمعة قبلها كما يصلون السنة قبل الظهر وكل ذلك بمعزل عن التحقيق . والجمعة لا سنة لها قبلها لأن المراد من الصلاة المسنونة أنها منقولة عن رسول الله ﷺ قولاً وفعلاً ، والصلاة قبل الجمعة لم يأت فيها شيء عن سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ يدل على أنها سنة ، ولا يجوز القياس فى شرعية الصلوات ثم الدليل على ذلك أن سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ كان يخرج من بيته يوم الجمعة فيصعد منبره ثم يؤذن المؤذن فإذا فرغ أخذ سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ فى خطبته ولو كان للجمعة سنة قبلها لأمرهم بعد الأذان بصلاة السنة وفعلها هو ﷺ ولم يكن فى زمنه غير هذا الأذان .

أيها الأحباب: تلكم هى كلمات جعلناها ردا على من فهم الحجيّة من الأدلة

سالفة الذكر على أن هناك سنة قبلية للجمعة ، وبالتالى فهى رد أيضاً على ما كتب فى مجلة إسلامية ذكر فيها الكاتب أن للجمعة سنة قبلية ، وقد مر بك أخى الداعية الكريم كلام الإمام أبو شامة وهو من فقهاء الشافعية فتأمل حفظنى الله وإياك .

ويقول الإمام الحافظ العراقى رحمه الله لم ينقل عن النبى ﷺ أنه كان يصلى قبل الجمعة لأنه كان يخرج إليها ، فيؤذن بين يديه ثم يخطب [1] .

وختاما أقول أرجو أن لا يفهم كلامى ، ونقلى لكلام أهل العلم فى هذه المسألة أن الصلاة قبل الجمعة وبعد الأذان الأول حرام أو مكروه بل إن ذلك جائز وقد صرحنا بذلك فى أول حديثنا عن تلك المسألة ، وإنما الذى أردنا الانتباه إليه أن لا نعتقد أن هاتين الركعتين سنة للجمعة كما يقول بعض المذيعين فى إذاعات جمهورية مصر العربية ، وهو ينقل صلاة الجمعة نراه يقول بعد الآذان الأول " وأرى الإخوة المصلين قد فرغوا من ركعتى السنة " أرجو أن يتنبه الجميع لما قلناه ونقلناه من كلام أهل العلم وإنما يقال وقد فرغوا من نوافلهم أو من صلاتهم لأنه كما قلنا لا مانع من صلاة نوافل مطلقة أو تحية المسجد أو سنة الوضوء أو يصلى مما عليه من فرائض " والله يقول الحق وهو يهدى السبيل " .

مسألة حكم قراءة سورة السجدة فى فجر يوم الجمعة :

أخى الداعية وهذه المسألة لا تقل أهمية عن سابقتها فإن بعض المساجد اعتادوا أن يقرأ فيهم يوم الجمعة فجرا لسورة السجدة فى الركعة الأولى ، والويل ثم الويل من المصلين لكل إمام لم يقرأ سورة السجدة وكأنها ركن من أركان الصلاة ، ورأيت ذلك بنفسى فى مسجد سيدى على المحلى برشيد ، حيث أعمل به إماما وخطيبا ، وأفهمت الناس ثم علمتهم أن يقرأوها جمعة ويتركوها أخرى مراعاة لقول من قال باستحبابها أو سنيتها ومراعاة لمن قال بتعمد قراءتها كما ستقف عليه إن شاء الله ، وكم أتمنى من أعماق قلبى أن تجد تلك المسألة وأمثالها عناية من السادة الدعاة الهداة ، والله ولى التوفيق .

---

١ - انظر فتح البارى جـ٢ ص ٤٣١ وانظر نيل الأوطار جـ٣ ص ٢١٦ . وانظر كتاب الجمعة للإمام النسائى ص ٧٤ .

أخي الداعية ، إن الوارد في الأحاديث النبوية أنه ﷺ كان يقرأ في فجر يوم الجمعة بسورتي "السجدة ، والإنسان" .

ولكن ليس المراد من ذلك أن تسجد في سورة السجدة ، فإن يوم الجمعة لا يختص بسجدة زائدة ، ولكن السجدة تأتي داخل السورة فتسجد لوجودها أما المراد من قراءتهما في يوم الجمعة " العظة والتذكرة ؛ لما فيهما من حديث عن يوم القيامة ، وخلق سيدنا آدم عليه السلام ، وجزاء أهل الجنة الأبرار ، وعذاب أهل النار الأشرار ومن ثم فقد نقل عن الإمام أحمد أنه قال [١] : "ولا أحب أن يداوم عليها لئلا يظن الناس أنها مفضلة بسجدة " .

ويقول الإمام أبو شامة الشافعي : والعجب من مواظبة أكثر أئمة المساجد على قراءة السجدة في صبح كل يوم جمعة ، ولا تكاد ترى أحد من الخطباء في هذه البلاد ، يقرأ سورة " ق " في خطبة يوم الجمعة .

مع أنه قد روي عن أم هشام بنت الحارث قالت [٢] : ما أخذت ﴿ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴾ إلا عن لسان رسول الله ﷺ يقرأها كل جمعة على المنبر إذا خطب الناس" [٣] .

هذا والمتأمل في باب سجود التلاوة في كتب فقه الأئمة الأربعة يجد أن الإمام الشافعي وأحمد في رواية ، وابن حبيب من المالكية قالوا بسنية أو استحباب قراءتها في فجر الجمعة ، وأن الإمامين أبو حنيفة ومالك كرهوا تعمد قراءتها .

أما إذا جاءت بطبيعتها دون قصد لقراءتها أو كان يقرأ الخاتمة مرتبة فلا كراهة . فأين بيان الأئمة الدعاة لتلك المسألة ؟ علينا أن نتقي الله في المصلين وأن نهتم بتدريس الفقه لهم ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل " .

* * * * * * * * * *

---

(١) انظر كتاب الجمعة للنسائي ص ١٣ .

(٢) رواه مسلم في صحيحه .

(٣) انظر الباعث في إنكار البدع والحوادث ص ٥١

فقه خطبتى الجمعة

حكمها : وهى شرط لصحة صلاة الجمعة [١] .

اتفق الفقهاء على أن الخطبتين شرط فى انعقاد الجمعة إلا الحنفية فإنهم يرون الشرط خطبة واحدة ولسن خطبتان: ودليل الجمهور فعله ﷺ [٢] مع قوله: «**صلوا كما رأيتمونى أصلى**» .

ولأن الخطبتين أقيمتا مقام الركعتين كل خطبة مكان ركعة ، فالإخلال بأحدهما كالإخلال بإحدى الركعتين [٣] .

واستدل فقهاء الحنفية بحديث جابر بن سمرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ «**كان يخطب قائما خطبة واحدة فلما أسن جعلها خطبتين يجلس بينهما جلسة**» [٤] .

ومن النظرة فى الأدلة نرى أن أدلة الجمهور أقوى وأرجح ، ويؤيد هذا ما ورد فى كتاب الآثار للإمام محمد بن الحسن الشيبانى أحد تلاميذ الإمام أبو حنيفة " عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن رجلا سأله عن الخطبة يوم الجمعة فقال: أما تقرأ سورة الجمعة ؟ قال: بلى ، ولكنى لا أدرى كيف هى؟ قال: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ﴾ (الجمعة: ١١) ، فالخطبة قائما يوم الجمعة قال محمد: وبه نأخذ إلا أنها خطبتان بينهما جلسة خفيفة وهو قول الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى .

أركانها : اختلف الفقهاء فى أركان خطبة الجمعة .

فذهب الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان رضى الله عنه إلى أن ركن الخطبة تحميدة أو تهليلة أو تسبيحة لأن المأمور به فى آية:

---

(١) انظر كتب الفقه الحنفى - ابن عابدين ط١ ص ٥٤٤ والفقه المالكى التاج والإكليل جـ ٢ ص ١٥٨ ونهاية المحتاج جـ ٢ ص ٢٩٩ فقه شافعى .

(٢) متفق عليه .

(٣) انظر كتاب بحوث فقهية معاصرة للدكتور محمد عبد الغفار الشريف ط١ ، ص٣١١

(٤) انظر المبسوط جـ ٢ ، ص ٢٩ وشرح العناية ج٢ ص ٥٨ ، ولم أجده فى شىء من كتب الحديث المعتمدة .

﴿ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [(١)] مطلق الذكر الشامل للقليل والكثير والمأثور عنه ﷺ لا يكون بيانا لعدم الإجمال فى لفظ الذكر .

وقال القاضى أبو يوسف ومحمد بن الحسن الشيبانى صاحبى أبو حنيفة : لابد أن يأتى بكلام يسمى خطبة فى العرف ، ودليلهما أن المشروط هو الخطبة ، والخطبة المتعارف عليها اسم لما يشتمل على تحميد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله ﷺ والدعاء للمسلمين ، والوعظ والتذكير لهم فينصرف المطلق إلى المتعارف [(٢)] .

أما السادة المالكية فيرون : أن ركنها أقل ما يسمى خطبة عند العرب ولو سجعتين نحو : اتقوا الله فيما أمر وانتهوا عما نهى عنه وزجر فإن سبح وهلل أو كبر لم يجزه .

وجزم الإمام القاضى أبو بكر وابن العربى أن أقلها حمد الله والصلاة على نبيه ﷺ وتحذير وتبشير ويقرأ شيئا من القرآن [(٣)] .

وذهب الإمام الشافعى أن لها خمسة أركان هى :

١- حمد الله ويتعين لفظ الله وحمده .

٢- الصلاة على النبى ﷺ ويتعين صيغة الصلاة وذكر النبى ﷺ باسمه أو بصفته فلا يكفى صلى الله عليه وسلم .

٣- الوصية بالتقوى ولا يتعين لفظها .

٤- الدعاء للمؤمنين فى الثانية .

٥- قراءة آية مفهمة - ولو فى إحداهما - فلا يكفى بنحو " ثم نظر " لعدم إفهامها ولا بمنسوخ التلاوة وليس جعلها فى الأولى واستدلوا بفعل النبى ﷺ [(٤)] .

---

(١) سورة الجمعة من الآية : ٩

(٢) انظر فقه الحنفية / البدائع ج١ ص ٢٦٢ وانظر ابن عابدين ج١ ، ص ٥٤٣ .

(٣) انظر فقه السادة المالكية ، القوانين الفقهية ص ٩٦ وانظر الحطاب ج٢ ص ١٦٥ وانظر الشرح الصغير ج١ ص٦٨٥ .

(٤) انظر فقه السادة الشافعية / نهاية المحتاج ج٢ ص ٣٠٠ وانظر أسنى المطالب ج١ ص ٢٥٦ .

أما أركانها عند الحنابلة فأربعة للاتباع وهى:

١- حمد الله تعالى بلفظ الحمد .

٢- الصلاة على رسول الله ﷺ بلفظ الصلاة .

٣- الموعظة وهى المقصد من الخطبة ، فلا يجوز الإخلال بها .

٤- قراءة آية كاملة .

وزاد بعض الحنابلة ركنين آخرين [١]:

١- الموالاة بين الخطبتين وبينهما وبين الصلاة فلا يفصل بين أجزاء الخطبتين ، ولا بين إحداهما وبين الأخرى ، ولا بين الخطبتين وبين الصلاة .

٢- الجهر بحيث يسمع العدد المعتبر للجمعة حيث لا مانع وعدهما الآخرون فى الشروط وهو الأليق كما يعرف من الفرق بين الركن والشرط فى الأصول[٢] .

قلت: والذى يظهر لى فى المسألة - والله أعلم - هو رجحان مذهب سيدنا ومولانا الإمام مالك ومن وافقه من السادة الأئمة وهو الاكتفاء بما يسمى خطبة عند العرب ، ويوافقه قول الصاحبين من الحنفية ، واختاره جمع من المحققين كابن المنذر[٣] من الشافعية والإمام ابن عبد البر [٤] ومحمد بن على الشوكانى [٥] وذكر احتماله ابن قدامة [٦] .

يقول الإمام ابن المنذر: فأما ما قال النعمان يعنى أبا حنيفة فلا معنى له ولا أعلم أحداً سبقه إليه وغير معروف عند أهل المعرفة باللغة بأن يقال لمن قال: سبحان الله قد

---

(١) انظر فقه السادة الحنابلة ، الكافى فى فقه الإمام أحمد ج١ ص ٢٢٠ وكشاف القناع ج٢ ، ص ٣٢ ونيل المآرب ج١ ص ١٩٨ .

(٢) انظر المجموع للعلائى ج١ ، ص ٢٣٤ ، ٢٥٤ وانظر التعريفات ص ١١٧ ، ص ١٣١ .

(٣) انظر الأوسط ج٤ ص ٦٢ .

(٤) انظر التمهيد شرح الموطأ ج٢ ص ١٦٦ .

(٥) انظر السيل الجرار ج١ ص ٢٩٩ .

(٦) انظر المغنى ج٢ ص ١٥٣ .

خطب ، وأما الذى قال الشافعى فلست أجد دلالة توجب ما قال .[1] أهـ من الأوسط باختصار وقال الإمام ابن قدامة : "ويحتمل أن لا يجب شيء سوى حمد الله والموعظة ؛ لأن ذلك يسمى خطبة ويحصل به المقصود فأجزأ وما عداه ليس على اشتراطه دليل .

ولا يجب أن يخطب على صفة خطبة النبى ﷺ بالاتفاق لأنه قد روي أنه كان يقرأ آيات كذلك[2] .

تلكم هى أركان الخطبة مفصّلة كما نطقت بها كتب أهل العلم المشار إليها وكما ترون من كلام المحققين استظهار ما صدر به الفقه المالكى ومن وافقه ، ثم نأتى بفضل الله تعالى لبيان شروط خطبتى الجمعة مفصّلة حسب ما جاء فى كتب الفقه وبالله التوفيق .

شروط الخطبة :

اتفق السادة على بعض الشروط لصحة الخطبة وهى :

١ - أن تقع فى وقت الجمعة .

ووقتها عند الجمهور هو وقت الظهر ، يبدأ من بعد الزوال إلى دخول وقت العصر للأخبار فى ذلك وجريان العمل عليه .

ومن الأخبار التى استدلوا بها :

ما روى عن سيدنا أنس بن مالك : **«أن رسول الله ﷺ كان يصلى حين تميل الشمس»**[3] .

وأورده الإمام ابن عبد البر بلفظ : **«أن النبى ﷺ كان يصلى الجمعة عند الزوال»**[4] .

أما السادة الحنابلة - فى المعتمد عندهم أن وقتها يبدأ من أول وقت العيد وهو

---

(١) انظر الأوسط ج٤ ، ص٦٢ .

(٢) انظر المغنى ج٢ ، ص ١٥٣ .

(٣) رواه البخارى انظر الهداية ج٣ ص ٢٦٤

(٤) انظر الاستذكار لشيخ الإسلام ابن عبد البر ج١ ص ٧٦ .

بعد ارتفاع الشمس بمقدار رمح [١] .

والمعتمد ما عليه جمهور الفقهاء

٢- أن تكون قبل الصلاة [٢] .

فلو خطب بعدها أعاد الصلاة - فقط - إن قرب وإلا استأنفها لأن من شروطها وصل الصلاة بها [٣] .

٣- حضور جماعة تنعقد بهم [٤] .

واختلفوا فى العدد الذى تصح بهم :

فذهب الحنفية إلى أنه يكفى حضور واحد من أهلها سوى الإمام على الصحيح [٥] أما الإمام مالك فلا حد عنده للعدد كما أسلفنا واختار طائفة من أصحابه حضور اثنى عشر من أهلها فإن لم يحضروهما من أولهما أى الخطبتين لم يكتف بذلك لأنهما منزلتان منزلة ركعتين من الظهر [٦] .

وذهب الشافعية والحنابلة إلى وجوب أربعين من أهلها وجوبها .

فلو حضر العدد ، ثم انقضوا كلهم أو بعضهم ، وبقى دون الأربعين فإن انقضوا قبل افتتاح الخطبة لم يبتدأ بها حتى يجتمع أربعون ، وإن كان فى أثنائها فإن الركن المأتى به فى غيبتهم غير محسوب ، فإن عادوا قبل طول الفصل بنى على الخطبة وبعد طوله يستأنفها لفوات شرطها الموالاة [٧]

هذا هو المعتمد من أقوال الأئمة الأربعة .

---

(١) انظر المغنى ج٢ ص ١٤٣ ، كشاف القناع ج ٢ ، ص ٣٢ ، والفروع ج٢ ص ٩٦ .
(٢) انظر ابن عابدين ج ٢ ص ٥٤٣ وانظر البناية ج٢ ص ٨١٠ والدسوقى ج١ ص ٣٧٨ الشرح الصغير ج١ ص ٦٨٦ وأسنى المطالب ج١ ص ٢٥٦ ونهاية المحتاج ج٢ ص ٣٠٤ وكشاف القناع ج٢ ص ٣٢ ونيل المآرب ج١ ص ١٩٧ .
(٣) انظر الدسوقى ج١ ص ٣٧٨
(٤) انظر المراجع السابقة .
(٥) انظر حاشية الطحاوى على مراقى الفلاح ص ٣٣٠ .
(٦) انظر مواهب الجليل لسيدى محمد الحطاب ج٢ ص ١٦١ .
(٧) انظر الروضة ج٢ ص ٧ وانظر كشاف القناع ج٢ ص ٣٢

٤- رفع الصوت لها - بحيث يسمع العدد المعتبر ما إن يعرض مانع [١] واختلفوا فى وجوب الإنصات على المصلين ، فذهب الجمهور أنه واجب وأنه يحرم الكلام إلا للخطيب أو لمن يكلمه الخطيب ، وكذا لتحذير إنسان من مهلكة [٢] ودليلهم قوله تعالى ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا ﴾ [٣] وقوله ﷺ: «**إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة: أنصت والإمام يخطب فقد لغوت**» [٤] . وهذا هو المعتمد ، وقالت الشافعية لا يجب الإنصات ولا يحرم الكلام وهذا هو المذهب الجديد .

٥- وقوع الخطبة حضرا (غير سفر) لأن الجمعة لا تجب على المسافر .

٦- الموالاة بين أركان الخطبة ، وبين الخطبتين ، وبينهما وبين الصلاة ويغتفر الفصل اليسير وهذا ما عليه جمهور الفقهاء .

أما الحنفية فيشترطون أن لا يفصل بين الخطبة والصلاة بأكل وعمل قاطع كما إذا جامع ثم اغتسل ، أما إذا لم يكن قاطعاً كما إذا تذكر فائته وهو فى الجمعة فاشتغل بالقضاء ، أو أفسد الجمعة فاحتاج إلى إعادتها ، أو افتتح التطوع بعد الخطبة لا تبطل الخطبة بذلك ؛ لأنه ليس بعمل قاطع ولكن الأولى إعادتها ، وإن تعمد ذلك يصير مسيئاً [٥] ، تلكم هى الشروط المجمع على اشتراطها بيد أن هناك شروطاً أخرى اختلف فيها الفقهاء وها نحن بفضل الله تعالى نذكرها وبالله تعالى التوفيق .

الشروط المختلف فيها عند الفقهاء:

١- كونها بالعربية تعبدا للاتباع ولو كان الجماعة لا يعرفون العربية هذا ما ذهب إليه الجمهور .

خلافا للحنفية القائلين بجوازها بغير العربية كما فى الصلاة ، ولو كان الخطيب

---

(١) انظر حاشية الطحاوى ص ٣٣٠ ، وابن عابدين ج١ ص ٥٤٣ ، والدسوقى ج١ ص ٣٧٨ ، الشرح الصغير ج١ ص ٦٨٦ ونهاية المحتاج ج٢ ص ٣٠٤ وأسنى المطالب ج١ ص ٢٥٧ وكشاف القناع ج٢ ص ٣٢ ، ونيل المآرب ج١ ص١٩٩ .

(٢) انظر بدائع الصنائع ج١ ص ٢٦٣ وابن عابدين ج٢ ص ٣٦٦ والدسوقى ج١ ص ٣٨٧ وكشاف القناع ج٢ ص ٤٧ .

(٣) سورة الأعراف الآية : ٢٠٤ .

(٤) متفق عليه .

(٥) راجع البحوث الفقهية ج١ ، ص ٣٣٩ .

عارفا بالعربية ولاشك أن قول الجمهور هو الراجح إن شاء الله تعالى .

وبه قال القاضى أبو يوسف ، والإمام محمد بن الحسن صاحبا أبا حنيفة ، وقالت السادة المالكية أنه عند العجز عن الإتيان بالخطبة بلسان عربى (حينئذ لا تلزمهم الجمعة) كما اشترط السادة المالكية أن يكون الخطيب عارفا ما يقول ، فلا يكفى أعجمى لقن من غير فهم على الظاهر [١] .

وقالت السادة الشافعية " وعند عدم وجود خطيب عربى يجب أن يتعلم كل واحد منهم الخطبة العربية كالعاجز عن التكبير بالعربية ، فإن مضت مدة إمكان التعلم ولم يفعلوا عصوا كلهم ولا جمعة لهم وإن لم يكن تعلمها خطب واحد بلغته وإن لم يعرفها القوم فإن لم يحسن أحد منهم الترجمة فلا جمعة لهم لانتقاء شروطها [٢] - وقال الحنابلة : تصح الخطبة بغير العربية مع العجز عنها بالعربية ؛ لأن المقصود بها الوعظ والتذكير وحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله بخلاف لفظ القرآن فإنه دليل النبوة وعلامة الرسالة ولا يحصل بالعجمية [٣] .

٢- النية : اشترط الحنفية والحنابلة النية لصحة الخطبة لقوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات**» [٤] فلو حمد الله لعطاسه أو تعجبا أو صعد المنبر فخطب بلا نية لا تصح [٥] وهى سنة عند الشافعية فى المعتمد - من مذهبهم ولكن يشترط عدم الصارف [٦] .

٣- القيام مع القدرة وهو شرط عند الشافعية [٧] وأكثر المالكية [٨] للاتباع .

قال العلامة أبو البركات سيدى أحمد الدردير والأظهر أنه واجب غير شرط فإن

---

(١) انظر حاشية ابن عابدين ج١ ص ٥٤٣ ، والدسوقى ج١ ص ٣٧٨ والشرح الصغير ج١ ص٦٨٦ .
(٢) انظر نهاية المحتاج ج١ ص ٣٠٥ والروضة ج٢ ص ٢٦
(٣) انظر كشاف القناع ج٢ ص ٤٣
(٤) متفق عليه .
(٥) انظر حاشية الطحاوى ص ٣٣٠ وكشاف القناع ج٢ ص ٣٣
(٦) انظر أسنى المطالب ج١ ص ٢٥٩ .
(٧) انظر أسنى المطالب ج١ ص ٢٥٧
(٨) انظر الدسوقى فى الشرح الكبير للدردير ج١ ص ٣٧٩ .

جلس أثم وصحت ، وهو سنة عند الحنفية [١] والحنابلة [٢] فلو قعد فيهما أو فى إحداهما أجزأ وكره من غير عذر .

٤- الجلوس بين الخطبتين مطمئنا فيه :

وهو شرط عند الشافعية للاتباع سنة عند الجمهور وهو المعتمد [٣] .

٥- الطهارة من الحدث والخبث غير المعفو عنه فى الثوب والبدن والمكان وهى شرط عند الشافعية [٤] كما فى الصلاة وسنة عند الجمهور [٥] ولكن يكره تركها لجريان العمل على ذلك .

٦- ستر العورة : شرط عند الشافعية للاتباع كما فى الصلاة سنة عند الجمهور . وهو الراجح .

٧- المسجد الجامع : وهو شرط عند المالكية فلا تصح فى البيوت ولا فى براح من الأرض ولا فى خان ولا رحبة دار .

٨- أن يكون الخطيب ممن تصح إمامته فى الجمعة .

وهذا الشرط لم يذكره إلا الحنابلة وحدهم ، والله أعلم .

تلكم هى الشروط التى اختلف فيها الفقهاء وبالله التوفيق .

سنن الخطبة :

تنقسم هذه السنن إلى سنن متفق عليها وأخرى مختلف فيها أما السنن المتفق عليها وهى :

١- أن يكون الخطيب على منبر لإلقاء الخطبة إتباعا للسنة ويستحب أن يكون المنبر على يمين المحراب للاتباع ، فإن لم يتيسر المنبر فعلى موضع مرتفع لأنه أبلغ فى الإعلام [٦] .

---

(١) انظر البدائع ج١ ، ص ٢٦٣ .

(٢) انظر المغنى ج٢ ، ص ١٥٠ .

(٣) انظر المراجع السابقة .

(٤) انظر أسنى المطالب ج١ ص ٢٥٧ .

(٥) انظر الشرح الصغير ج١ ص ٧٠٤ والطحاوى ص ٣٣٣ والمغنى ج٢ ص ١٥٤ .

(٦) انظر الفتاوى الهندية ج١ ص ١٤٧ وجواهر الإكليل شرح مختصر سيدى خليل ج١ ص ٩٦ وانظر المجموع

٢- الجلوس على المنبر قبل الشروع فى الخطبة عملاً بالسنة [١] .

٣- استقبال القوم بوجهه ويستحب للقوم الإقبال بوجوههم على الخطيب .

٤- الأذان بين يدى الخطيب إذا جلس على المنبر [٢] . **وأما الأذان الأول فقد سنه** سيدنا عثمان وقد اتفق الفقهاء على سنيته **ولا ينكره إلا جاهل .**

٥- رفع الصوت بالخطبة زيادة على الجهر الواجب لأنه أبلغ فى الإعلام [٣] ، وعن جابر رضى الله عنه قال : «**كان رسول الله إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم**» [٤] .

٦- تقصير الخطبتين وكون الثانية أقصر من الأولى لقوله ﷺ: «**إن طول صلاة الرجل ، وقصر خطبته فى فقهه فأطيلوا الصلاة وقصروا الخطبة**» [٥] .

وبهذه المناسبة أهيب بالأئمة والخطباء والوعاظ أن لا يطيلوا بالناس فى خطبهم فإن البعض منهم يستغرق الساعة فى خطبته ، ونسي هؤلاء أن من المصلين ذوى الأمراض ، ومنهم من هو على سفر ولعمرى لو أنه خطب بهم نصف ساعة أو ثلث ساعة وكانت الخطبة مُنمقة ومركزة يفهمها الناس ويفقهونها **أفضل من ساعة إلا ربع لا** يفهم منها أى شيء ، فإن ما قل ودل خير مما كثر وألهى ، وإن كثرة الكلام ينسى بعضه بعضا .

وبعض الأئمة لا يؤدى درساً من دروس المساء المكلف بإلقائها ، ولا يذهب إلا الجمعة ويخطب فى الناس ساعة فأكثر ظناً منه أن طول الخطبة مُكفر لإهماله طول الأسبوع كلا أين التفسير والحديث والفقه والسيرة والأخلاق؟ وأين درس الراحة الذى يتقاضى عليه الأجر ؟ ولعمرى إن من أخذ الأجر حاسبه الله بالعمل ، إن طول الخطبة

للنووى ج٤ ص ٥٢٧ والمغنى لابن قدامة ج٢ ص ١٤٤ والقوانين الفقهية ص ٥٦ .

(١) انظر المراجع السابقة .

(٢) انظر العدوى على كفاية الطالب ج٢ ، ص ١٤٣ ، وانظر المراجع السابقة .

(٣) وانظر المراجع السابقة رواه مسلم .

(٤) انظر المراجع السابقة .

(٥) رواه مسلم .

طولاً فاحشاً دليل على جهل الخطيب ، والاعتدال مطلوب فى كل شىء رزقنا الله التقوى والإخلاص فى العمل .

وبعد هذه الوقفة التى لابد منها نأتى بحضراتكم إلى الشرط التالى .

٧- أن يعتمد الخطيب على قوس أو سيف أو عصا .

وإلى هنا تنتهى السنن المتفق عليها ولنأتى بفضل الله إلى السنن المختلف فيها .

السنن المختلف فيها

وأما السنن المختلف فيها فهى :

١- الطهارة من الحدث والخبث سنة عند الجمهور شرط عن الشافعية كما سبق .

٢- ستر العورة سنة عند الجمهور شرط عند الشافعية كما ذكر بيانه أيضا .

٣- السلام على الناس يسن عند الشافعية ، والحنابلة أن يسلم الخطيب على الناس مرتين إحداهما حال خروجه للخطبة ، والأخرى إذا وصل أعلى المنبر وأقبل على الناس بوجهه ، واستدلوا بما رواه جابر أن النبى ﷺ «**كان إذا صعد المنبر سلم**»[1] .

وقال المالكية يستحب سلامه على الناس عند خروجه للخطبة فقط ، ويكره سلامه على المصلين عند انتهاء صعوده على المنبر ولا يجب رده .

وقال الحنفية : ولا يسلم الخطيب على القوم إذا استوى على المنبر لأنه يلجئهم إلى ما نهوا عنه والمروى من سلامه غير صحيح[2] .

٤- البداءة بحمد الله والثناء عليه والشهادتين والصلاة على النبى ﷺ والعظة والتذكير وقراءة آية من القرآن ، والدعاء فيها للمؤمنين سنة عند الحنفية والمالكية . كما يندب عند المالكية أيضاً ختمها بيغفر الله لنا ولكم .

---

(١) رواه ابن ماجه فى إسناده ابن لهيعة .

(٢) انظر الطحاوى ص ٣٣٧ وجواهر الإكليل ج١ ص ٩٦ والقوانين الفقهية ص ٥٦ والمجموع ج٤ ، ص ٥٢٧ والمغنى ج٢ ص ١٤٤ .

وقال الشافعية والحنابلة: تستحب البداءة بالحمد ثم الثناء ثم بالصلاة ثم بالموعظة فإن نكس أجزأه؛ لحصول المقصود والدعاء للمؤمنين سنة عند الجمهور إلا الشافعية فإنه ركن عندهم[1].

٥- حضور الخطيب بعد دخول الوقت: بحيث يشرع فى الخطبة أول وصوله إلى المنبر لأن هذا هو المنقول ولا يصلى تحية المسجد[2].

٦- أن يصعد الخطيب المنبر على تؤدة وأن ينزل مسرعاً عند قول المؤذن قد قامت الصلاة[3].

٧- الإنصات للخطبة سنة عند الشافعية واجب عند الجمهور كما تقدم. والله أعلم.

مكروهات الخطبة:

قال الحنفية يكره التطويل فى الخطبة من غير قيد بزمن، فى الشتاء لقصر الزمان وفى الصيف للضرر بالزحام والحر، ويكره ترك شىء من سنن الخطبة، وإذا خرج الإمام فلا صلاة ولا كلام إلا إذا تذكر فائته ولو وترا وهو صاحب ترتيب فلا يكره الشروع فيها حينئذ بل يجب لضرورة صحة الجمعة فيكره التسبيح وقراءة القرآن والصلاة على النبى ﷺ فإنه يصلى سرًا إحرازا للفضيلتين ويحمد فى نفسه إذا عطس على الصحيح، ويكره تشميت العاطس ورد السلام لاشتغاله بسماع واجب، ويجوز إنذار أعمى وغيره إذا أراد الوقوع فى هلاك، لأن حق الآدمى مقدم على الإنصات حق الله، والدعاء المستجاب وقت الإقامة يحصل بالقلب لا باللسان".

ويكره لحاضر الخطبة الأكل والشرب وقال الكمال بن الهمام من فقهاء الأحناف يحرم، وإن كان أمرًا بمعروف أو تسبيحا والأكل والشرب والكتابة.

---

(١) انظر الطحاوى ص ٣٣٤، والشرح الصغير ج١، ص ٦٩٦، والمجموع ج٤ ص ٥٢٢، ونهاية المحتاج ج٢ ص ٣١١، وكشاف القناع، ج٢، ص ٣٣، ٣٧.

(٢) انظر المجموع ج٤، ص ٥٢٩.

(٣) انظر كشاف القناع ج٢ ص ٣٨.

كما يكره العبث والالتفات ، كذلك يكره سلام الخطيب على القوم إذا استوى على المنبر ؛ لأنه يلجئهم إلى ما نهوا عنه وهو الكلام والمتمثل فى رد السلام على الخطيب ، كذلك يكره تخطى رقاب الناس إذا أخذ الخطيب ولا بأس به قبل ذلك [١] .

وقال السادة المالكية : يكره تخطى الرقاب قبل جلوس الخطيب على المنبر لغير فرجة لأنه يؤذى الجالسين ، وأن يخطب الخطيب على غير طهارة والتنفل عند الأذان الأول لجالس فى المسجد يقتدى به كعالم وأمير ، كما يكره التنفل بعد صلاة الجمعة إلى أن ينصرف الناس ، ويحرم الكلام من الجالسين حال الخطبة وبين الخطبتين ، ولو لم يسمع إلا أن يلغو الخطيب فى خطبته بأن يأتى بكلام ساقط ، فيجوز الكلام حينئذ ، ويحرم السلام من الداخل أو الجالس على أحد وكذا رده ولو بالإشارة ويحرم تشميت العاطس ، ونهى لاغ ، فإذا رأيت إنساناً يعبث أو ينشغل بشىء أو يتكلم مع أحد أثناء الخطبة ، فإياك أن تنهاه عن ذلك وإلا كنت مثله ؛ لنهى السنة المطهرة عن ذلك ، كذلك يحرم الإشارة له أى للاغ والأكل ، والشرب ، وابتداء صلاة نفل بعد خروج الخطيب للخطبة ولولداخل [٢] لأن النفل فى هذا الوقت يحرم عند السادة المالكية .

وقال السادة الشافعية : يكره فى الخطبة أشياء منها :

ما يفعله بعض الخطباء الجهلة من الدق على درج المنبر فى صعوده ، والدعاء إذا انتهى صعوده قبل جلوسه والالتفات فى الخطبة ، والمجازفة فى أوصاف السلاطين فى الدعاء لهم وكذبهم فى كثير من ذلك ، والمبالغة فى الإسراع فى الخطبة الثانية وخفض الصوت بها ، واستدبار الخطيب للمصلين ، وهو قبيح خارج عن عرف الخطاب والتقعير والتمطيط فى الخطبة ، ويكره شرب الماء للمصلين أثناء الخطبة للتلذذ ، ولا بأس لشربه للعطش ويكره للداخل أن يسلم والإمام يخطب ، ويجب الرد عليه ويستحب للمستمع تشميت العاطس لعموم الأدلة ويكره تحريما تنفل من أحد الحاضرين بعد صعود الخطيب على المنبر وجلوسه عليه ، ويكره الأذان جماعة بين يدى الخطيب [٣] .

---

(١) انظر الفتاوى الهندية ج١ ص ١٤٧ وحاشية الطحاوى على مراقى الفلاح ص ٣٣٤ وما بعدها .
(٢) انظر الشرح الصغير ج١ ص ٧٠٤ ، وانظر شرح سيدى عبد الباقى الزرقانى ج٢ ص ٦٤ .
(٣) انظر المجموع شرح المهذب ج٤ ص ٥٢٨ ، نهاية المحتاج ج٢ ص ٣٠٩ .

وقال السادة الحنابلة: يكره الالتفات فى الخطبة ، واستدبار الناس ويكره للإمام رفع يديه حال الدعاء فى الخطبة ، ولا بأس بأن يُشير بإصبعه فى دعائه ويكره الدعاء عقب صعوده المنبر ، ويكره للمصلى أن يسند ظهره إلى القبلة ومد رجليه إلى القبلة ، ويكره رفع الصوت قدام بعض الخطباء وابتداء تطوع بخروج الخطيب ، ويكره العبث وشرب الماء عند سماع الخطبة ، ما لم يشتد عطشه [١] والله أعلم .

أما بعد ،

تلك هى أمور أردنا أن نبينها قبيل شروعنا فى خطب الجمعة ، وإنى لأتمنى وأرجو من ربى عز وجل أن يوفق السادة الدعاة والأئمة الهداة إلى العمل بما بيناه حتى يصبح الداعية على أكمل وجهٍ ، ومن هنا تؤتى رسالته ثمارا يانعة بإذن الله عز وجل .

وإنى لأتمنى من السادة الدعاة أن يهتموا بقراءة ما كتب من دعوة وفقه ليكونوا على بينة ؛ لأن الدعوة رسالة حُمِّلنا أمانتها وقد شرفنا الله بها وأذكر نفسى وأذكرهم بضرورة القدوة الحسنة والمظهر الطيب أمام الناس ، حتى نعيد الهيبة والوقار والتقدير والتبجيل للعلماء كل ذلك بكل أسف قد فُقد اليوم والسبب جلى واضح ومتمثل فى قول الله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ [٢] .

إخوانى الدعاة إن من عرف نفسه فقد عرف ربه :

لذا كان علينا أن نحرص كل الحرص على أداء تلك الرسالة بأمانة ، وإذا كان العلماء ورثة الأنبياء فقد وصفهم الله تعالى بأنهم أشد الناس خشية لله ، لذا كان عليهم أن يكونوا أطيب الناس سيرة وأحسنهم أخلاقا ومسيرة ، وفقكم الله وجعلنى وإياكم من أولئك الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وها نحن نشرع فى المقصود والحمد لله رب العالمين .

* * * * * * * * * *

---

(١) انظر كشاف القناع ج٢ ص ٣٦ ، الفروع ج٢ ص ١١٩ .
(٢) سورة الرعد من الآية : ١١ .

في رحاب الوصايا العشر
الوصيـــة الأولـى والثانيـــة

الحمد لله الذى تفرد بالخلق والتقدير وتنزه عن الشريك والمساوى والنظير ، بيده الأمر والتدبير وإليه المرجع والمصير .

أحمده وهو الحقيق بالحمد والثناء ، وما بكم من نعمة فمن الله ، برزت من الأرض أو نزلت من السماء وذو الفضل يؤتى فضله من يشاء ، وأشكره أن نور قلوبنا بنور التوحيد ، وعرفنا كيف نعبده والله يهدى من يريد ، سبحانه وتعالى ذو العرش المجيد لا يشاركه فى حكمه أحد وهو الولى الحميد .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له قامت به الأكوان وحقت على كل إنسان ، ووجب أن يشرق بها القلب وأن ينطق اللسان هى الشهادة وما أدراك ما الشهادة ؟ نور يشرق لمن كتب له السعادة وأراد من الله الحسن والزيادة .

وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله الذى بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة فصلواتك اللهم على حبيبك ومصطفاك وعلى آله وأصحابه الذين هم أصفى الناس قلبا ، وأطهرهم نفسا ، وأعلاهم قدرا فرضي الله تبارك وتعالى عنهم ،وأرضاهم ومن تبعهم إلى يوم الدين .

أما بعد ،

فيا أتباع سيدنا ومولانا محمد عليه الصلاة والسلام :

نعيش مع حضراتكم اليوم فى رحاب الوصايا العشر تلكم الوصايا القرآنية الإيمانية والتى تكلفت بذكرها سورة "الأنعام" ذلكم الله عز وجل إذ يقول فى كتابه الكريم وهو أصدق القائلين: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ

أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [1].

عباد الله تلكم هى الوصايا العشر والتى وصانا بها مولانا عز وجل ، وسوف نقتطف اليوم من ثمارها ما يفتح الله علينا به ، وفى البداية نلجأ إلى الله عز وجل أن يعيننا على اتباعها .

والآن نعيش فى رحاب الوصية الأولى ألا وهى "النهى عن الشرك بالله عز وجل" .

أيها المؤمنون لقد أكد القرآن دعوته فعلّم نبيه ﷺ كيف يتوجه للبشرية قاطبة أبيضها وأسودها عجمها وعربها كل بشر وجد أو سيوجد ، يدعوه الرسول صلى الله عليه وسلم ليتلو على مسامعه ويقرأ عليه وحى ربه : ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ هو لا يقهر أحداً على اتباعه ، ولا يلزم أحدا بقوة السلاح ، ولا بقوة السلطان أن يسير فى منهجه ، ولكن كل ما يريد هو أن تبلغ كلمته إلى الآذان أن لا يحال بينه وبين سماع كلمة الحق ، ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ ... ﴾ أيها الناس أقبلوا وترفعوا عن وهدة التقليد واستمعوا إلى ما سأقرأه عليكم . وماذا سيتلو سيد البشر ؟

إنه سيقرأ عليهم وصية ربهم ، هذه الوصية التى نوه بها الصحابة لما أدركوا أسرارها .

وأولى تلك الوصايا : " ألا نشرك بالله شيئا" ، أى إفراد الله عز وجل بالألوهية هو قاعدة البناء للفرد والمجتمع وللأخلاق والعبادة ، وللاقتصاد والسياسة ، وللتشريع والحكم إن توحيد الله ليبدوا فى كل موقف يقفه الإنسان من الإنسان ومن الكون والوجود كله ، فإذا ما كان التوحيد واضحا فى النفس ثابتا فى الضمير مشعا فى الباطن جاريا على الظواهر ، أخذت الحياة كلها شكلا يفترق عن الوجه الآخر المظلم ، وجه

---

(١) سورة الأنعام الآية : ١٥١-١٥٣ .

الإشراك بالله .

عباد الله : إن توحيد الله يقتضى أولا : أن نفرده بالخلق وأنه لا خالق سواه ، ولا مقدر غيره وكل ما وجد وما سيوجد هو من خلقه وتقديره ، خالق الأسباب ومدبرها ، إن التوحيد لهو النقاء الكامل الذى لا يقبل أى صبغ ، ولا يلتئم مع أى لوثة من شرك .

فعن زيد بن خالد الجهنى قال : صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على أثر سماء كانت من الليلة ، فلما انصرف النبى ﷺ ، أقبل على الناس فقال : **«هل تدرون ماذا قال ربكم ؟»** ، **قالوا : الله ورسوله أعلم .**

قال : **«أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر ، فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته فقد أصبح مؤمنا بى كافرا بالكواكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب»** [1] ، فانتبهوا رحمكم الله إلى جميع الظروف التى قيل فيها هذا الحديث

لقد كان المؤمنون مع مولانا رسول الله ﷺ تركوا ديارهم ونساءهم وأبناءهم وخرجوا معه لأداء العمرة ، ثم إنهم نهضوا باكرا ليسعدوا بالائتمام به فى صلاة الصبح ، ويؤدوها جماعة ، بعد انتهاء الصلاة أعلمهم رسول الله ﷺ أنه تلقى وحياً من ربه بعد أن نزل عليهم الغيث فى الليلة الماضية ، فقال : لقد مطرنا البارحة وقد أصبح الناس يتحدثون بالمطر كرحمة عمت الفيافى ، تلطف الجو وتنبت الكلأ وتخصب المرعى ، والمطر فى الجزيرة العربية مساو للحياة وهم فى حديثهم المرسل عن المطر قد كفر بعضهم وآمن بعضهم ، إن الذين نسبوا الغيث لرب العالمين ، وقالوا الحمد لله الذى سقانا وأروى أرضنا ، وأنزل علينا من بركات السماء هو مؤمن صالح ، نسب الفضل لصاحبه وأسند الأمر لمالكه ، وأما من قال مطرنا بالنجم الفلاني والكوكب الفلانى أو كما يقال الآن نحن فى نوة الشمس أو نوة قاسم أو كرم فهو بذلك ليس مؤمنا بالله ، إن اعتقد أن المطر إنما هو بالنجم والكوكب والنوء فعلى الناس أن يتنبهوا لذلك .

---

(١) رواه الإمام البخارى .

نعم إن جُلّ من يقول ذلك إنما هو يردد كلاما قد سمعه من آبائه وأجداده ، وعلينا حينئذ أن نبين لهم وأن نصحح لهم الأخطاء دون أن نرمى أحدًا منهم بكفر أو شرك .

وعلى المؤمن أن يعلم أن المطر ما هو إلا بأمر الله وقدرته ، ولا دخل لمخلوقاته فيه سبحانه وتعالى ﴿ **أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ** ﴾ .

عباد الله : لقد حذر الله عز وجل من دخول الشرك فى أعمالنا ومن تلويثه لنوايانا ومن زعزعته لإيماننا ﴿ **وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ** ﴾[1] .

والإشراك له صور قبيحة وقد تكون مقنعة ، فمن عُدم صفاء التوحيد أن يقول الفرد : لولا الطبيب الفلانى لمات فلان ولولا الوزير أو الوالى لما استطاع التحصيل على طلبته ، كما يقولون أيضا لولا الكلب لتمكن اللص من سرقة المنزل ، إنما الصواب أن ينسب الأمر إلى الله ، فيقال : لولا أن الله وفق الطبيب ما شفيت لولا أن الله وفق المحامى لسجنت ، لولا أن الله سخر الكلب لحراستى لسرقت ، وهذا يقال فى جميع النظائر والمواقف ، ذلكم لأن المخلوقات ما هى إلا سبب ، أما الفاعل الحقيقى فهو الله عز وجل ومن ثم فقد صدق الشاعر حيث قال :

إن الطبيب لـه فى الطب معرفة ::: ما دام فى أجل الإنسان تأخير

فإذا العليل انقضت أيام مدته ::: حار الطبيب وخانته العقاقير

فيا عباد الله :

إن الطبيب والمحامى والوزير إنما هم من خلق الله عز وجل ، إذا وفقوا لقضاء مصلحة فإنما ذلك بفضل الله وإلا فإن الموظف الذى نسبنا الفضل إليه دون الله لا يخلو من أمور ثلاثة :

إما أن يقبض إلى جوار ربه ، وإما أن يعزل ، وإما أن يفصل طالما الأمر كذلك ، فإنه عاجز ، ومتى علمنا أنه عاجز وهو كذلك ، كان علينا أن ننسب الأمر لصاحب الأمر .

---

(١) سورة يوسف آية : ١٠٦ .

عباد الله :

ويماثل ما ذكرناه ما يقع من بعض المغترين من قولهم: لولا أنا ما كان لفلان كذا ، لولا مهارتى ، لولا شجاعتى لولا ذكائى ما كان كذا وكذا ، تماما كما قال أسلافهم ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي ﴾[1] ، ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ ﴾[2] .

ألا يا عباد الله :

فلتعلموا أننا جميعا الفقراء إلى الله ، وما دمنا كذلك كان علينا أن ننسب ذكاءنا ومهارتنا ومجهودنا وشجاعتنا إلى من آتانا ذلك ووفقنا ، ولنقل دائما وما توفيقى إلا بالله .

يا أتباع سيدنا ومولانا محمد ﷺ وإذا كنا نتحدث عن الشرك باعتباره أولى الوصايا العشر الإلهية ، فلابد لنا من وصف لدواء قاض على الشرك وماح لجذوره .

نعم: وهذا الدواء بحمد الله موجود ألا وهو الإخلاص فى القول والعمل ﴿ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ * أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ ، ﴿ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴾ .

عباد الله: وقد سئل الإمام الفضيل بن عياض رضى الله عنه عن قول الله تعالى ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ [3] فقال: هو أخلصه وأصوبه يا أتباع سيدنا ومولانا محمد ﷺ إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل ، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا .

عباد الله : إن الإخلاص لله عز وجل هو شعار المؤمنين ، ودليل المتقين وسراج على الصراط يوم يقوم الناس لرب العالمين .

ومن ثم قال سيدنا الإمام سهل التسترى: الإخلاص أن يكون سكون العبد وحركاته لله تعالى خاصة ، وقال سيدنا الإمام إبراهيم بن آدهم الإخلاص صدق النية مع الله تعالى .

---

(١) سورة القصص آية : ٧٨ .

(٢) سورة الزخرف آية : ٥١ .

(٣) سورة الملك الآية : ٢

ويقول الإمام المحاسبى الإخلاص: هو إخراج الخلق عن معاملة الرب ، وقال الإمام الجنيد: إن لله عبادا عقلوا ، فلما عقلوا عملوا ، فلما عملوا أخلصوا فاستدعاهم الإخلاص إلى باب البر أجمع .

وقال سيدنا حاتم الأصم: يعرف الإخلاص بالاستقامة والاستقامة بالرجاء والرجاء بالإرادة والإدارة بالمعرفة [١] .

ومن هنا نعلم أن من رزقه الله عز وجل الإخلاص فى الأعمال والأقوال فقد أحبَّه وهداه ، وأرشده واجتنباه ، وأراد به خيرا فى الدارين ، والإخلاص فى الأعمال سر النجاح ، وطريق العلا والفلاح ، وهو فى الأفعال رمز المتقين وأمان الخائفين وفى الأقوال نور الأمم وباعث الهمم ومطهر الذمم ، وكم من عمل صغير تكبره النِّيَّة وترفعه مقامات: نعم يا عباد الله فهذه امرأة بغي من بغايا بنى إسرائيل وجدت كلبا يلهث من شدة العطش فرق قلبها ولان فؤادها ودفعها إخلاصها أن تنزل البئر فتملأ موقها ماءً فتحمله بفمها وتسقى هذا الحيوان [٢] .

امرأة بغى علم الله صدقها وإخلاصها فشكر صنيعها فغفر لها .

أيها المؤمنون ، ومما لاشك فيه أن للإخلاص فوائد ومزايا كثيرة منها ما يلى:

أولا: محبة الله تعالى لمن أخلص له فقد جاء فى الأثر أن الله تبارك وتعالى يعطى الإخلاص لمن يحبه كما يقول صلوات ربى وسلامه عليه: **«من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده لا شريك له وأقام الصلاة ، وآتى الزكاة فارقها والله عنه راضٍ»** [٣] .

ثانيا: قبول الله تعالى من المخلص لقول المصطفى ﷺ: **«إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا وابتغى به وجهه»** [٤] .

ثالثا: انقطاع الوسواس عن الإنسان لقول الإمام أبو سليمان الدارانى: إذا

---

(١) انظر موسوعة أخلاق القرآن لفضيلة الشيخ الدكتور أحمد الشرباصى ج٢ ص ١٨٣ ، ص ١٨٤

(٢) القصة رواها الإمام البخارى فى صحيحه .

(٣) رواه ابن ماجه .

(٤) رواه أبو داود والنسائى بسند جيد .

أخلص العبد انقطعت عنه كثرة الوسواس والرياء .

رابعا : صرف السوء والفحشاء عن الشخص المخلص ولعل هذا بعض ما نفهمه من قول الله تعالى عن سيدنا يوسف عليه السلام : ﴿ **وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ** ﴾ (١) .

خامسا : تفجر الحكمة من المخلص فقد قال مكحول : ما أخلص عبد قط أربعين يوما إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه .

سادسا : نصر الله للمخلص لقول النبى ﷺ : « **إنما نصر الله هذه الأمة بضعفائها ودعوتهم وإخلاصهم** » (٢) .

سابعا : زيادة مضاعفة الحسنات ، فإذا كان الله تبارك وتعالى قد وعد - وهو الكريم وصاحب الفضل العظيم - بأن يثيب الحسنات بأضعافها وقال : ﴿ **مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا** ﴾ (٣) .

ووعد سبحانه بأكثر من العشرة إلى سبعمائة ضعف ، بل إلى ما فوق السبعمائة ، فإن هذه الزيادة فى الأضعاف تنمو بحسب تمكن الإخلاص من نفس هذه الزيادة فى الأضعاف تنمو بحسب تمكن الإخلاص من نفس المؤمن فكلما زادت مكانته فى الإخلاص علوا ، زادت مثوبته على الحسنات أضعافا مضاعفة ، ﴿ **وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ .

ولذا قال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم لسيدنا معاذ بن جبل : « **أخلص دينك يكفك القليل من العمل** » (٤) .

فيأيها المؤمنون إن من أراد النجاة من الشرك ولاسيما الشرك الأصغر ألاَ وهو الرياء ، فإن عليه بالإخلاص فهو سر بين العبد وربه ، ونجاة لكل من خاف من الشرك

---

(١) سورة يوسف الآية : ٢٤ .

(٢) رواه النسائى

(٣) سورة الأنعام الآية : ١٦٠

(٤) رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد

الخفي أن يتسرب إلى عمله ، رزقنى الله وإياكم الإخلاص فى القول والعمل إن ربى سميع مجيب .

أيها الأحباب ، ومن علامات الإخلاص أن نتشبه بتلك الكلمات التى قالتها عاشقة الحب الإلهى السيدة رابعة العدوية حيث قالت مناجية من خلقها وسواها :

كلهم يعبدون من خوف نار ::: ويرون النجاة حظا جزيلا
أو بأن يسكنوا الجنان فيضحوا ::: فى رياض ويشربوا سلسبيلا
ليس لى فى الجنان والنار حظ ::: أنا لا أبتغى بحبى بديلا

أعاننا الله على التمسك بهذا الحب الإلهى ، وحشرنا فى زمرة المحبين ، عباد الله كانت هذه أضواء ولمحات حول الوصية الأولى من الوصايا العشر القرآنية الإيمانية ، فماذا عن الوصية الثانية؟ هذا هو موعد اللقاء معها بعد جلسة الاستراحة .

سلوا الله من فضله وغفر الله لى ولكم ولسائر المسلمين أجمعين .

الخطبة الثانية :

الحمد لله وحده وصلاة وسلاما على من لا نبى بعده ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله أخلص المخلصين وسيد الغر المحجلين اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الهداة الطيبين .

أما بعد ،

فيا عباد الله بعد ما وصّى سبحانه وتعالى بعدم الإشراك به وصانا بالإحسان إلى الوالدين .

نعم فإنه أى الإحسان إلى الوالدين من أفضل مكارم الأخلاق لذا جعله الله سبحانه وتعالى بعد عبادته وعدم الإشراك به فقال جل شأنه : ﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً** ﴾ [1] .

إلى غير ذلك من الآيات القرآنية التى أكدت على بر الوالدين والإحسان إليهما

---

(١) سورة البقرة من الآية : ٨٣

فضلا عن الآيات التى تكلفت بالوصايا العشر التى نحن بصدد الحديث عنها ، وإذا كان القرآن الكريم قد أكد على ضرورة بر الوالدين والإحسان لهما ، فها هى السنة النبوية الشريفة المطهرة هى الأخرى تؤكد على ضرورة الإحسان إليهما ، وذلك فى أحاديث كثيرة منها قوله عليه الصلاة والسلام: **«بروا آباءكم تبركم أبناؤكم ، وعفوا تعف نساؤكم»** [(١)] والولد إذا نظر إلى والديه بالود والرحمة يكون بارا لهما ، قال ﷺ **«ما من ولد بار ينظر إلى والديه نظرة رحمة إلا كتب الله له بكل نظرة حجة مبرورة»** ، قيل: وإن نظر كل يوم مائة مرة ؟ قال : **«نعم الله أكبر وأطيب»** [(٢)] .

وقال ﷺ: **«من سره أن يمد له فى عمره ويزاد فى رزقه فليبر والديه وليصل رحمه»** [(٣)] .

وإذا كان الكتاب والسنة قد حضانا على برهما والإحسان إليهما فقد نهانا عن نهرهما وعقوقهما قال جل علاه: ﴿ **فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا** ﴾ [(٤)] .

ومن ثم قد عقب المصطفى ﷺ على تلك الآية بقوله : **«لو علم الله شيئا أدنى من أف لنهى عنه ، فليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة ، وليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار»** [(٥)] .

واعلموا عباد الله أن لعقوق الوالدين مظاهر كثيرة وصور شتى تشمئز منها النفوس وتقشعر لها الأبدان وحسبى أن أذكر منها :

رفع الابن صوته على أبويه صورة نكراء من صور العقوق وأبشع منها تأففه منهما ، وإظهار ضيقه وضجره بهما ونهرهما ، كما أن تكبر الولد على أبويه وتعاليه عليهما بما ناله من علم أو غنى أو جاه أو منزلة أو سلطة - عقوق وأى عقوق ! لأنه

---

(١) رواه الطبرانى بإسناد حسن

(٢) رواه البيهقى .

(٣) رواه أحمد

(٤) سورة الإسراء من الآية : ٢٣

(٥) رواه الديلمى .

فوق ما يبعثه فى أنفسهما من خيبة أمل فيه يخالف ما أمره الله تعالى به من التواضع وخفض الجناح لهما فى قوله: ﴿ **وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا** ﴾ [1].

أنسِيَ ذلك الولد العاق أنه لولاهما لما كان له وجود ، وأن لهما فضلا كبيرا فيما وصل هو إليه بإنفاقهما عليه وتضحياتهما من أجله ، وإيثارهما إياه على أنفسهما بكل شيء ؟

فإلى الأبناء والبنات أقول لهما اتقوا الله فى أمهاتكم وآبائكم ، واعلموا جميعا أن الكيل الذى يكال إليهما منكم به يكال حكم به من أولاد كم ولا داعى أن نفضل الزوجة والأولاد عليهما فإن ذلك عار عظيم وذنب كبير ، وحسبكم أن عقوق الوالدين إنما هو من أكبر الكبائر ، اللهم إنا نسألك الهداية لنا أجمعين ، عباد الله ماذا عن الوصية الثالثة هذا ما سوف نلتقى به معكم فى الجمعة القادمة بمشيئة الله تعالى ، اللهم اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا وما أسررنا وما أعلنا وما أنت أعلم به منا إلى آخر الدعاء - اذكروا الله يذكركم واستغفروه يغفر لكم واسألوه يزدكم وصلوا على الحبيب المصطفى تفلحوا: وأقم الصلاة .

****

(١) سورة الإسراء من الآية: ٢٤

فى رحاب الوصايا العشر
الوصية الثالثة والرابعة

الحمد لله الذى بين تقويم الشرع حقوق الوالدين والذرية ، وأقام بقسطاس العدل ميزانه فى البرية ، العليم بما كان ويكون والله يعلم وأنتم لا تعلمون ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فطر سبحانه الوالدين على محبة الأولاد تكرما منه وفضلا .

وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله أكرم نبى ووالد وأفضل مرب وأخلص عابد جمع التربية العالية والهداية النيرة الغالية .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا وملانا محمد وعلى آله وأصحابه فى الأولين والآخرين وفى الملأ الأعلى إلى يوم الدين .

أما بعد ،

فيا عباد الله كان اللقاء فى الجمعة الماضية مستنيرا فى رحاب وصيتين من وصايا القرآن الكريم والتى أكرمتنا لهما سورة الأنعام حيث أكرمتنا بوصايا عشر طوفنا بحضراتكم فى الجمعة الماضية حول الوصية الأولى والثانية وفى هذ الجمعة يحلو اللقاء مع الوصية الثالثة والرابعة .

والوصية الثالثة : نلتقى بها فى رحاب قول الله تعالى: ﴿ **وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ** ﴾ ففى هذه الوصية تحديد لعلاقة الوالدين بالمولود الجديد .

عباد الله لقد طبع الوالدين الأبوين على محبة ما ينجبان من الذرية ، وركز فى فطرة الإنسان الابتهاج بالمولود الجديد كفرع تسرى فيه الحياة ويمتد به وجود الإنسان ، وقد كان يمكن الاستناد إلى الفطرة لو أنها تبقى على حالها لا يدنسها قبيح الغادات ، أو معوج التفكير أو خيالات الشيطان ووسوسته ، ولكن هذه المؤثرات كلها قد تعصف بالطبيعة وتلوث الفطرة ، فكانت تربية الإسلام للمؤمنين التربية الصالحة الضامنة لحقوق الآباء والأولاد على السواء . إذ ليس الولد ملكا لأبويه يفعلان به ما يشاءان ويتعسفان كما يريدان بل للوالدين من الحقوق على الأولاد مثل ما للأولاد من الحقوق على الوالدين فعن سيدنا أبى رافع أن النبى ﷺ قال: «**يلزم الوالد من الحقوق لولده ما يلزم**

الولد من الحقوق لوالده»[١] .

وأول حق هو: حق الحياة ، الحياة محترمة فى الإسلام ، الله مالكها يسلبها متى شاء فى الأجل الذى قدره ، وليس لأى كائن أن يدعى أنه يتصرف فى حياة البشر سلبا أو تمديدا ، ولكن بعض الآباء فى الجاهلية كانوا يعتدون على حياة أولادهم بما يصوره لهم خيالهم المريض وشياطينهم الماكرة من خوف الفقر والعار ، وهؤلاء ومن كان على شاكلتهم هم الخاسرون ، خسروا فى الحياة نبل عاطفة الأبوة وامتداد الفرع والذكر بعد الموت ، والعون عند الحاجة والهرم وخسروا فى الآخرة بما توعد به الله كل معتد أثيم قال تعالى: ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُواْ أَوْلاَدَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ اللّهُ افْتِرَاء عَلَى اللّهِ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾[٢] .

هو إذن إثر ضعف فى العقل وحمق وبلادة فى الرأي وجهل فاضح ، وضلال مبين ، وبعد عن الاهتداء إنهم فعلوا ذلك لأن الفقر قد عضهم بنابه ، والخصاصة قد حرمتهم طيب الحياة ، ويرد الله على هذه التعلات التى سولت لهم قتل أولادهم بقوله تعالى: ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ ، وطائفة أخرى قتلت أولادها لا للفقر الحاصل ولكن الفقر المتوقع فرد الله عليهم أيضا ، فقال تعالى: ﴿ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾[٣] فهو الرزاق ذو القوة المتين قال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾[٤] .

ومن سنن الله أن الرزق نتيجة الطلب وجائزة العمل والسعى ، ولا تظنوا أن العادات الجاهلية قد فقدت سلطانها على النفوس أو ذهب سيئ تأثيرها فى الجماعة الإنسانية إنها ما تزال إلا أنها أخذت أشكالاً جديدة لعلها أكثر شناعة وقذارة ، فالأبوان اليوم فى هذا العصر الذى يوصف بأنه عصر النور يتفقان على الإجهاض وقتل الجنين الحى المتحرك ، وذلك لأن الأم لا ترغب فى القيام بواجبات الأمومة ، ولا ترضى عما

---

(١) رواه ابن النجار ، وانظر منتخب كنز العمال جـ ٦ ص ٤٣٣ .
(٢) سورة الأنعام ١٤٠ .
(٣) سورة الأنعام الآية: ١٥١ .
(٤) سورة هود آية: ٦ .

تحمله إذ هو يحرمها السهرات ويحملها تبعات ، وقد تنحدر الفتاة إلى الخطيئة فيعلق برحمها نتيجة الخطيئة والإثم ، فتتولى قتله بيدها بمجرد ما تلده ، ما أشدها وحشية وما أنكرها وما أقسى قلب الأم التى تأخذ الرقبة الطرية الناعمة البريئة فتضغط عليها ضغط الوحش على فريسته وقسوة الحجارة المطبقة ، والمولود يهتز طلباً للرحمة فلا يرحم ولا ترفع اليد الآثمة عن الرقبة إلا بعد أن ترتخى الأعضاء وتصعد الروح إلى باريها مستغيثة بعدالة الجبار من شراسة الأم الآثمة المضيفة إلى عار السفاح عار القتل وسفك الدماء .

واعلموا عباد الله : أن الإجهاض حرام إلا فى صورة واحدة وهى : إذا ما أخبر الطبيب المسلم أن حياة الأم معرضة للخطر إذا هى واصلت الحمل .

عباد الله : هذا هو القتل الحسى وهناك قتل معنوى وهو يتمثل فى عدم التربية للولد أو البنت فيتركون للشوارع يعبثون مع العابثين ، وقد يلتقون بأولاد السوء فيسمعون منهم كلمات بريئة ثم يرددونها ويرون منهم أفعالاً قبيحة ، وبالتالى يفعلونها ناهيك عن المشروبات السامة وما ماثلها من سموم قتلت أولادنا وأصبحوا فى الضياع والدمار ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم أضف إلى ذلك عدم العدل بين الأولاد وتفضيل ولد عن ولد أو ولد عن بنت فكل ذلك حرام ، ويجب أن نعدل بين أولادنا وبناتنا حتى فى القبلة ولنا معكم لقاء فى جمعة قادمة بإذن الله تعالى نبين فيها تربية الأولاد فى رحاب الكتاب والسنة .

أيها الأحباب ، والآن ننتقل بحضراتكم إلى الوصية الرابعة حيث يقول المولى جل وعلا : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ ، والمقصود بالفواحش فى الآية الكريمة وفى تلك الوصية الغالية الزنا ما كبر منه وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ قوله تعالى : ﴿ وَمَا بَطَنَ ﴾ فالمراد بذلك وهو القبلة واللمس والنظر كما جاء فى الخبر عن سيد البشر صلوات ربى وسلامه عليه أنه قال : «**اليدان والرجلان تزنيان والعينان تزنيان**» [1] .

---

(١) رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح والبزار وأبو يعلى وانظر الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٨٦ .

عباد الله: إن الله تعالى حين نهى عن الزنا لم يقل: حُرِّم عليكم الزنا كما قال: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ ﴾ [1] وإنما قال: ﴿ وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً ﴾ [2].

فقوله: ولا تقربوا الزنا أبلغ فى النهى ؛ لأنه لا ينهى عن تلك الفاحشة وحدها وإنما ينهى عن الاقتراب من كل ما يقرب منها ؛ لأن اللقاء المحرم بين الرجل والمرأة فلا يتم عفوًا وإنما تسبقه خطوات من خطوات الشيطان: عبر عنها القائل بقوله: نظرة فابتسامة ، فسلام فكلام ، فموعد ، فلقاء .

وهذا هو السر فى النهى عن الزنا بهذا اللفظ: ﴿ وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى ﴾ فنهى عن مجرد الاقتراب منه .

ولو قال سبحانه " ولا تزنوا " لجاز أن نجلس معها ونخلوا بها ولكنه قال: ﴿ وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى ﴾ لينهانا سبحانه عن الاقتراب مما يوصل إلى الزنا فاللهم عفوك ورضاك .

عباد الله ، أحباب الحبيب المصطفى إن البعد عن أسباب الزنا ووسائله فيه ضمان لعدم الوقوع فيه والاقتراب من وسائله لا يكون معه ضمان ولذا حرم الإسلام الوسائل المؤدية إلى الزنا واعتبر للوسائل حكم المقاصد .

فعن سيدنا أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «**كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك على محالة ، فالعينان زناهما النظر والأذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناهما البطش والرِّجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويُصَدِّق ذلك الفرج ويكذبه**» [3] من هنا نفهم عباد الله أن الإسلام حين حرم الزنا حرم كل ما يؤدى إليه من نظرة إلى أجنبية أو خلوة بها ، كما نهى المرأة أن تبدى زينتها أمام الأجانب ، وغير ذلك ، مما حرمه الإسلام سدًا للذريعة وإغلاقا لباب الفتنة ، ومن

---

(١) سورة المائدة الآية: ٣ .

(٢) سورة الإسراء الآية: ٣٢ .

(٣) رواه البخارى واللفظ له ورواه الإمام مسلم وأبو داود .

أجل ذلك قال سبحانه : ﴿ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ .

أيها الأحباب : علينا أن نتقى الله فى أنفسنا وفى نسائنا وبناتنا بل وأبنائنا ونجنبهم ما يؤدى إلى الزنا ، فإضافة إلى ما ذكرناه هناك أشرطة الفيديو وما فيها من أفلام تشرح لأبنائنا ، وبناتنا وأزواجنا ، والزنا عمليا حتى قتلت فيهم الحياء ناهيك عن جهاز الدش والمجلات العارية ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، اتقوا الله وإلا فلا تلوموا إلا أنفسكم وضعوا نصب أعينكم قوله سبحانه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [1] .

وللحديث بقية بعد جلسة الاستراحة سلوا الله أن يعفو عنا وأن يرفع عنا الغضب برحمته غفر الله لى ولكم ، واسألوا الله من فضله .

الخطبة الثانية :

الحمد لله وكفى وصلاة وسلاماً على الحبيب المصطفى ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً ﷺ عبده ورسوله ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الهداة الطيبين .

أما بعد ،

فيا عباد الله أوصيكم ونفسى بتقوى الله وأحذركم وإياى من معاصيه .

أيها الأحباب : نعود إلى الحديث حول تلك الجريمة الشنعاء والتى نهى الجليل عنها وسماها فواحش ألا وهى جريمة الزنا .

أيها الأحباب : إن من أراد الوقاية من الزنا فعليه الامتثال إلى قول الكبير المتعال : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ ﴾ [2] .

---

(١) سورة التحريم الآية : ٦ .

(٢) سورة النور الآية : ٣٠ .

فقد أمر الله سبحانه وتعالى الرجال والنساء بغض البصر عن الحرام ، وبحفظ الفرج عن الحرام ، وقد حرم الله الزنا فى آيات كثيرة ، قال الله تعالى: ﴿ **وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا** ﴾ (١) يعنى عقاباً فى النار ويقال وادياً فى النار ، ويقال جبٌ فى النار إذا فتح فمه صاح أهل جهنم من حيث رائحته .

وروي عن بعض الصحابة أنه قال: "إياكم والزنا فإن فيه ست خصال: ثلاث فى الدنيا وثلاث فى الآخرة ، فأما التى فى الدنيا: فنقصان الرزق ، وقطع الأجل ، وسواد الوجه . وأما التى فى الآخرة: فغضب الله ، وشدة الحساب ، ودخول النار"(٢) .

وروى أن سيدنا موسى عليه السلام قال: يا رب ما لمن زنى؟ قال الله تعالى: «**ألبسه درعاً من النار لو وضع على جبل شاهق لأصبح رماداً**» (٣) .

وقال ﷺ : «**إذا زنى العبد خرج منه الإيمان وكان فوق رأسه كالظلة فإذا خرج من ذلك العمل رجع إليه الإيمان**» (٤) .

فاتقوا الله أيها الأحباب: وبادروا بالإقلاع عن تلك الفاحشة التى تجلب غضب الرب ، بل هى خزي وندامة فى يوم القيامة ، فى يوم الفضيحة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

عباد الله: إن الزنا وباء ما بعده من وباء فعلينا أن نقى أنفسنا ، وأهلنا من الوقوع فيه حتى لا يُسْلب الإيمان من قلوبنا ، ومن أراد الوقاية من هذا الوباء فعليه أن يتجنب أسباب الزنا وذلك من شرائط منكرة وأجهزة خبيثة ومن قراءة الصحف والمجلات الداعية إلى الزنا ومن ترك بناتنا ونساءنا دون مراعاة وكلنا بفضل الله تعالى يعلم الخطأ من الصواب إلا أن البعض يتجاهل ويتغاضى .

---

(١) الفرقان: ٦٨ .

(٢) انظر تهذيب مكاشفة القلوب لسعد يوسف أبو عزيز ص ٥٥ .

(٣) انظر المرجع السابق ص ٥٥ .

(٤) رواه أبو داود واللفظ له وانظر الترغيب والترهيب ج٣ ، ص ٢٦٥ .

ارفعوا أيديكم وأمنّوا لعل الله عز وجل أن يرحمنا مما نحن فيه ، اللهم ارفع مقتك وغضبك عنا ، ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا ، اللهم إنا نسألك رضاك والجنة ، ونعوذ بك من سخطك والنار برحمتك يا عزيز يا غفار ، اللهم فجر ينابيع الإيمان فى قلوبنا ، اللهم بيض وجوهنا ونوِّر قلوبنا بالطاعة ، اللهم وفق ولاة أمورنا إلى ما تحبه وترضاه ، وأعينهم على ما فيه الخير للعباد والبلاد إنك يا مولانا نعم المولى ونعم النصير وبالإجابة جدير وأنت حسبنا ونعم الوكيل .

عباد الله ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ، اذكروا الله يذكركم واشكروه يزدكم واستغفروه يغفر لكم وصلوا على الحبيب المصطفى تفلحوا ، وأقم الصلاة .

* * * * * * * * * * *

في رحاب الوصايا العشر
مع الوصية "الخامسة والسادسة"

الحمد لله الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور بيده مقاليد الخلائق ألا إلى الله تصير الأمور ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تفرد بالتصرف فى الموت والحياة والنشور .

وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله المبعوث رحمة العالمين ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الهداة الطيبين ومن تبعهم بصدق وإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ،

فيا عباد الله عشنا فى الجمعة الماضية فى رحاب الوصية الثالثة والرابعة من الوصايا العشر الإلهية ، واليوم موعدنا مع الوصية الخامسة والسادسة سائلين الحق عز وجل أن ينفعنا بهما بمنه وكرمه .

أيها الأحباب : فعن الوصية الخامسة يقول المولى جل جلاله :

﴿ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[١] .

إنه ما من شك أن الله تفرد بالخلق والتقدير ، فكانت سنته فى الخلق قوانين محكمة بلغت منتهى الإتقان فى ذوات الأشياء ، كل مخلوق فى الكون كبيرا كان أو صغيرا فيه من الإتقان البالغ والنظام من ضمن إيجاده وبقاه إلى الحد الذى قدره الخلاق العليم .

وكل جزء من أجزاء الكون أيضا له ارتباط بغيره فى هذا الكون الهائل وانسجام معه ، وقد أطلع الله الإنسان على كثير من هذه القوانين ومكنه من السيطرة عليها وإخضاعها لما يعود عليه بالخير والرفاه فى حياته ، إذا هو التزم الحدود التى حددها

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٥١ .

وضبط نفسه بالنظام الذى سطره باريها كل تجاوز من الإنسان لحدود الله وتمرد على الكون ونظامه يعود بالخسران والوبال على الإنسان كفرد وعلى الجماعة البشرية عامة ولاشك أن قتل النفس التى حرم الله قتلها إلا بالحق هو من أبشع التعدي على حدود الله .

عباد الله: من أجل ذلك جعل المولى سبحانه وتعالى قتل النفس حراما وقرنه بالشرك بالله عز وجل فى أكثر من آية ، وجعل الله تعالى قتل النفس البريئة بغير حق كقتل الناس جميعا ، فقال تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [١] .

من هنا وجب على كل مسلم يخشى الله ويخاف عذابه أن يصون حرمان الناس ، وأن يعلم أنه لا يجوز له الاعتداء على أحد فى نفسه أو ماله أو عرضه كما خطب مولانا رسول الله ﷺ فى خطبته المسماة بخطبة الوداع حيث قال ﷺ: **«إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام ، كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا»** [٢] .

ولقد توعد الله القاتل بأقسى أنواع العقوبة وأشد أنواع العذاب فقال تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [٣] .

فحكم الله على القاتل بأحكام أربعة وعقوبات أربع لكل عقوبة أشد وأقسى من أختها:

الأولى: "فجزاؤه جهنم خالداً فيها" فيا ويله من جهنم ، ويا ويله من دار طعامه فيها الزقوم وشرابه الحميم ، ولباسه من قطران ، يا ويله من : ﴿ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ ﴾ [٤] ﴿ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ [٥] ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ

---

(١) سورة المائدة الآية: ٣٢

(٢) رواه البخارى ومسلم .

(٣) سورة النساء الآية: ٩٣ .

(٤) سورة الهمزة الآية: ٦ ، ٧ .

(٥) سورة الإسراء الآية: ٩٧ .

جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ (١) ..

يا ويله من نار حامية ، فُضِّلت على نار الدنيا بتسعة وستين جزءا كما جاء عن النبى ﷺ أنه قال: «**إن ناركم هذه التى توقدون جزء من سبعين جزءا من نار جهنم**» ، قالوا يا رسول الله إن كانت لكافية ، قال: «**لكنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلها مثل حرها**» (٢) .

العقوبة الثانية: لعنة الله ومعناها: الطرد من رحمته سبحانه .

العقوبة الثالثة: غضب الله ويا خسارة تجارته بئس لعبد يجلب لنفسه سخط الله وغضبه .

العقوبة الرابعة: وأعد له عذابا عظيما .

إن سفك الدماء البريئة بغير حق جريمة نكراء ، جريمة عظيمة عند الله سبحانه حتى جاء فى الحديث عن النبى ﷺ أنه قال: «**لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمناً بغير حق**» (٣) .

وقال ﷺ: «**لو أن أهل السماء والأرض اشتركوا فى دم مؤمن لكبهم الله عز وجل فى النار**» (٤) .

تلك هى عقوبة القاتل فى الآخرة ، أما عقوبته فى الدنيا فهى القصاص قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٥) .

ثم قال سبحانه مبينا حكمة القصاص وحكمة مشروعيته:

---

(١) سورة النساء الآية: ٥٦ .

(٢) رواه البخارى ومسلم والترمذى .

(٣) رواه ابن ماجه بإسناد صحيح .

(٤) رواه الترمذى .

(٥) سورة البقرة الآية: ١٧٨ .

﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [1] .

ذلك أن الرجل حين يهم بقتل امرئ ويعلم أنه مقتول به حال علمه هذا بينه وبين ما أراد ، فإن غلبته نفسه وشيطانه فقتل ثم قتل كان قتله ردعاً لغيره ممن تحدثه نفسه بسفك دماء الناس بغير حق .

تلك هى عقوبات القاتل غيره ، فما جزاء الذى يتعدى على نفسه هو فيقتلها ؟ ما جزاء الانتحار ؟ ما جزاء الذى يتعجل الموت لنفسه فيتعاطى من الأسباب ما يزهق روحه ويذهب بنفسه ؟ .

إن الانتحار جريمة عظيمة وعقوبته أليمة فقد جاء فى الحديث عن النبى ﷺ: **«من تردى من جبل فقتل نفسه فهو فى نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا فيها أبدا . ومن تحسَّى سُمًّا فقتل نفسه فَسُمُّهُ فى يده يتحسّاه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا ، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يتوجّأ بها فى بطنه فى نار جهنم خالدا فيها أبدا»** [2] .

عباد الله هذا ولكن أيصلى على المنتحر أو على ما قتل نفسه؟

ذهب السادة الحنابلة إلى أنه لا يسن للإمام الأعظم ولا لإمام كل قرية وهو واليها فى القضاء الصلاة على قاتل نفسه عمدا أو المنتحر ، وذلك لأن النبى ﷺ ترك الصلاة عليه ولكنه لم يمنع أصحابه من الصلاة عليه [3] .

ويرى السادة المالكية أنه يكره للإمام وأهل الفضل من أصحاب العلم أو الصلاح أو الإمامة أو العمل الصلاة على الزانى وشارب الخمر ومن قتل نفسه [4] .

وقال الإمام أبو حنيفة وصاحبه الإمام محمد بن الحسن: يصلى على المنتحر وقاتل نفسه ، وقال أبو يوسف لا يصلى عليه لأنه ظالم بالقتل [5] .

---

(١) البقرة الآية : ١٧٩ .

(٢) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى .

(٣) انظر منتهى الإرادات ج١ ص ٣٤٤ وغاية المنتهى ج١ ص ٢٦٣ .

(٤) انظر شرح سيدى عبد الباقى الزرقانى على مختصر سيدى خليل ج١ ص ١٠٧ وانظر جواهر الإكليل ج١ ص ١١٤ .

(٥) انظر شرح فتح القدير ج١ ص ٤٧٩

وعند الشافعية : يجوز أن يصلّى على أهل الكبائر ومنهم المنتحر وقاتل نفسه وهذا ما نميل إليه فنصلى على المنتحر وقاتل نفسه وحسابه على الله [(١)] .

أيها الأحباب : علينا أن نتقى الله وأن نجتنب القتل وإلا كنا من الخاسرين .

جعلنى الله وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

ومع الوصية السادسة نلتقى بعد جلسة الاستراحة توبوا إلى الله واسألوه من فضله .

الخطبة الثانية :

الحمد لله وكفى وصلاة وسلاما على عباده الذين اصطفى ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله النبى الأمى الكريم ، وعلى آله وصحابته ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ،

فيا عباد الله أوصيكم ونفسى بتقوى الله وطاعته ، وأحذرنى وإياكم عصيان الله ومخالفة أمره .

عباد الله : هيا بنا مع الوصية السادسة ألا وهى رعاية مال اليتيم والتى تكفل الله بذكرها فى قوله الكريم : ﴿ وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ .

فعلى كل من أراد أن يحفظ له أولاده عليه أن يتقى الله فيما يرتزق من المال ولا يأكل إلا حلالا وليتجنب أكل أموال اليتامى فإن ذلك جرم عظيم .

والشريعة الغراء لم تغفل حقوق اليتامى فقد تحدث القرآن الكريم عن اليتامى فى ثلاثة وعشرين موضعا تدعو إلى رعايتهم والحفاظ على أموالهم والسهر على مصالحهم ، بل وتشدد النكير على من تسول له نفسه أن يعتدى على أموالهم أو يأكل شيئا من حقوقهم .

---

(١) انظر المجموع شرح المهذب ج٥ ص ٢٦٧ .

عباد الله :

واليتيم فى اصطلاح الفقهاء هو : من فقد أباه وهو دون البلوغ .

واليتيم ليس منقصة فى العبد ولكنها إرادة المولى سبحانه وتعالى الذى يفعل ما يشاء ويختار .

عباد الله وإذا كان اليتيم هو ابتلاء من الله فإنه سبحانه قد عنى باليتامى كل الاعتناء وذلك فى كتابه الخالد أبد الدهر .

حيث يقول المولى عز وجل: ﴿ وَآتُواْ الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ [١] .

فقد شملت هذه الآية على تحذير يكفل حماية اليتامى وأموالهم إذا ما تطلعت بعض النفوس إلى شىء من الجشع والطمع من باب التحايل أو نحوه من استبدال شىء ، فيكون طريقا لاستبدال طيب بخبيث ففيها تنبيه على فظاعة الذنوب المترتب على استبدال طيب ماله بخبيث مال الولى أو غيره .

ثم يأتى الوعيد الشديد فى صورة مؤثرة لمن له قلب فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [٢] .

وقد اتفق العلماء على أن الآية شملت من النهى عن أكل أموال اليتامى كل ما فيه إتلاف أو تفويت سواء كانت مآكل حقيقة أو اختلاس أو نحوه ، إذ لا فرق فى ضياع مال اليتيم عليه بين كونه بأكل أو بغيره حتى ولو بطريق الإهمال فيه .

فإذا تم الحفاظ على مال اليتيم بحيث لا يقربه الولى إلا بالتى هى أحسن ، ولم يبدله بغيره أقل منه ، ولم يخلطه بماله ليأكله عليه ، ولم يتعد عليه بأى إتلاف كان محفوظا له إلى أن يذهب يتمه ويثبت رشده قال تعالى: ﴿ وَابْتَلُواْ الْيَتَامَى حَتَّىَ إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن

---

(١) سورة النساء الآية : ٢

(٢) سورة النساء الآية : ١٠

يَكْبَرُواْ ﴾ [١] .

ثم يحيط دفع المال إليه بموجبات الحفظ قال تعالى: ﴿ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ ﴾ [٢] وذلك حتى لا يكون هناك إنكار فيما بعد ثم يختم الآية بقوله: ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ لينبه فى الأولياء وازع مراقبة الله تعالى وخشيته ، فيقوموا بواجب الحفظ والرعاية مما تحت أيديهم من أموال أولئك اليتامى .

ولقد حث الرسول ﷺ ورغب فى الإحسان إلى اليتيم .

فعن سهل بن سعد عن النبى ﷺ قال: «**أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا (وقال بإصبعيه السبابة والوسطى)**» [٣] .

قال ابن بطال: "حق على من سمع هذا الحديث أن يعمل به ليكون رفيق النبى ﷺ فى الجنة ولا منزلة فى الآخرة أفضل من ذلك" [٤] .

وعن سيدنا أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله**» [٥] .

وعن سيدنا أبى هريرة رضى الله عنه أيضا: أن رجلا شكا إلى رسول الله ﷺ قسوة قلبه ، فقال: «**امسح اليتيم وأطعم المسكين**» [٦] .

فاتقوا الله عباد الله وحافظوا على اليتامى واعرفوا حقوقهم ،

اللهم بصِّرنا بعيوبنا ووفقنا إلى مرضاتك .

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات ووفق إلهى ولاة أمورنا إلى كل ما تحبه وترضاه .

---

(١) سورة النساء رقم ٦ .
(٢) رواه البخارى .
(٣) رواه البخارى .
(٤) انظر فتح البارى شرح صحيح البخارى لابن حجر ، ج١٠ ص ٤٥١ ، رقم الحديث ٦٠٠٥ ط دار الريان .
(٥) رواه البخارى .
(٦) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

وأعنهم على تحرير الأقصى الشريف .

عباد الله ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ، اذكروا الله يذكركم واشكروه يزدكم ، وصلوا على الحبيب المصطفى تفلحوا ، وأقم الصلاة .

****

في رحاب الوصايا العشر
مع الوصية السابعة والثامنة

الحمد لله الذى بين الحرام والحلال وفصل الحق من الضلال وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أباح التعامل بين الناس رفقا بهم وتكسيرا عليهم .

وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا رسول الله حرم الضرر والضرار ونهى عن الغش والخداع ، اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الأمي الأمين ، وارض اللهم عن آله وصحابته والتابعين يوم الدين .

أما بعد ،

فيا عباد الله : نعيش مع حضراتكم حول الوصية السابعة والثامنة من الوصايا العشر الإلهية ، والوصية السابعة يوصينا بها المولى عز وجل بوفاء الكيل والميزان .

فمما لاشك فيه أن البيع والشراء دعامة من دعامات الحياة وضرورة من ضرورات الاجتماع وطريق من طرق التعاون والتبادل لذلك أباحها الله تعالى وشرعها الإسلام ، ونطق القرآن العظيم بأن الله قد أحل البيع ويلزم منه إحلال الشراء ، وأثنى الله على قوم فى قوله الكريم : ﴿ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٢) .

وقل جل ذكره ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ (٣) .

وقد جعل الله الاشتغال بالرزق والضرب فى الأرض حثا على القوت وطمعًا فى

(١) سورة النور الآية : ٣٧ .
(٢) سورة الجمعة الآية : ١٠ .
(٣) سورة الملك الآية : ١٥ .

الربح والكسب سببا من أسباب التيسير والتخفيف وقدمه من الذكر على الجهاد فى سبيل الله فقال تعالى: ﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ ﴾ (١).

ولما سئل رسول الله ﷺ أى الكسب أفضل ؟

قال عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور (٢).

فالكسب الناتج من البيع المبرور وهو أطيب الكسب وأفضله وأذكاه وأحسنه ، والبيع المبرور هو البيع الذى لا غش فيه ولا تدليس ولا خيانة ولا تطفيف ، وضع الله للبيع نظما دقيقة ، وشرع قوانين محكمة ، بها تصان الحقوق ، وتحفظ الأموال وتنضبط المعاملات ، وبتنفيذها يصل كل من البائع والمشترى إلى تمام حقه ويقع على كامل غرضه ، ومما قاله رسول الله ﷺ فى بيان هذا المعنى : **«البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ، فإن صدقا وبّينا بورك لهما فى بيعهما ، وإن كتما وكذبا فعسى أن يربحا ويمحقا بركة بيعهما»** (٣).

ومن أهم القوانين الإسلامية التى يجب مراعاتها عند البيع والشراء ، وفاء الكيل والميزان ، فقد شرع الله الكيل والوزن تحقيقا للعدالة وتأكيدا للنزاهة ورفعا للخصومة وليعرف كل من البائع والمشترى ما له وما عليه فيأخذ كامل حقه ، ولا يتطلع إلى شىء من حق غيره ، وهل يمكن تحقيق هذه الأغراض إلا باستيفاء الكيل والوزن تحقيقا للعدالة ، وتأكيدا للنزاهة؟ وهل تستطيع أن تصل إلى حقك وأن تميزه من حق غيرك ، عند البيع والشراء والأخذ والعطاء إلا بميزان مضبوط وكيل محدود ومعاملة صادقة ؟

فالكيل والميزان نعمة من نعم الله تبارك وتعالى أرشدنا إليها وامتن بها علينا لنعرف قدرها ونؤدى حقها وشكرها فقال تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ﴾ (٤).

---

(١) سورة المزمل الآية : ٢٠ .
(٢) رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط ورجاله ثقات .
(٣) رواه الشيخان .
(٤) سورة الشورى من الآية : ١٧ .

وقال جل ذكره: ﴿ وَالسَّمَاء رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾ [1] .

فنهى الله سبحانه وتعالى عن الطغيان فى الميزان ، كما نهى عن إخسار الميزان والطغيان فى الميزان ، بأن يتحايل فيه المشترى حتى يأخذ به أكثر من حقه وإخسار الميزان تطفيفه والسرقة فيه ، وأن يتحايل فيه البائع حتى ينقص المشترى شيئا من حقه ، فالطغيان اعتداء وزيادة ، وهو ضررٌ واقع على البائع والخسران تطفيف ونقصان وهو ضرر واقع على المشترى ، وكل من الطغيان والخسران عدول عن الجادة وانحراف عن الحق وابتعاد عن الغرض الذى من أجله شرع الله الكيل والوزن ؛ لذلك حرمهما الله تعالى ونهى عنهما وأمر بالعدل والقسط .

فإذا كان ميزانك أيها التاجر - مضبوطاً وكيلك وافياً وقولك صادقاً ، كان كسبك طيباً ، ومالك حلالاً وبيعك وشراؤك رابحاً ومباركاً وكنت محبوباً عند الله موثوقاً بك عند الناس ، قال ﷺ: **«التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء»**[2] .

عباد الله ، يروى أن تاجراً صالحاً كان كثير الحج والعمرة وعرف عنه الخير الكثير فلما مات رآه أحد أصحابه فى منامه ، فقال له ماذا فعل الله بك يا أخى؟ فقال له: والله لقد سُئلت سؤالاً ما وجدت له جواباً ، فقال له وعن ماذا سئلت؟ فقال له: قيل له: لماذا كنت تزن للناس بضاعتهم قبل أن تمسح ما على كفة الميزان من غبار .

فأين ذلك من أولئك الذين يضعون الأوراق فى الماء حتى تكون ثقيلة فى الميزان وهم يزنون اللحوم حتى توفر لهم؟ وأين ذلك من أولئك الذين يربطون فتلة فى أسفل الميزان وطرفها الآخر فى أصبع قدميه؟ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

يقول سيدنا قتادة: "أوف يا ابن آدم كما تحب أن يوفى لك ، وأكل كما تحب أن يعدل لك" .

ويقوله سيدنا الفضيل بن عياض: بخس الميزان سواد يوم القيامة ، وما أحسن

---

(١) سورة الرحمن من الآية: ٧-١٠ .
(٢) رواه الترمذى وقال حديث حسن .

قول من قال: "الويل لمن يبيع بحبة ينقصها جنة عرضها السماوات والأرض، ويشترى بحبة يزيدها وادياً فى جهنم يذيب جبال الدنيا وما فيها".

وخرج المصطفى ﷺ إلى المصلى فرأى الناس يتبايعون، فقال: «**يا معشر التجار**»، فلما استجابوا له ورفعوا أعناقهم وأبصارهم إليه قال: «**إن التجار يبعثون يوم القيامة فجاراً إلا من اتقى الله وبرّ وصدق**»[1].

وعنه ﷺ أنه قال: «التائب حبيب الرحمن والتائب من الذنب كمن لا ذنب له سلوا الله العظيم من فضله ويغفر الله لى ولكم ولسائر المسلمين أجمعين.

الخطبة الثانية :

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله، الرحمة المهداة والنعمة المسداة والسراج المنير.

اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الهداة الطيبين.

أما بعد،

فيا عباد الله فمع الوصية الثامنة نلتقى حيث يقول الحق تعالى: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ﴾[2].

عباد الله: لقد كانت الوصية السابقة الأمر بإيفاء الكيل والميزان بالقسط الذى يدخل فى مقدور الإنسان واستطاعته، وهو بذلك نوع من العدل الذى اهتم به القرآن وحفل له، وجمع له من الأوامر والترغيبات ما جعله أصلاً من أصول الدين وأوامره، وفى هذه الوصية يقصد إلى العدل بوجه خاص ويسوقه بعبارة مستقلة عامة ﴿ إِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ ﴾.

العدل فى الأقوال والأعمال :

والقول وإن كان ظاهرا، أو خاصا فى المتعارف العام بالكلام ينطق به الإنسان،

---

(١) رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح.

(٢) سورة الأنعام من الآية: ١٥٢

إلا أنه فى واقعه يجرى مجرى الأفعال والألفاظ ، وكل ما يدور فى النفس من معان تعلن بالقول ، ويتصل أثرها بالحياة فالشاهد يشهد معبرا عما فى نفسه ، والحاكم يصدر حكمه معبرا عما فى نفسه ، والفاعل يصدر بفعله معبرا عما فى نفسه ، وإذن فالقول من هذه الجهة يتناول كل ما يعبر به الإنسان عما استقر فى نفسه من أخبار أو أحكام أو إرادات ، فإن صح ذلك وأطلق على كل منها "قول" وخوطب أصحابها بكلمة ﴿ **وَإِذَا قُلْتُمْ** ﴾ فذاك وإلا فلا أقل من أن يلحق غير القول بالقول ويكون طلب العدل فى الأقوال التى تعبر عن المعانى النفسية ، وعن الأفعال المتصلة بالحياة ، يقتضى اقتضاء أَوَّلِيًا طلب العدل فى تلك المعانى وهذه الأفعال .

والعدل فى الأصل معناه : "التسوية" وهى تشمل التسوية بين الناس فى إعطاء الحقوق ، والتسوية بين الأقوال والوقائع ، وبين الحكم وما تثبته البينة وبين التصرف وما تقضى به أحكام القوانين والشرائع .

فإلى الذين يجلسون للحكم بين الناس فى الجلسات العرفية عليهم أن يتقوا الله ويعدلوا بين الناس دون مبالاة بصداقة أحد الأطراف ، فإن مسئوليتهم أمام الله كبيرة لأنه الحكم العدل ، كذلك على الآباء والأمهات أن يعدلوا بين أولادهم فى كل شىء حتى فى القُبْلة ، وأن يعدلوا بين أزواج أبنائهم .

نعم فإن العدل عنوان المتقين ولاشك أن العدل من الأخلاق الرفيعة التى يتصف بها كل مؤمن عادل .

ومن ثم فقد روى عن سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «**إن المقسطين عند الله على منابر من نور الله عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم وما ولوا**» [1]

من أجل ذلك يا عباد الله :

فإن الإسلام يحثنا على العدل الأُسَرِى ويحذرنا من الظلم بين أفراد الأسرة فلا يحق للمسلم أن يفضل زوجة على زوجة ولا ابنا على آخر ، ولا ذكرا على أنثى فذلك

(١) رواه مسلم والنسائى .

يوغر الصدور ويزرع الأحقاد ويوقد نار العداوة بين الأقرباء - توزعون التركات حسبما تمليه عليكم الأهواء والرغبات .

فهل نسيتم أن شريعة الله كاملة وقد قسمت المواريث بين الأبناء والبنات والإخوة والأخوات والآباء والأمهات ، ومن يستحقون من الأقرباء والقريبات؟ فلم تغيرون فى شريعة رب الأرض والسماوات ؟ ستسألون وستحاسبون وستعاقبون بما تصنعون ، فأنتم لعقود وهمية تكتبون ، ولبعض الأبناء تبيعون إذا كان الرسول ﷺ يقول: «**لا وصية لوارث**» فما بالكم بالبيع الوهمى له ، ضياعا لحقوق الآخرين ، لقد ذكرنا سيدنا النعمان بن بشير أن أباه أعطاه عطية فقالت أمه: لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ ، فقال له الرسول ﷺ: «**أأعطيت كل أولادك مثل هذا؟**» قال: لا . قال: «**فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم**» [1] .

فاتقوا الله أيها المسلمون واعدلوا بين أولادكم ولا تخالفوا شريعة ربكم فلا تعلمون أيهم أقرب لكم نفعا ، اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه ، اللهم وفقنا للعمل بشريعة رسولك واهدنا للعمل بكتابك ، واجمعنا على رضاك وتقواك يا رب العالمين ، وأقم الصلاة خشوعا وخضوعا لله .

* * * * * * * * * * *

(١) رواه الشيخان وأصحاب السنن .

في رحاب الوصايا العشر
مع الوصية التاسعة والعاشرة

الحمد لله تعالى بالمجد له الأمر من قبل ومن بعد ، ولن يخلف لله وعداً ولا عهداً ، أحمده وَعَدَ فوفى ، ومَنَحَ وما طلب ولا أحفى والله يعلم السر وأخفى .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من حفظ عهد ربه ، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله عاهد وما خنز وأمن وما غدر صلى ربى وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بصدق وإخلاص وإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ،

فيا أتباع سيدنا ومولانا محمد عليه الصلاة والسلام ، نعيش مع حضراتكم فى هذا اليوم فى رحاب الوصية التاسعة والعاشرة من الوصايا الإلهية العشر ، سائلين الحق جل علاه أن ينفعنا بهما بل وبجميع الوصايا إنه سميع مجيب .

عباد الله ، وقد وصانا الحق جل علاه بالوصية التاسعة وهى تحمل فى طياتها الوفاء بالعهد فقال عز من قائل: ﴿ وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[1] .

أيها المؤمنون: لقد حث الله فى كتابه أكثر من مرة على الوفاء بالعهد واتباع الالتزام بتحقيقه ، وإن العهود لمتنوعة:

فأولاً: العهد الذى أخذه الله على البشر جميعاً أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً . قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ ﴾[2] .

---

(١) سورة الأنعام الآية: ١٥٢ .

(٢) الأعراف الآية: ١٧٢ .

هذه حقيقة كبرى من حقائق الكون والخلق أعلمنا الله بها ، أعلمنا أنه جمع أصل خلق كل فرد من أفراد الناس لم يتخلف عن ذلك أحد ، ثم أشهدهم أنه هو الخلاق العليم لا يشاركه في ذلك أحد ، ولا يستحق الألوهية والعبادة أحد غيره سبحانه ، ولقد كان الإيمان بهذا الجمع بعيدا عن التصور البشرى ، آمن به من آمن لأنه من عند الله ووقف عند هذا الحد . ثم إنه بعد أن فتح الله للفكر كوة من المعرفة أخذ يدرك هذه الحقيقة إدراكا أوضح فى حدود المعرفة التى بلغها ، فماذا عرف الإنسان ؟ علم الإنسان . أن الناسلات خلايا الوراثة تحفظ كل واحدة منها سجل الإنسان كاملاً وتتضمن خصائص الفرد . ثم إن هذه الخلايا التى تحتفظ بالسجل لأربعة آلاف مليون من البشر وتكمن فيها خصائصهم ، وهى لا يزيد حجمها على مقدار الأنملة من إبهامك .

إن كل خلية من هذه الخلايا لو استطعت قراءتها لوجدتها متضمنة كل طبائع الخلق الخاص فكراً ، وسمات مادية وعواطف وغرائز وتطورات ، لون البشرة ولون العين ومقدار اتساعها وضيقها وشكلها ولون الشعر واسترساله أو جعودته وقدرته على الثبات أو تسارع السقوط إليه . فتبارك الله أحسن الخالقين .

إن هذا الخلق العجيب فى فطرته بذرة الإيمان وما الكفر إلا تنكر للفطرة التى فطر الله الناس عليها ، وانحراف عن الجادة وعمى ، وخيانة للعهد الموثق فى باطن الإنسان ، وإنه يتبع عهد الإيمان بالله عهدا آخر هو عبادته ، وتخصيصه وحده بأنه الله المستحق لأن يتقرب إليه الإنسان وأن يخضع له ، وأن يطلبه رغبا وأن يحذره رهبا قال تعالى : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ (١) .

عباد الله أما العهد الثانى : فهو العهد الذى أُخذ على كل واحد من الزوجين على الآخر . الوفاء لحقوق الزوجية والقيام على صفاء العلاقة فى الحضور والغيبة . لقد جعل الله عقد الزوجية ميثاقاً غليظاً ، وثقه بشرعه وغلظه ورعاه بحكمته وعدله ، وقد أوصى مولانا رسول الله ﷺ بالنساء خيرا وحرج على الأزواج حتى يحققوا البناء الجديد

---

(١) سورة يس آية : ٦٠ ، ٦١ .

للمجتمع الإنسانى كما يريده الله ، وكان ذلك إحدى العناصر الرئيسة فى خطبته فى حجة الوداع ، فعن سيدنا جابر أن رسول الله ﷺ قال فى خطبته : **«اتقوا الله فى النساء فإنكم أخذتموهن بكتاب الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله تعالى وإن حكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف»** (١) .

فليس الزواج فى الإسلام قضاء شهوة ولا إنجاب أطفال ولا شركة مالية فقط ولكنه أمانة وعهد ميثاق يسأل كل من الزوجين عن الوفاء بما صنع فى هذا العقد ويحاسب عن احترامه أو تضييعه .

لقد قامت أصوات تنادى بإنصاف المرأة فتعسّفت فى حكمها على الرجل وظلمته ، وظلمت المرأة فى آن واحد إذ حررتها من قوامة الرجل ووضعتها تحت سلطة هى أقسى حاضرا ومآلا : هى سلطة الغريزة وسلطة الشهوة وسلطة الشيطان .

ألا فانظروا إلى العالم الغربى الذى نقلده ماذا تم فيه؟ نعم . استقلت المرأة مالياً ودفعت ثمن استقلالها هذا تفككاً فى الروابط وانفصاماً سريعاً للعلاقة الزوجية ، وجرياً لاهثاً وراء الإنفاق والسرف الذى هو سراب خادع كلما ظن الناظر أنه بلغه ابتعد عنه .

انصرف الرجل عن الارتباط بعقد الزوجية . ثم انصرف عن الوفاء به إذا أتمه وعقده ..

أما العهد الثالث يا عباد الله : فهو عهد الوفاء بالالتزامات التى يرتبط بها إنسان بمقتضى انتسابه للجماعة ، ويتمثل هذا فى القيام بالخدمات التى تتطلبها الجماعة ، وعدم التعدى على مكاسبها ، لقد خلق الإنسان فى الجماعة ليأخذ ويعطى وليس من الطفيليات التى تمتص ولا تنمى وتأخذ ولا تعطى ، ولقد قال سيدنا محمد ﷺ **«ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ، رجل أعطى بى ثم غدر ، ورجل باع حُرًّا ثم أكل ثمنه ورجل استأجر أجيرا فاستوفى العمل ، ولم يوفه أجره»** (٢) .

ويقول صلوات ربى وسلامه عليه : **«من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقدة**

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه البخارى وهو حديث قدسى رواه المصطفى صلى الله عليه وسلم عن رب العزة .

ولا يحلها حتى ينقضى أمدُها أوينبذ إليهم على سواء» [١] .

ولقد حدث موقف طريف بين سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وبين الهرمزان كبير الفرس . إذ أسر المسلمون الهرمزان فأمر سيدنا عمر بقتله ، فطلب شربة ماء ، فلما جىء بالماء إليه أظهر خوفه من القتل وطلب الأمان من سيدنا عمر حتى يشربه ، فأعطاه سيدنا عمر الأمان فأسرع بإراقة الماء على الأرض وقال: الوفاء يا عمر فأمر سيدنا عمر بعدم قتله احتراماً للعهد . فأعلن الهرمزان إسلامه .

فاتقوا الله عباد الله ، وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا داعى لما نراه من نقض للعهود فإن ذلك من صفات المنافقين والعياذ بالله ، نسأل الله عز وجل العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة ، ومع الوصية العاشرة نلتقى بعد جلسة الاستراحة نفعنى الله وإياكم بالكتاب العزيز وبسنة البشير النذير واسألوا الله من فضله .

غفر الله لى ولكم أجمعين .

الخطبة الثانية :

الحمد لله الذى بيّن بقويم شرعه وعادل أحكامه ، مستقيم المحجة وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدًا عبده ورسوله المبعوث بالحق الأبهج داعيا ، وبالطريق الأنهج إلى دار السلام مناديا : اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الهداة الطيبين .

أما بعد ،

فيا عباد الله ، ألتقى بحضراتكم على جناح السرعة مع الوصية العاشرة من الوصايا الإلهية حيث يقول المولى جل علاه .

﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [٢] .

---

(١) رواه الترمذى عن عمرو بن عنبسة .

(٢) سورة الأنعام من الآية : ١٥٢ .

عباد الله : لقد استقام الأمر ووضح المقصد وتبين المنهج الإسلامى لمن تتبع الوصايا التى تلاحقت لآلئ حباتها الواحدة تلو الأخرى ، فتكون منها جميعاً الطريق المشاهد .

عباد الله : أما الوصية العاشرة فهى الوصية العامة التى تتناول جميع أحكام الله وشرعه ، وقد أطلق الله فيها على دينه وشرعه كلمة : ﴿ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ وقال : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ .

وشَرْعُ الله ودينه وِحْدَةٌ قائمة فى الوجود متميزة بذاتها وحكمها ، وأسرارها واضحة جلية تتلقاها العقول عن الطبيعة البريئة من ظلمات المادة ، ومن تقاليد الأهواء ، وتتلقاها عن الوحى فى الرسالات والكتب ظاهرة ليست بخافية ، بارزة ليست بمستترة ، بذلك أخذت حكم المحس المشاهد وقيل فيها : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا ﴾ وصدق الجليل إذ يقول : ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [١] .

إن الإنسان لا يجزع إلا إذ نسى ربه ، ولا يتيه بالنعمة إلا إذا غفل عن ربه أيضا ، والمحروم الجزع والمنعّم الجاحد كلاهما فى شقاء .

المحروم فى شقاء لأنه يحس بألم الحرمان ولا يجد من ذاته ما يعوض عليه ما نقصه من الأمور الخارجية ، وهو فاقد للأمل تبعا لذلك ، والمنعَّم هو خائف حذر على النعماء التى بين يديه ولا اطمئنان إلا بالإيمان ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [٢] .

ونجد مولانا سبحانه وتعالى يقول مخاطبا نبيه المصطفى الأمين فيقول له : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [٣] .

ففى هذه الآية الكريمة أمر الله نبيه بالاستقامة على مناهج دينه والعمل بما جاء فيه

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٠١ .
(٢) سورة الرعد آية : ٢٨ .
(٣) سورة هود الآية : ١١٢

والقيام بالدعوة إليه فلزم المنهج الذى رسمه له وأيده بروح من عنده حتى جاء الحق وظهر أمر الله .

فعن سيدنا عبد الله بن مسعود قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطاً ثم قال: **«هذا سبيل الله»** . ثم خط خطوطاً عن يمينه وشماله وقال: **«هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو له»** . ثم قرأ: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ [1] .

اللهم إنا نسألك يا ذا الجلال والإكرام أن تنفعنا بالوصايا العشر ، وأن ترزقنا اتباع أوامره واجتناب نواهيه ، وأن ترزقنا اتباع صراطك المستقيم . اللهم أحينا على الإيمان وتوفنا على الإيمان وابعثنا على الإيمان واحشرنا فى زمرة سيد الأنام وبارك فى الأعمار والأموال والأولاد . اللهم حرر الأقصى الشريف وانتقم من أحفاد القردة والخنازير وأيدنا بجند من عندك يا رب العالمين .

عباد الله :

﴿ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ، اذكروا الله يذكركم واستغفروه يغفر لكم واسألوه يزدكم وصلوا على الحبيب المصطفى تفلحوا: وأقم الصلاة .

* * * * * * * * * * *

---

(١) واه الإمام أحمد والنسائى .

آداب بيوت الله الظاهرة والباطنة

الحمد لله الذى وفقنا لاتباع كلامه ، وهدانا للعمل بأحكامه ، ونسأله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من أهل بره وإكرامه وفضله وإنعامه نحن والحاضرين والسامعين أجمعين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جعل بيوته فى الأرض المساجد وجعل زواره عمارها اللهم اجعلنا منهم يا رب العالمين .

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا ومولانا محمدًا عبده ورسوله القائل :

«إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان» (١) .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه الذين هم مصابيح الهدى ، وارض اللهم عن تابعيهم بإحسان إلى يوم الدين :

أما بعد ،

فيا أتباع المصطفى ﷺ: نعيش تلك الجمعة الطيبة المباركة فى رحاب آداب بيوت الله الظاهرة والباطنة ولاسيما أن هذه الآداب قد فقدت فى عصرنا هذا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

عباد الله :

ولا يمكننى أن أتكلم عن هذه الآداب قبيل سماعنا لهذا الحديث الجامع المانع نفعنى الله وإياكم به .

فعن سيدنا أنس بن مالك رضى الله عنه عن سيدنا رسول الله ﷺ أنه قال : **«من أحب الله عز وجل فليحبنى ومن أحبنى فليحب أصحابى ، ومن أحب أصحابى فليحب القرآن ومن أحب القرآن فليحب المساجد ، فإنها أفنية الله - أبنيته - أذن فى رفعها وبارك فيها ميمونة ميمون أهلها- محفوظة محفوظ أهلها ، هم فى صلاتهم والله -**

---

(١) رواه الترمذى واللفظ له وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان والحاكم .

عز وجل - فى حوائجهم هم فى مساجدهم والله من ورائهم» [١] .

عباد الله : هذا الحديث الشريف يبين لنا فضل المساجد ويخبرنا فيه الرسول الكريم صلوات ربى وسلامه عليه عما يجب علينا نحوها من حب وتعلق بها ، وتقديس لها وذلك لأنها منسوبة إلى الله عز وجل وما ينسب إليه - جل جلاله - فهو محل الإكبار ، ولأنها أقيمت لأشرف رسالة وهى عبادة الله عز وجل .

عباد الله ، وأول أدب من آداب بيوت الله : الطهارة : فعلى المسلم عندما يريد الذهاب إلى المسجد أن يتطهّر من الحدث الأكبر والأصغر ؛ ثم يخرج قاصدا بيت الكريم جل جلاله وبذلك يدخل تحت مظلة وروضة الحديث القدسى الذى يقول فيه مولانا جل جلاله : «**إن بيوتى فى الأرض المساجد وزوارى فيها عمارها فطوبى لمن تطهر فى بيته وزارنى فى بيتى وحقّ على المزور أن يكرم زائره»** [٢] .

ومن ثم كان من آداب بيوت الله عز وجل أن يتطهر العبد فى بيته أى يتطهر الطهارة الحسية ثم يتوج تلك الطهارة بطهارة أخرى وهى أهم ألا وهى الطهارة المعنوية وهى الطهارة من الذنوب والمعاصى ، وطهارة القلب من كل ما سوى الله ذلك لأن الله جل جلاله يغار من عبده أن يشغل القلب بسواه : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [٣] .

وإذا ما التزمت أخى المسلم المؤمن بالطهارتين الحسية والمعنوية فاعلم أن الله يحبك قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [٤] .

إذن ، فعلى المؤمن أن يذهب إلى المسجد نظيف الثوب على أكمل وجه فى مظهره اللائق بجلال المزار والملتقى به سبحانه وتعالى ، حيث أن الصلاة لقاء بالمولى عز

---

(١) رواه سيدنا ومولانا الإمام القرطبى فى تفسيره ولم أجده فى غيره من الكتب التى تحت أيدينا وانظر الجامع لأحكام القرآن الكريم للإمام القرطبى فى تفسير قوله تعالى " فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه " ج١٢ ص ٢٦٧ ، ط١ دار الحديث بمصر ورواه الإمام البيهقى .

(٢) رواه البيهقى فى شعب الإيمان وأبو نعيم .

(٣) سورة ق آية : ٣٧ .

(٤) سورة البقرة آية : ٢٢٢ .

وجل فإن العبد فى الدنيا إذا علم أنه سوف يلتقى بمسئول عظيم القدر فإنه يعد نفسه ليكون على أحسن صورة لأنه فى لقاء بمخلوق مثله ، فكيف باللقاء بمولاك قائد خطاك؟ وهو الذى أمرك فى كتابه الكريم منادياً لك ولنا جميعاً بقوله: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ [1] وأسأل الله عز وجل أن يرزقنا جميعاً الجمال الظاهرى والباطنى .

عباد الله ، ومن الآداب المتعلقة بك وأنت ذاهب إلى المسجد: أن تدعو بالدعاء الذى أكرمنا به المصطفى ﷺ فى سنته المطهرة ، ومن ذلك:

ما روته لنا أمنا وسيدتنا أم سلمة رضى الله عنها وأرضاها:

إذ قالت كان رسول الله ﷺ إذا خرج من بيته قال: «**بسم الله توكلت على الله اللهم إنى أعوذ بك أن أضل أو أضل ، أو أذِل أو أُذَل أو أَظْلم أو أُظْلم أو أجْهل أو يُجهل على**» [2] .

واعلموا عباد الله أن هذا الدعاء العظيم يصح للإنسان أن يقوله عند خروجه من البيت قاصدا المسجد أو أى مكان آخر لعل الله عز وجل أن يمنحه ما فى هذا الدعاء ، فما أحوجنا إلى ما فيه ، ومن دعائه ﷺ عند الخروج إلى المسجد أيضا: ما جاء عن سيدنا أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال إذا خرج من بيته ، بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، يقال له: حسبك هديت وكفيت ووقيت وتنحى عنك الشيطان**» [3] .

ومن الآداب أيضا: أن يدخل المصلى برجله اليمنى ويقول: أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم ، بسم الله: اللهم صل على سيدنا محمد ، اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك وإذا أراد الخروج خرج برجله اليسرى ويقول: «**بسم الله صل على سيدنا محمد اللهم اغفر ذنوبى وافتح لى**

---

(١) سورة الأعراف الآية: ٣١ .

(٢) رواه أصحاب السنن وصححه الترمذى .

(٣) رواه أصحاب السنن الثلاثة وحسنه الترمذى .

أبواب فضلك اللهم اعصمنى من الشيطان الرجيم» وذلك لما روى عن مولاتنا السيدة فاطمة بنت سيدنا ومولانا الإمام الحسين عن جدتها مولاتنا السيدة فاطمة الزهراء أنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل قال: **«بسم الله والسلام على رسول الله ، اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك»** ، وإذا خرج قال: **«بسم الله والسلام على رسول الله اللهم اغفر لى ذنوبى ، وافتح لى أبواب فضلك»** [١] .

كما أنه يطلب من المؤمن الذى دخل المسجد ألا يجلس فى المسجد حتى يصلى ركعتين تحية المسجد ولا تفوت تلك التحية بالجلوس عند الفقهاء ، ومن جاء والإمام يخطب يوم الجمعة فلا يصليهما ، لأن تحية المسجد مستحبة وأما السماع والإنصات إلى الخطبتين فهو واجب باتفاق الفقهاء ، واستحباب الصلاة والإمام يخطب قال به الشافعية ومن وافقهم ، وكرهه الحنفية وقال بحرمته المالكية ولا خلاف بينهم فى وجوب الإنصات إلى الخطبتين ؛ لأنهما بمثابة ركعتين واتباع الواجب أولى والعمل المتفق عليه أفضل من العمل المختلف فى مشروعيته ولا داعى للخلاف الكثير والجدل العظيم فى مثل هذه المسألة والحق أحق أن يتبع .

عباد الله ، وأما بالنسبة للمسجد الحرام رزقنا الله وإياكم زيارته فإن تحيته الطواف لا الصلاة .

ولا يسلم على من جلسوا بالمسجد إلا بعد أداء تحية المسجد ، فإن هذا هديه صلوات ربى وسلامه عليه ، ورب البيت مقدم بالتحية عمن سواه .

وعلى المسافر الذى عاد من سفره ألا يذهب إلى بيته حتى يذهب إلى بيت من أعاده سالما غانما إلى أهله ، وذلك بصلاة ركعتين شكرا على حسن العودة .

فقد كان مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين»** [٢] .

وينبغى لمن دخل المسجد أن ينوى الاعتكاف مدة إقامته فى المسجد وذلك فى

---

(١) أخرجه الأئمة أحمد وابن ماجه والترمذى وقال حديث حسن وأخرجه الطبرانى أيضا .

(٢) رواه الأئمة أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه والبيهقى .

العشر الأواخر من شهر رمضان .

عباد الله : وبعد الوقوف على هذه الآداب الجميلة رزقنا الله التحلى بها يجدر بنا أن نلفت الأنظار إلى أمور أخرى ليست محببة إلى الشارع الحكيم فمن ذلك أيها المؤمنون: تشبيك الأصابع عند الخروج إلى الصلاة وفى المسجد عند انتظارها ، ولا يكره فيما عدا ذلك ولو كان فى المسجد لقوله ﷺ: «**إذا توضأ أحدكم فأحسن وضوءه ثم خرج عامدا إلى المسجد فلا يشبكن بين أصابعه فإنه فى صلاة**» [1] .

كما يكره لمن به بخر وصنان قوى دخول المسجد وحضور الجماعات لما يترتب على ذلك من إيذاء الناس والملائكة ، بل ينبغى أن يحرم لقوله ﷺ: «**فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم**» [2] لذا كان على المسلم أن يذهب إلى المسجد بأفضل الملابس فضلا عن التطيب بالمسك وغيره من الروائح الطيبة ، فإن الملائكة تفرح بك ما دمت على أحسن صورة .

فأين ذلك من أولئك الذين يدخلون المسجد بثياب ملوثة بها رائحة السمك وروث البهائم ، بل إن هناك من يجلسون فى المسجد فيأكلون الأسماك ومعه البصل والكراث حتى إذا ما فرغوا من الطعام تركوا ما بقى من طعامهم فى المسجد ، وربما وضعوه تحت السجاد والحصير ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، بل رأيت البعض منهم يدخن السجائر ، فإنا لله وإنا إليه راجعون - تدخين - وبصل وكراث داخل المسجد!! .

يا سبحان الله ، نحن نفعل ذلك والمصطفى ﷺ يقول: «**من أكل الثوم والبصل والكراث فلا يقربن مسجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم**» [3] .

فيا حسرتا على أولئك الذين لم يكتفوا بأذى إخوانهم فجنحوا لإيذاء الملائكة .

اللهم لا تعاملنا بعدلك ولكن عاملنا برحمتك الواسعة ، ويكره إخراج الريح فى المسجد اختيارا صونا له عن الرائحة الكريهة ولما يترتب عليه من إيذاء الناس ، لحديث

---

(١) رواه الأئمة أحمد وأبو داود والترمذى .
(٢) أخرجه البخارى ومسلم .
(٣) أخرجه البخارى ومسلم .

أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «**إن الملائكة تصلى على أحدكم ما دام فى مصلاه الذى صلى فيه ما لم يحدث تقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه**»[1] .

ولا يخفى على ذوى البصائر من أن النائم ميت موتة صغرى ، والذى ينام نوماً ثقيلاً لا يشعر بما يخرج منه ، فقد يخرج وهو نائم ريحاً بصوت وبدون صوت ، وقد تصيبه جنابة وقد تنكشف عورته فيراه الناس ، وقد تصيبه ويعتريه إخراج من فمه ريق ، وهذا الريق غير طاهر عند بعض أهل العلم .

قال العلامة الفقيه فضيلة الشيخ/ عمران أحمد عمران رحمه الله المالكى فى كتابه: "نور البيان فى الكشف عن بدع آخر الزمان" ما نصه: لقد شاهدنا من مثالبهم للمساجد كثيرا فمنها:

١- النوم فيها ويكثر ذلك خصوصا فى أيام الصيف فتراهم بكثرة وذلك فيه ما فيه من المضرات منها:

أ- خروج الريح فى بيت الله فتتأذى الملائكة الكرام .

ب- ومنها سيلان الريق من أفواههم حال نومهم مع انخفاض رؤوسهم وذلك يكون من المعدة ، وعلامته أنه ماء أصفر منتن وهو نجس فيتنجس المسجد .

جـ- ومنها ما يأخذهم من الحلم فيه ، ولذا قال الفقهاء لا يجوز النوم فيه إلا لابن السبيل إذا لم يجد مأوى وكذلك المعتكف أو الصوفى المنفرد بربه ، وقد كان أهل الصُفّة ينامون فى المسجد وكانوا نحوًا من الثمانين ، وقد كرهوا الجلوس فى المسجد لغير وضوء فكيف وهم يتخذونه داراً لأغراضهم الفاسدة إلى أن قال رضى الله عنه: فانظر رعاك الله بعين الاعتبار إلى تأخر الزمن ، وعمى المسلمون اليوم عن دينهم ومن عيوبهم البصاق والامتخاط فى المسجد وذلك منكر غليظ دليل على خراب باطن صاحبه .

فعن السائب بن خلاد أنه ﷺ نهى الناس أن يصلوا خلف الرجل الذى بصق فى القبلة حيث كان ينظر إليه فأراد أن يصلى بهم مرة أخرى فقالوا نهانا رسول الله عن

---

(١) رواه الأئمة البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه .

الصلاة خلفك فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «**نعم**». قال السائب وحسبت أنه قال إنك آذيت الله ورسوله [١].

ومن بدعهم وضع السراويل النجسة فى المسجد وهو حرام ، وذلك إذا كانت سراويل الرجل متنجسة ينزعها بجواره ويصلى ، وقد نص الفقهاء على حرمة ذلك وكذا كل لباس ماعدا النعل ، ومن عيوبهم اتخاذ المساجد دورًا للتحدث بالدنيا فيجعلونها مجالس للكلام الدنيوى ، فتراهم يتذاكرون فى متاجرهم ومزارعهم وأحوالهم الخارجية عما بنيت له المساجد ، وهى إنما بنيت لذكر الله ، وقد ورد: إذا تكلم الرجل فى المسجد قالت له الملائكة: "أسكت يا ولى الله ، فإذا تكلم قالت له: اسكت يا عدو الله ، فإذا تكلم قالت له: أسكت عليك لعنة الله" .

وقد قال رسول الله ﷺ: «**يأتى على الناس زمان يكون حديثهم فى مساجدهم فى أمر دنياهم فلا تجالسوهم فليس لله فيهم حاجة**» [٢] .

وقد ورد فى الحديث الشريف: «**أن الكلام فى المساجد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب**» وفى رواية: «**كما تأكل البهائم الحشيش**» [٣] .

وعن السائب بن يزيد رضى الله عنه أنه قال: كنت قائماً فى المسجد فحصبنى رجل فنظرت فإذا عمر بن الخطاب فقال: اذهب فأتنى بهذين فجئته بهما فقال: من أنتما؟ ، ومن أين أنتما؟ قالا: من الطائف . قال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما ترفعان أصواتكما فى مسجد رسول الله ﷺ [٤] .

قلت: وليس هذا خاص بمسجد المصطفى ﷺ إنما يشمل كافة المساجد لأنها بيوت الله عز وجل ، وقد قال جل شأنه مبينا رسالة المساجد ﴿ **فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ** ﴾ [٥] .

---

(١) رواه أبو داود .
(٢) رواه البيهقى عن الحسن مرسلا .
(٣) أورده الإمام الغزالى فى كتابه إحياء علوم الدين .
(٤) أورده الغزالى فى الإحياء .
(٥) سورة النور من الآية: ٣٦

وقد قال ﷺ: «**جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وشراءكم وبيعكم وخصوماتكم ورفع أصواتكم وإقامة حدودكم وسل سيوفكم واتخذوا على أبوابها المطاهر وجمروها فى الجمع**»[1].

وعن سيدنا ومولانا الإمام على رضى الله عنه وكرم الله وجهه أنه قال - قال رسول الله ﷺ: «**إذا فعلت أمتى خمس عشرة خصلة حل بها البلاء إلى أن قال: وارتفعت الأصوات فى المساجد**»[2].

وبذلك نعلم عباد الله أن ذلك النهى والزجر عام فى جميع المساجد إذ أن كافة المساجد بيوت الله عز وجل كما أسلفنا ، فلا ينبغى لأولئك الذين يرفعون أصواتهم فى بيوت الله بل ويضحكون بصوت مرتفع ، ويشتغلون بتجريح أعراض الناس فلا يستطيع أحد أن يصلى صلاة الخاشعين ، ولا يستطيع أحد أن يتلو كلام ربنا العظيم فيا ليت قومى يعلمون حرمة بيوته عز وجل ، وهو رازقهم والمطلع على أمورهم ، ولا أملك إلا أن أسأل الله لهم الهداية آمين . آمين يا رب العالمين .

واسألوا الله العظيم من فضله أن يغير حالنا من هذا الحال إلى حال يرضيه عنا بمنه وكرمه - توبوا إلى الله واسألوه من فضله غفر الله لى ولكم .

الخطبة الثانية :

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الصادق الوعد الأمين ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وكافة التابعين وتابعيهم إلى يوم الدين .

أما بعد ،

فياعباد الله : لازلنا مع حضراتكم حول الأمور المخلة بجلال وقدسية بيوت الله عز وجل ، ومن ذلك ما اعتاده البعض من عمل حفل بمناسبة عقد الزواج وذلك فى المساجد فإن هذه الاحتفالات ظاهرها الخير وباطنها يحمل انتهاكا لحرمة المساجد ، إذ أن

---

(١) رواه سيدنا ومولانا الإمام البخارى .

(٢) رواه ابن ماجه والطبرانى .

فيها ترفع الأصوات وتوزع الحلوى وربما شربت السجاير .

ترى فى هذا الحفل كتاب الله يتلى ثم تلقى الكلمات الرنانة والتى ما استفاد الحضور منها بكلمة فهى قائمة على الكلمات ذات السجع المتكلف وربما كانت الأشعار إنه الاستعراض بعينه ومما يؤسف له ، أن الذين نظموا هذا العمل وابتدعوه وتبنوه بعض أهل العلم فى هذا البلد التى أعرفها ، وقد حاولت النصح ولكن دون جدوى ، بل إن البعض منهم حاول أن يسكت الحضور فلم يستطع ، ورأى أنه مغلوب على أمره فحول الأمر إلى مزاح وذلك لعجزه .

إن الذين يقومون بهذا الحفل من أجل عقد الزواج يحتجون بقول الحبيب المصطفى ﷺ: «**أشهروا هذا الزواج واجعلوه فى مساجدكم**» هذا الحديث أخرجه الترمذى وقال غريب وفى سنده عيسى بن ميمون الأنصارى وهو ضعيف ، وأقول لهؤلاء هذا الحديث ليس لكم منه شىء على افتراض صحته حتى تستحلوا تلك الفوضى فى بيوت الله .

والمطلوب إذا أردنا الاقتداء بهذا الحديث أن يؤتى بالزوج ووليه والشهود وولى أمر الزوجة ومعهما الأستاذ المأذون الذى سيتولى إجراء عقد الزواج ثم ندعوا للعروسين بعد إتمام العقد ثم نخرج من المسجد لحفلنا وفرحنا عند البيت أو فى أى مكان أرادوه غير المسجد إن الله عز وجل قد بين لنا قدسية المساجد فقال وهو أصدق القائلين: ﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** ﴾ [1] .

وإنى لأهيب بأهل العلم أن يقلعوا الناس عن تلك الفوضى الذميمة فإن العالِم يُذكر بما سن من أقوال وأفعال .

وإنىِّ لأرجو أن تكون ذكراكم حميدة لاسيما وأنا أتوسم فيكم كل الخير إن شاء الله تعالى .

عباد الله : ومن الأمور المخلة بجلال وقدسية المسجد ما نراه من بعض القائمين على خدمة المساجد من إعلان على الأشياء المفقودة داخل المسجد وذلك فى مكبر الصوت (الميكروفون) .

---

(١) سورة الجن الآية : ١٨ .

ولعمرى كيف يجمع مكبر الصوت بين ذكر الله والدعوة إلى الله وهذا العمل الشنيع؟! ، وإذا كنتم تفعلون ذلك فلا مانع من الإعلان عن أسعار السلع فإن ذلك يهم الناس أيضا ، هيا بنا لنعرض المسألة على إمام المفتين سيدنا ومولانا محمد .

إذ يقول صلوات ربى وسلامه عليه: **«إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع فى المسجد فقولوا: لا أربح الله تجارتك ، وإذا رأيتم من ينشد ضالة فقولوا: لا ردها الله عليك»** [١] .

وعنه ﷺ أنه قال: **«من سمع رجلاً ينشد ضالة فى المسجد فليقل: لا ردها الله عليك ، فإن المساجد لم تُبن لهذا»** [٢] .

وعن سيدنا بُريدة رضى الله عنه أن رجلاً نشد فى المسجد فقال: من دعا إلى الجمل الأحمر؟ فقال رسول الله ﷺ: **«لا وَجْدتَ إنما بُنيت المساجد لما بُنيت له»** [٣] .

وهذا سيدنا عبد الله بن مسعود قد سمع رجلاً ينشد ضالة فى المسجد فأسكته وانتهره وقال: "قد نهينا عن هذا" [٤] .

عباد الله: ورغم وجود تلك الأدلة النيرة الساطعة فإنى قد سمعت من أحد أساتذه جامعة الأزهر الشريف وهو يقول فى إذاعة القرآن الكريم بجواز الإعلان عن الأموال المفقودة وما فى حكمها كالساعة المفقودة ونحو ذلك .

ويقول فضيلته عن الأحاديث الواردة سالفة الذكر بأن لفظ ضالة لا ينصرف إلا للبعير والفرس ونحوهما ، ويرد عليه فضيلة الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر الأسبق رحمه الله بقوله فى فتاويه: إذ قال رحمه الله "ما نصه" [٥] :

وصح عن النبى ﷺ أنه حذر من التماس الضالة فى المساجد ، والضالة الشىء المفقود ، والشاهد فى قوله رحمه الله والضالة: الشىء المفقود .

---

(١) رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح ورواه النسائى وابن خزيمة والحاكم ، وقال: صحيح على شرط مسلم ، ورواه ابن حبان فى صحيحه بنحوه بالشطر الأول .

(٢) رواه الأئمة مسلم وأبو داود وابن ماجه وغيرهم .

(٣) رواه الإمام مسلم والإمام النسائى والإمام ابن ماجه .

(٤) رواه الطبرانى فى الكبير ،

(٥) انظر الفتاوى للشيخ / محمود شلتوت ص ١٠٠ ط دار الشروق .

ولا تنسى يا فضيلة الدكتور النص المحمدى القائل: «**إنما بنيت المساجد لما بنيت له**» ، وقوله أيضا: «**فإن المساجد لم تبن لهذا**» ، لذا أنصح كل مسلم فى مشارق الأرض ومغاربها أن لا يقيم لهذه الفتوى أىَّ وزن إذ لا اجتهاد مع النص ، وقد أفتى رسول الله ﷺ بما يُسْكت الألسنة فاتقوا الله عباد الله ونزهوا مساجدكم عن هذه الشوائب والمهاترات ، وعن هذا العبث الذى اندلع فى مساجدنا وحل بها وعلى السادة الدعاة أن يمنعوا ذلك ويبينوا للناس فتوى السيد المصطفى المعصوم ﷺ ، فإننا مسؤولون أمام الله عن كل مسلم فَهِمَ خطأً .

لذا كان علينا معشر الدعاة أن نصحح تلك المفاهيم التى دارت فى أذهان الناس إن لفظ: "كلمة ضالة" يشمل الإنسان والمال والحيوان ، وبعبارة أدق إن كلمة ضالة تنصرف إلى كل ما ضل عنا والله أعلم وهو الهادى إلى سواء السبيل .

أيها الأحباب: ولا يقولن قائل ، كما قيل لى . كيف تمنع إغاثة الملهوف؟ أقول: ما أحوجنا جميعا إلى إغاثة ملهوف ولكن الحبيب المصطفى أعلم بإغاثة الملهوف منا ، بل هو أرأف وأرحم بالمؤمنين منا ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ (١) .

فإذا كنتم يا من تزعمون الرحمة الكاذبة المزيفة للخلق فمعنى ذلك أنكم ترون فى أنفسكم أنكم أرحم بالناس من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا والله ما كان ولن يكون من أى إنسان بعد خير خلق الله ، اللهم ارحمنا مما نحن فيه وارحمنا من شرور أنفسنا وشرور خلقك يا رب العالمين . اللهم أعز الإسلام والمسلمين وارفع بفضلك كلمتى الحق والدين اللهم هيئ لنامن أمرنا رشدا ، واجعلنا من عبادك السعداء اللهم أعنا على اتباع كتابك وسنة نبيك ﷺ المصطفى .

عباد الله ، اذكروا الله يذكركم واستغفروه يغفر لكم .

وصلوا على الحبيب المصطفى تفلحوا ، وأقم الصلاة .

* * * * * * * * * * *

---

(١) سورة التوبة الآية: ١٢٨ .

أنوار الصلاة الساطعة

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد رفيع الدرجات بديع السماوات الذى أيد الأنبياء بالمعجزات الباهرة ، والذى بسط الأرض ورفع السماوات ، سبحان من جعل فى الصلاة نورا وهدانا سبل الرشاد .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذى أمرنا بطاعته ووفقنا لعبادته وجعل لنا فرائض وحذرنا أن نضيعها ، وسننا وأمرنا أن نحافظ عليها وحدودا وأمرنا أن لا نتعداها .

وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدًا عبده ورسوله ومصطفاه من خلقه ، الذى بلغ الرسالة وأد الأمانة ونصح الأمة وكشف الغمة فجازه يا رب ما جوزى به نبى فى تبليغ دعوته صلوات ربى وسلامه عليه وعلى آله وصحابته أجمعين .

أما بعد ،

فيا أتباع سيدنا ومولانا محمد ﷺ .

فى الجمعة الماضية طوفنا بحضراتكم حول قدسية المساجد وما لها من آداب ولما كانت الصلاة هى الرسالة العظمى من رسالات المسجد ، أحببنا أن نغوص فى بحار أنوارها الساطعة فإن للصلاة فضل عظيم ونور ساطع مبين ، ولا يعرف ذلك إلا من ذاق أنوارها بيقين . نعم فإن من ذاق عرف ومن حرم انحرف ، وحسبنا قول البارى جل جلاله عنها .

﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾ [1] وقوله جل ثناؤه: **﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾** [2] .

فيا سعادة من واظب عليها وأتمها بخشوعها ، وكفاه أنه قد فاز بالفلاح وهذا هو المصطفى ﷺ يبين لنا منزلة الصلاة فيقول صلوات ربى وسلامه عليه: **«الطهور شطر**

---

(١) سورة العنكبوت من الآية: ٤٥ .
(٢) سورة المؤمنون الآية: ١ ، ٢ .

الإيمان والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله ، والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض ، والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك»[١] .

وعنه ﷺ أنه قال: «**الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر**»[٢] .

بل إن المصلى قد أعده رسول الله من الصديقين والشهداء ، فقد جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت إن شهدت أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله وصليت الصلوات الخمس ، وأديت الزكاة وصمت رمضان وقمته فممن أنا ؟ قال: «**من الصديقين والشهداء**»[٣] .

عباد الله ، بل إن الصلاة بالمحافظة عليها تطفئ نار المعاصى ، فعن سيدنا عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تحترقون تحترقون فإذا صليتم الصبح غسلتها ، ثم تحترقون تحترقون ، فإذا صليتم الظهر غسلتها ، ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم العصر غسلتها ، ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم المغرب غسلتها ، ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم العشاء غسلتها ، ثم تنامون فلا يكتب عليكم حتى تستيقظوا**»[٤] .

بعد هذه الكوكبة النيرة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى كشفت لنا مدى عظمة وأنوار الصلاة ، تعالوا بنا لنسبح فى بركاتها وأنوارها ، فالسعيد من يوحد الله ويعطر المجلس بالصلاة على سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ .

أيها الأحباب:

إن الصلاة هى سلم الصعود إلى الملأ الأعلى ، وهى الصلة بين العبد وربه عز وجل ولا يتصور أن يكون المسلم حبيبا لمولاه إذا كان تاركا للصلاة ، أو غير محافظ

---

(١) رواه مسلم وغيره .

(٢) رواه مسلم والترمذى وغيرهما .

(٣) رواه البزار وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما واللفظ لابن حبان .

(٤) رواه الطبرانى فى معجميه الصغير والأوسط وإسناده حسن ، ورواه أيضا فى معجمه الكبير موقوفا على ابن مسعود وهو أشبه ورواته محتج بهم فى الصحيح .

عليها فى أوقاتها ذلك لأن الصلاة هى الطهارة والذكر والدعاء والخشوع ، والسكينة بدونها لا يكون العبد مؤمنا إيمانا كاملاً ، وإن شئت فقل هو مسلم عاص لذا أهيب بك أيها العبد المؤمن أن تراعى ربك فى أداء الصلاة لأن الصلاة فيها مفاتيح الخير وهى باب السعادة ومعراج العبد إلى مولاه يقول العارف بالله الإمام عبد الرؤوف المناوى فى كتابه الجليل فيض القدير شرح الجامع الصغير ، " قد جعل الله لكل مطلوب مفتاحا يفتح به ، فجعل مفتاح الصلاة الطهور ومفتاح الحج الإحرام ومفتاح البر الصدقة ، ومفتاح الجنة التوحيد ، ومفتاح العلم حسن السؤال والإصغاء ، ومفتاح الظفر الصبر ، ومفتاح المزيد الشكر ، ومفتاح الولاية والمحبة الذكر ، ومفتاح الفلاح التقوى ، ومفتاح التوفيق الرغبة والرهبة ، ومفتاح الإجابة الدعاء ، ومفتاح الرغبة فى الآخرة الزهد فى الدنيا ، ومفتاح الإيمان التفكر فى مصنوعات الله ، ومفتاح الدخول على الله استسلام القلب ، والإخلاص له فى الحب والبغض ، ومفتاح حياة القلوب تدبر القرآن والضراعة بالأسحار وترك الذنوب ، ومفتاح حصول الرحمة الإحسان فى عبادة الحق والسعى فى نفع الخلق ، ومفتاح الرزق السعى مع الاستغفار ، ومفتاح العز الطاعة ، ومفتاح الاستعداد للآخرة قصر الأمل ، ومفتاح كل خير الرغبة فى الآخرة ، ومفتاح كل شر حب الدنيا وطول الأمل [1] .

ويقول سيدى عبد الرحمن الأخضرى : "واعلم أن للصلاة نور عظيم تشرق به قلوب المصلين ولا يناله إلا الخاشعون" .

ويقول سيدنا الإمام تاج الدين أحمد بن عطاء الله السكندرى : الصلاة طهارة للقلوب من أدناس الذنوب .

ويقول الإمام الجليل أبو طالب المكى : "إن المؤمن إذا توضأ للصلاة تباعدت منه الشياطين فى أقطار الأرض خوفا منه لأنه يتأهب للدخول على مالك الملوك وإذا كبر حجب عنه إبليس وواجهه الجبار عز وجل بوجهه فإذا قال الله أكبر اطلع الملك على قلبه [illegible] كان فى قلبه الله أكبر من كل شىء كما قال بلسانه فيقول له الملك : صدقت

---

(١) انظر فيض القدير للإمام المناوى جـ٥ ص ٥٢٧ .

فيتشعشع من قلبه نور يلحق بنور العرش فيكشف له بذلك النور ملكوت السماوات والأرض ويكتب بذلك النور حسنات ، والجاهل والغافل إذا قام لوضوئه احتوشته الشياطين .

وإذا قال الله أكبر اطلع الملك على قلبه فإذا كان شيء في قلبه أكبر من الله عنده فيقول له الملك : كذبت ليس الله في قلبك كما تقول فيثور من قلبه دخان يلحق عنان السماء فيكون حجابا لقلبه عن الملكوت فيرد ذلك الحجاب صلاته وتلتقم الشياطين قلبه ، ولا تزال تنفخ فيه وتوسوس إليه حتى ينصرف من صلاته لا يعقل ما كان فيها نسأل الله أن يجبر كسر قلوبنا [1] .

عباد الله :

وإذا كانت الصلاة معراج العبد إلى مولاه فاعلم أن المعراج على قسمين :

أولهما : المعراج من عالم الشهادة إلى عالم الغيب .

وثانيهما : المعراج من عالم الغيب إلى عالم غيب الغيب .

وهذه كلمات برهانية يقينية حقيقية إذا عرفت هذا أخي المؤمن فلنرجع إلى المقصود فنقول :

إن سيدنا ومولانا محمد ﷺ لما وصل إلى المعراج وأراد أن يرجع قال يارب العزة إن المسافر إذا أراد أن يعود إلى وطنه احتاج إلى محمولات يتحف بها أصحابه ، وأحبابه ، فقيل له : إن تحفة أمتك الصلاة وذلك لأنها جامعة بين المعراج الجسماني وبين المعراج الروحاني : أما الجسماني فبالأفعال . وأما الروحاني فبالأذكار .

فإذا أردت أيها المؤمن الشروع في هذا المعراج فتطهر أولا ، لأن المقام مقام القدس فليكن ثوبك طاهرا وبدنك طاهرا لأنك بالوادي المقدس طوى ، وأيضا فعندك ملك وشيطان فانظر أيهما تصاحب ، ودين ودنيا فانظر أيهما تصاحب ، وعقل وهوى

---

(١) انظر عمدة البيان في معرفة فروض الأعيان على مذهب الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه ص ٧٠ ، ص ٧١ ط شقرون .

فانظر أيهما تصاحب وخير وشر وصدق وكذب وحق وباطل وحلم وطيش ، وقناعة وحرص وكذا القول فى كل الأخلاق المتضادة والصفات المتنافية فانظر أنك تصاحب أى الطرفين وتوافق أى الجانبين فإنه إذا استحكمت المرافقة ، تعذرت المفارقة ألا ترى أن الصديق اختار صحبة سيدنا ومولانا محمد ﷺ فلزمه فى الدنيا وفى القبر وفى القيامة وفى الجنة ، وأن كلبًا صحب أصحاب الكهف فلزمهم فى الدنيا وفى الآخرة ولهذا قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [1] .

ثم إذا تطهرت فارفع يديك وذلك الرفع إشارة إلى توديع عالم الدنيا وعالم الآخرة فاقطع نظرك عنهما بالكلية ووجه قلبك وروحك وسرك وعقلك وفهمك وذكرك وفكرك إلى الله .

ثم قل: الله أكبر ، والمعنى أنه أكبر من كل الموجودات ، وأعلى وأعظم وأعز من كل المعلومات ، بل هو أكبر من أن يقاس إليه شىء أو يقال إنه أكبر ثم قل سبحانك اللهم وبحمدك .

وفى هذا المقام تجلى لك أنوار سبحان الجلال ثم ترقيت من التسبيح إلى التحميد ثم قل: تبارك اسمك وفى هذا المقام انكشف لك نور الأزل والأبد ؛ لأن قوله: تبارك إشارة إلى الدوام المنزه عن الإفناء والإعدام وذلك يتعلق بمطالعة حقيقة الأزل فى العدم ومطالعة حقيقة الأبد فى البقاء ، ثم قل: وتعالى جدك وهو إشارة إلى أنه أعلم وأعظم من أن تكون صفات جلاله ونعوت كماله محصورة فى القدر المذكور ، ثم قل: ولا إله غيرك وهو إشارة إلى أن كل صفات الجلال وسمات الكمال له لا لغيره ، فهو الكامل الذى لا كامل إلا هو والمقدس الذى لا مقدس إلا هو وفى الحقيقة لا هو إلا هو .

والعقل ههنا ينقطع واللسان يعتقل ، والفهم يتبلد ، والخيال يتحير ، والعقل يصير كالزمن ثم عد إلى نفسك وحالك وقل: وجهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض ، فقولك سبحانك اللهم وبحمدك معراج الملائكة المقربين وهو المذكور فى

---

(١) سورة التوبة الآية: ١١٩ .

قوله تعالى ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ [(١)] .

وهو أيضا سيدنا ومولانا محمد ﷺ لأن معراجه مفتتح بقوله: "سبحانك اللهم وبحمدك" وأما قولك: "وجهت وجهى" فهى معراج سيدنا إبراهيم الخليل وقولك: ﴿ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ ﴾ هو معراج سيدنا ومولانا محمد الحبيب ﷺ [(٢)] .

فإذا قرأت هذين الذكرين فقد جمعت بين معراج أكابر الملائكة المقربين وبين معراج عظماء الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، ثم إذا فرغت من هذه الحالة فقل: "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم" لتدفع ضرر العجب من نفسك . واعلم يا عبد الله أن للجنة ثمانية أبواب رزقنى الله وإياك الدخول فيها من جميعها وها أنا ذا أبين لك تلك الأبواب وأنت تحظى بها أثناء أدائك للصلاة ، وذلك بعد جلسة الاستراحة ، وعودوا إلى الله واسألوه أن يعمنا ببركات وأنوار الصلاة بمنه وكرمه واسألوا الله من فضله غفر الله لى ولكم أجمعين .

الخطبة الثانية :

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله دليل كل خير صلاة وسلاما وبركة عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين وتابعيهم والعلماء العاملين .

أما بعد ،

فيا أحباب الحبيب المصطفى ﷺ عرفنا أن للجنة ثمانية أبواب فحينما تقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم- انفتح لك باب من أبواب الجنة ، وهذا الباب يقال له: باب المعرفة وهذا الباب قد فتح لك عندما استعذت بالله مولاك قائد خطاك من الشيطان الرجيم الطريد المريد اللعين لعنه الله وخلصنا من شره آمين يا رب العالمين .

والباب الثانى: من أبواب الجنة هو باب الذكر وهذا الباب يفتح لك ، عند

---

(١) سورة البقرة الآية: ٣٠ .

(٢)انظر شرح سيدنا ومولانا شيخ الإسلام الإمام عبد الباقى الزرقانى لمختصر سيدى خليل بن إسحاق ج١ ص ٢١٧ ط دار الفكر بيروت .

قولك: بسم الله الرحمن الرحيم ، والبسملة سنة عند أبى حنيفة وأحمد ، مستحبة عند أبى مسلمة المالكى ، واجبة عند الإمام الشافعى وابن نافع المالكى المدنى - وعند ذكر البسملة فى صلاتك يتجلى عليك البارئ بفتح هذا الباب - اللهم افتح علينا من بركاتك ورحماتك يا رب العالمين .

والباب الثالث: "باب الشكر" **وهو قولك: الحمد لله رب العالمين .**

والباب الرابع: "باب الرجاء" **وهو قولك:** الرحمن الرحيم .

والباب الخامس: "باب الخوف" **وهو قولك:** مالك يوم الدين .

والباب السادس: "باب الإخلاص" المتولد من معرفة العبودية ومعرفة الربوبية وهو قولك ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ .

والباب السابع: "باب الدعاء والتضرع" **كما قال تعالى:**

﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ [1] وقال جل ذكره: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [2] .

وهو هاهنا قولك: اهدنا الصراط المستقيم .

والباب الثامن: باب "الاقتداء بالأرواح الطيبة الطاهرة" والاهتداء بأنوارهم وهو قولك ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ ﴾ .

وبهذا الطريق إذا قرأت هذه السورة سورة الفاتحة ووقفت على أسرارها انفتحت لك ثمانية أبواب الجنة وهو المراد من قوله تعالى: ﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الأَبْوَابُ ﴾ [3] .

فجنات المعارف الربانية انفتحت أبوابها بهذه المقاليد الروحانية فهذا هو الإشارة إلى ما حصل فى الصلاة من المعراج الروحانى .

وأما المعراج الجسمانى:

---

(١) سورة النمل من الآية: ٦٢ .
(٢) سورة غافر الآية: ٦٠ .
(٣) سورة ص الآية: ٥٠

فالمرتبة الأولى أن تقوم بين يدى الله مثل قيام أصحاب الكهف وهو قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ (١) .

بل قم قيام أهل القيامة وهو قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) .

ثم اقرأ سبحانك اللهم وبحمدك دعاء الاستفتاح الذى سبقت الإشارة إليه فى الخطبة الأولى وهو سنة عند الحنفية والشافعية ، مستحب عند طائفة من المالكية .

وبعده اقرأ الفاتحة وبعدها اقرأ ما تيسر لك من القرآن واجتهد فى أن تنظر من الله إلى عبادتك حتى تستحضرها ، وإياك أن تنظر من عبادتك إلى الله فإنك إن فعلت ذلك صرت من الهالكين وهذا سر قولك: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ .

أما المرتبة الثانية: فهى تتجلى فى ركوعك وسجودك لله عز وجل سر قوله تعالى: ﴿ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾ (٣) .

فما أجمل القرب من حضرة ملك الملوك جل جلاله .

أيها الأحباب ، هذا غيض من فيض وقليل من كثير من بركات وأنوار الصلاة ، وما أردت الإسهاب أكثر من ذلك مخافة الملل والسآمة وإلا فالخير كثير ، ولو تركت لقلمى العنان ما كفى العمر حديثا وكتابة فى هذا المقام الأسمى ، اللهم عافنا واعف عنا ، واهدنا إلى طاعتك اللهم اجمع كلمتنا ووحد صفنا ، وصُدّ عنا من أذانا ، واجعل راية الإسلام عالية خفاقة ، اللهم اجمعنا على الكتاب والسنة ، وارزقنا اتباع سلفنا الصالح بفضل وكرم منك يا رب العالمين ، استغفروا الله يغفر لكم ، واسألوه يزدكم ، وصلوا على الحبيب المصطفى تفلحوا ، وقوموا إلى الصلاة مغفورا لكم إن شاء الله .

* * * * * * * * * * *

---

(١) سورة الكهف من الآية: ١٤ .
(٢) سورة المطففين الآية: ٦ .
(٣) سورة العلق الآية: ١٩ .

حول تارك الصلاة

الحمد لله الذى ملأت عظمته القلوب والأسرار وأصبحت فى سرادقات عزه عن أن تدركه الأبصار .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الواحد الأحد الفرد الصمد الملك الجبار المتكبر ، أرسل نبيه بالهدى ودين الحق ، فأخرجنا من الظلمات إلى النور ، فمنا من اهتدى ومنا من ضل سواء السبيل ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله جاء بالآيات البينات ليمحو ليل الضلالة ، وتشرق شمس العدالة والتوحيد ؛ وليُطهر قلوبنا مما بها دنس الشرك والجاهلية .

فيا أحباب الحبيب المصطفى ﷺ ، فى الجمعة الماضية عشنا جميعا فى رحاب أنوار وبركات الصلاة وفى هذه الجمعة نعيش مع تارك الصلاة لنميز بين الخبيث والطيب والله أسأل أن يجعلني وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب .

يا أتباع سيدنا ومولانا محمد ﷺ:

إن الدعوة إلى الصلاة وغيرها من أركان الإسلام ينبغى أن تجرد الدعوة إلى الخير من التزمت وتيئيس الناس من رحمة الله ، ومولانا جل جلاله هو الذى دعانا إلى ذلك إذ قال جل شأنه : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [1] .

ومن ثم فلا يعجبنى ما يقال فى الأشرطة المتداولة فى السوق حيث تحامل أصحاب تلك الأشرطة تحاملا شديدا أكثر مما يجب على العصاة الذين سوّل لهم الشيطان ترك الصلاة فنجد من يكفره ، وكأن القول بكفر تارك الصلاة متفق عليه عند أهل العلم .

والجمهور على أنه مسلم عاص أو فاسق ، وقال الإمام أحمد وبعض المالكية

---

(١) سورة النحل الآية : ١٢٥ .

بكفره والحق ما عليه الجمهور . ونجد فى هذه الأشرطة من يقول بأن الصلاة فى غير جماعة باطلة إلى غير ذلك من الدعوة المنفرة ولست محبا لتارك الصلاة لا ، وإنما هو مريض والمريض فى حاجة إلى من يأخذ بيده حتى يقيه الله شر الأمراض .

إذن فتارك الصلاة لا نحكم بكفره إلا إذا أنكر فريضة الصلاة ، فإذا لم ينكرها كان عاصيا لله ندعوه إلى الصلاة ونرغبه ونبين له مكانة الصلاة وعلو منزلة المحافظة عليها وعقاب من تهاون فى أدائها كما سوف نبينه إن شاء الله عز وجل ، ومن العجيب أن البعض من العصاة الذين لا يصلون يقولون وهم فى غفلة ، نحن لا نصلى ولكن قلوبنا بيضاء ولا تحمل حقدا لأحد ، أما فلان وفلان فإنهم يصلون فى الصف الأول وهم أهل غش وكذب ويأكلون أموال اليتامى والورثة .

أقول لهؤلاء أنا معكم فيما قلتم ولكن هناك بجانب هؤلاء أيضا أهل الفضل والكمال يصلون ومعاملتهم طيبة ، فانظروا إليهم ولا تنظروا إلى من نظرتم إليهم من أهل الخطايا وعلى كل حال فإن الله جل جلاله يقول: ﴿ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ (١) . فعليكم أنفسكم وهيا بنا لنعيش مع القرآن الكريم وسلفنا الصالح فى شأن تارك الصلاة .

قال تعالى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا ﴾(٢) .

ويصف عباده المؤمنين بقوله سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ (٣) .

وترك الصلاة يعد من أكبر الكبائر التى نهى عنها رب العالمين فى كتابه العزيز فى أكثر من مناسبة ، كما نهى عنها رسول الله فى كثير من أحاديثه . ذلك لأن الصلاة عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن تركها فقد هدم الدين .

وقال الله فى كتابه العزيز: ﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا

---

(١) سورة الطور من الآية : ٢١ .

(٢) سورة النساء الآية : ٣١ .

(٣) سورة الشورى الآية : ٣٧ .

الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ (١) .

قال سيدنا ومولانا عبد الله بن عباس: ليس معنى أضاعوها تركوها بالكلية ولكن أخروها عن وقتها .

وقال سيدنا سعيد بن المسيب إمام التابعين رحمه الله : هو ألا يصلى الظهر حتى يأتى العصر ، ولا يصلى العصر حتى يأتى المغرب وهكذا ، فمن مات وهو مصر على هذه الحالة من التأخير فى الصلاة : وعده الله بهذا الغى أجارنا الله جميعا منه .

والغى: هو واد فى جهنم ، وقال تعالى فى آية أخرى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ (٢) .

وقد بين المصطفى صلوات ربى وسلامه عليه أن السهو: هو تأخير الوقت ، أى: تأخير الصلاة عن وقتها ، وإن الذين هم عن صلاتهم ساهون سماهم مصلين ، ولكنهم لما تهاونوا وأخروها عن وقتها وعدهم بعذاب شديد .

وقد نهانا عن الانشغال بأموالنا وأولادنا وقت أداء الصلاة فقال عز من قائل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٣) .

قال المفسرون: المراد بهذه الآية الصلوات الخمس .

فمن اشتغل بماله ومعيشته عن الصلاة كان من الخاسرين .

وسئل الإمام على عن امرأة لا تصلى فقال: من لم يصل فهو كافر .

عباد الله: وإياكم أن تفهموا كلام سيدنا ومولانا الإمام على على غير مقصده فإن تارك الصلاة المنكر لفرضيتها لا خلاف فى كفره ، كفر عقيدة ؛ لأنه أنكر شيئا معلوما من الدين بالضرورة فإن كان تاركا لها كسلا وهو يعلم أنها فرض فهو فاسق أو كافر بنعمة الله عليه فالكفر هنا كفر نعمة .

---

(١) سورة مريم الآية: ٩٥ .
(٢) سورة الماعون ٥٢٤ .
(٣) سورة المنافقون الآية: ٩ .

فيا عباد الله ، أرأيتم لو أن عظيما قد دعاك إلى المثول بين يديه فى وقت معين أفكنت تعرض عن دعوته أو تتأخر عن إجابته ؟

لو أن ملكا من ملوك الأرض أو زعيما من زعمائها قد أقام حفلا ودعاك إلى تشريف هذا الحفل فى وقت عينه وفى زمن حدده ، أفلا تسرع إلى ذلك الحفل ، وتبادر إلى تلبية الدعوة ؟

هذا ملك الملوك رب الأرض والسماوات قد دعاك إلى الوقوف بين يديه وأمرك بالمثول على باب رحمته ورضوانه كل يوم وليلة فلماذا تعرض عن إجابته ؟

لقد دعاك الله إلى الخير المتمثل فى الصلاة حتى تنال جماع الخير ، دعاك إلى بره وطاعته ، دعاك لمناجاته فأين أنت من تلك الدعوة الإلهية ؟ هداك الله يا تارك الصلاة . وشرح صدرك لطاعته .

يا عبد الله أما علمت مكانة الصلاة من الدين ، ألم تسمع بعظمتها وجلالها فى الإسلام ؟ أما تعلم أنها دليل قاطع على قوة الإيمان؟

أما بلغك قول الله فى كتابه ﴿ **فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ** ﴾ [1] فإذا كان الذى يؤخر الصلاة عن وقتها ويجمعها مع أخواتها له هذا الويل والعقاب فماذا يكون حال التارك لها رأساً المعرض عن الصلاة أصلا؟

عباد الله : لقد طلب الله الصلاة من الصغير والكبير وفرضها على الغنى والفقير وأوجبها على القوى والضعيف والمريض والصحيح ، أوجب الله الصلاة فى حال السفر الذى هو مظنة العجز وموضع التيسير ، أوجب الصلاة حتى فى حال القتال فى الوقت الذى تلتحم فيه الصفوف وتضطرب القلوب وتزهق الأرواح .

قال تعالى : ﴿ **حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ * فَإنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُواْ اللّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [2] .

---

(١) سورة البقرة ٢٣٨ - ٢٣٩ .

(٢) سورة الماعون الآية : ٤ ، ٥ .

لقد أوجب الله علينا الصلاة فى كل حال فضيعها الكثير . إنهم قوم لا يصلون فى وقت الأمن فكيف يصلون فى وقت الخوف؟!

قوم لا يعرفون الله فى وقت الرخاء فكيف يجيبهم فى حالة البلاء . المؤذن يناديهم بأعلى صوت ومن أعلى مكان "حى على الصلاة" أقبلوا على سبب الفوز والصلاح والفلاح فهل ترى من سميع؟ هل ترى من مجيب؟ قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** ﴾ (١) .

وقال سبحانه مخبراً عن حال أهل الجحيم: ﴿ **مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ** ﴾ (٢) .

وهذه سنة هى الأخرى تبين لنا وعيد تارك الصلاة فعن جابر أن رسول الله ﷺ قال: «**بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة**» (٣) .

وعن سيدنا عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال عن الصلاة: «**من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورا ولا برهانا ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبى بن خلف**» (٤) .

واعلموا عباد الله أن تارك الصلاة إنما يبوء بغضب الله عليه . نعم: فعن سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، قال: لما قام بصرى قيل: نداويك وتدع الصلاة أياما ؟ قال: لا إن رسول الله ﷺ قال: «**من ترك الصلاة لقى الله وهو عليه غضبان**» (٥) .

واعلموا أيها المؤمنون أن ترك الصلاة محبط للأعمال .

فعن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من ترك**

---

(١) سورة الأنفال: ٢ ، ٣ .
(٢) سورة المدثر: ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ من سورة المدثر .
(٣) رواه أحمد ومسلم .
(٤) رواه أحمد بإسناد جيد .
(٥) رواه البزار والطبرانى فى الكبير وإسناده حسن .

الصلاة متعمدا أحبط الله عمله وبرئت منه ذمة الله حتى يراجع لله عز وجل توبة» [١] .

وعن السيدة أم أيمن رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تترك الصلاة متعمدا ، فإنه من ترك الصلاة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله ورسوله»** [٢] .

فاتقوا الله عباد الله ، وعليكم بأداء الصلاة فى أوقاتها لأننا إذا ما التزمنا بأداء الصلاة فى أوقاتها فإن ذلك يعودنا على الالتزام والصدق مع إخواننا ثم إن الصلاة بأدائها يكون العبد على صلة قوية بمولاه ، وإلا كان مثل التليفون الذى قطعت عنه الحرارة فلا يستطيع أن يتصل بأحد هداك الله يا تارك الصلاة وحولك إلى محب للصلاة وكفانى الله وإياك شر الغفلة والتهاون بأداء ما فرض ذو الجلال والإكرام ، وأقول لك إن الله يحبك فلا تنصرف عن مولاك وإلا فخبرنى من ييسر لك أمرك ويفرج كربك ، عد إلى الله يا مسلم فإن الله تواب رحيم ، واعلموا أن فى يوم الجمعة ساعة تستجاب فيها الدعوات وتفرج فيها الكربات فاسألوا الله من فضله فلعلها تكون هذه الساعة .

غفر الله لى ولكم أجمعين .

الخطبة الثانية :

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له من صار على منهجه وهديه أكرمه وهداه وجعل الجنة مثواه .

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن سار على منهجه القويم بصدق وإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ،

فيا أتباع سيدنا ومولانا محمد ﷺ سبق أن ذكرنا لحضراتكم حجة من الحجج الواهية الباطلة لتارك الصلاة تلكم الحجة التى يقول فيها: إنى لا أصلى ولكن قلبى

---

(١) رواه الأصبهانى .
(٢) رواه أحمد والبيهقى .

أبيض . قلنا له : توج هذا البياض وجمله بالصلاة ، وانظر إلى المصلى الصادق ولا تنظر إلى دونه ، فإن الخير فى أمة الحبيب المصطفى كثير وفى هذه الخطبة الثانية : أرد على بقية الحجج بدلا من الفتاوى لأنها تعد فتاوى سائلين المولى عز وجل أن يشرح صدرك يا تارك الصلاة ، بعض الناس لا يصلى وما ذلك إلا لانشغاله بالتجارة أو الفلاحة وغير ذلك من الأعمال المختلفة ، فإذا ما كلمناه عن الصلاة أجاب بفلسفة شيطانية بقوله ، إن العمل عبادة وحقا فقد صدق فإن العمل عبادة إلا أنها عبادة الشيطان والدنيا فما أحسن الجمع بين عبادة الرحمن المتمثلة فى الصلاة ، وبين السعى على الأرزاق ، إن مولانا سبحانه وتعالى لم يأمرنا بأداء الصلاة ثم نمكث فى المساجد تاركين العمل به قال جل جلاله :

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

ويقول سبحانه وتعالى وهو يدعونا إلى السعى ويحثنا عليه **﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾** (٢) .

لذا يا عباد الله أهيب بحضراتكم أن تعرفوا فضل الصلاة وفضل الصلوات الخمس وكما أننا لا نستطيع أن نفرط فى تعليمات أهل الأرض والالتزام بالقوانين والنظام شىء عظيم لا ننكره ، لذا نطالبكم أن تهتموا بتعليمات وقوانين رب الأرض والسماوات حتى يرضى عنا الله وبذلك نصبح من الفائزين عباد الله .

ومن الحجج الواهية قول بعضهم: لقد حاولت مع زوجتى وكلمتها كثيراً كى تصلى إلا أن كلامى معها لا ثمرة له قلت لمثل هذا الإنسان : بربك عليك لو أن زوجتك قصرت فى حق من حقوقك ماذا أنت صانع ؟ كانت النتيجة أنك ستضرب وتكثر من الشتائم والكلام القذر الذى لا يخرج إلا من إنسان تربى فى الشوارع فضلاً عن الحلف بالطلاق والحرام والظهار ، وأنا لست بذلك أناديك وأحثك على شتم امرأتك بالشتائم

---

(١) سورة الجمعة الآية : ١٠

(٢) سورة الملك الآية : ١٥ .

القبيحة عندما تفرط فى أداء صلاتها ، إنما أحثك أن تغضب لله بطريقة عاقلة بعيدة عن الألفاظ البذيئة ، واعلم أنك يا أخى لو كان عندك خوف من الله لخاف منك العصاة ، هذه هى بعض الحجج الواهية وردنا عليها ولنا إن شاء الله مع بقية الحجج وقفة فى الجمعة القادمة .

أيها الناس إنى داع فأمنوا لعلنا نكرم الساعة بالإجابة ، اللهم أصلح لنا ديننا الذى هو عصمة أمرنا وأصلح لنا آخرتنا التى إليها معادنا ، وأصلح لنا دنيانا التى فيها معاشنا ، واجعل الحياة زيادة لنا فى كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر ، وارزقنا خيرى الدنيا والآخرة ، اللهم زدنا ولا تنقصنا ، وأعطنا ولا تحرمنا ، وكن لنا ولا تكن علينا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، ووفق ولاة أمورنا إلى ما فيه الخير للبلاد والعباد .

اللهم أهلك الكفرة أعداءك أعداء الدين ، وانصر المجاهدين فى فلسطين وأفغانستان ، اللهم انصر الإسلام وأعز المسلمين ، اللهم أعل بفضلك كلمتى الحق والدين ، اللهم من أراد الإسلام والمسلمين بسوء فاجعل كيده فى نحره ، واجعل تدبيره فى تدميره ووفق ولاة المسلمين إلى ما تحبه وترضاه إنك نعم المولى ونعم النصير .

عباد الله ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ فاذكروا الله يذكركم واستغفروه يغفر لكم وصلوا على الحبيب المصطفى تفلحوا .

وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون ، وإياك ثم إياك ونسيان الصلاة . اللهم إنى قد بلغت اللهم فاشهد .

* * * * * * * * * * *

في آداب السلام والاستئذان

الحمد لله شرعه نور ، وهداه هناءة وسرور ، والقرآن أساس دينه القيم لذا وجه سبحانه فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١) .

وأشهد أن لا إله إلا الله سبيل الحكمة والسعادة والعزة والسلام ، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله خير هاد إلى ما فيه السلامة والفلاح ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه المهديين الهداة ومن تبعهم بصدق وإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ،

فيا أتباع سيدنا ومولانا محمدا عليه الصلاة والسلام .

جرت عادة الكثيرين من الناس أن يكونوا غير متمسكين بآداب الاستئذان عند زيارة البيوت ، وصاروا يتخلقون بأخلاق لا يرضى عنها الإسلام ونبى الإسلام سيدنا ومولانا محمد ﷺ .

ومن أجل ذلك حرصنا كل الحرص أن يكون حديثنا اليوم حول آداب السلام والاستئذان .

عباد الله: اعلموا جميعا وفقنى الله وإياكم إلى مرضاته أن سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ استأذن للدخول على سيدنا سعد بن عبادة فى بيته فقال السلام عليكم فرد عليه سيدنا سعد بن عبادة بصوت منخفض لم يسمعه النبى ﷺ ، وهكذا سلم الرسول ﷺ عليه ثلاثا وهو يرد كذلك بصوت منخفض حتى رجع الرسول ﷺ ولم يدخل لعدم سماعه الإذن ، فلحق به سيدنا سعد وقال: يارسول الله لقد كنت أسمعك وأرد عليك بصوت منخفض ليكثر علينا السلام فتكثر البركة فتفضل رسول الله ﷺ بدخول بيته بعد إذنه وهكذا سن النبى ﷺ الاستئذان قبيل دخول المنازل وقد قال ﷺ: «**فمن رغب عن**

---

(١) سورة يونس ٥٧ .

سنتى فليس منى» .

عباد الله : من رحمة الله بعباده هذا الدين الحنيف الذى بلغه رسولنا الأمين لم يدع فضيلة من الفضائل إلا حث عليها ولا رذيلة من الرذائل إلا نهى عنها وحذر من الوقوع فيها وقد بين لنا كل ما نحتاج إليه من أمور دنيانا وما يسعدنا فى أُخرانا : ﴿ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴾ (١) .

ومما جاء به هذا الدين أن أرشد العباد إلى ما يزكيهم ويديم مودتهم ويطهر قلوبهم فعلموهم آداب الزيارة وما يجب على المؤمنين فى تزاورهم ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلاَ تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ (٢) .

وهذه الآيات من المعلوم أن لها سبب نزول فعن سيدنا عدى بن ثابت أن امرأة من الأنصار قالت يا رسول الله : إنى أكون فى منزلى على الحال التى لا أحب أن يرانى عليها أحد لا والد ولا ولد ، وإنه لا يزال يدخل علىّ رجل من أهلى وأنا على تلك الحال قال : فنزلت الآيات (٣) .

ويذكر الإمام الطبرى أن أهل الجاهلية كان الرجل منهم إذا دخل بيتاً غير بيته يقول حُييتكم صباحاً وحييتم مساءً . ثم يدخل فربما أصاب الرجل مع امرأته فى لحاف واحد فصد الله عن ذلك وعلَّم الأحسن والأجمل بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ .

وفى سبب نزول قوله تعالى : ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ﴾ .

عن مقاتل بن حيان قال : لما نزلت آية الاستئذان فى البيوت : قال أبو بكر يا

---

(١) سورة النساء آية : ٧٠ .

(٢) سورة النور الآية : ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ .

(٣) أخرجه الفريابى وابن جرير والواحدى .

رسول الله فكيف بتجار قريش الذين يختلفون بين مكة والمدينة والشام ولهم بيوت معلومة على الطريق فكيف يستأذنون ويسلمون وليس فيها سكان ، فنزل قوله تعالى : ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ﴾ [1] .

عباد الله بهذه الآيات البينات جعل سبحانه للبيوت حرمة يجب مراعاتها وللمؤمنين كرامة يجب حفظها .

وللزيارة آدابٌ وحدودٌ يجب التزامها .

وقد قال ابن مسعود إذا سمعت يا أيها الذين آمنوا فاصغ لها سمعك فإنها خير تؤمر به أو شر تنهى عنه .

ففى هذا النداء الكريم خير أمرنا به فإن فى الحث على الاستئذان ستر العورات وعدم كشف الأسرار .

وبذلك الأدب تجمل العربى وتكمل وتنزه عما يقع من أهل الجاهلية قبل ظهور الإسلام إذ كان الرجل منهم يدخل بيتاً غير بيته فجأة فربما أصاب الرجل مع امرأته فى لحاف فجأة .

عباد الله إن الإنسان مهما علا قدره وقوى سلطانه فى عمله وبين قومه فهو على خلاف ذلك فى بيته وبين أولاده وزوجته وأهله حيث لا كلفة ولا قيود بينهم .

وللوظيفة مظهرها وواجباتها ولكل حرفة شئونها وآدابها ، وللبيوت نظامها وحرياتها وحرماتها ، وقد جعلها الله راحة وسكناً فيها أسرارنا وبناتنا ونساؤنا ، وفيها نقضى أعمالنا الخاصة ، وفيها الأكل والنوم ، وهما عورتان يجب سترهما لهذا كله ونحوه نهانا سبحانه أن ندخل بيوت غيرنا حتى نستأذن .

وقد علمنا الرسول ﷺ كيفية الاستئذان ، فقد دخل عليه رجل ولم يسلم ، فقال النبى ﷺ : «ارجع فقل السلام عليكم» ، فرجع الرجل ونصب عينيه قوله تعالى : ﴿ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ﴾ ، فقال السلام عليكم أأدخل؟ فأذن له

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم وانظر الواحدى ص ٥٧١ .

النبى ﷺ فدخل [١] .

ولا فرق بين أن يقال للمستأذن: ارجع وبين عدم الرد عليه بعد الاستئذان ثلاثاً فإنه يرجع فى الحالين كما فعل رسول الله ﷺ وكما فعل ذلك الرجل .

ويحضرنا هنا موقف حدث لسيدنا أبى موسى حين استأذن على سيدنا عمر ثلاثاً فلم يؤذن له انصرف ثم قال عمر: ألم أسمع صوت عبد الله بن قيس يستأذن؟ ائذنوا له ، فطلبوه فوجوده قد ذهب . فلما جاء بعد ذلك قال: ما أرجعك؟ قال: إنى استأذنت ثلاثاً فلم يؤذن لى ، وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فلينصرف**» فقال عمر: لتأتينى على هذا ببينة وإلا أوجعتك ضرباً ، فذهب إلى ملأ من الأنصار فذكر لهم ما قال عمر ، فقالوا: لا يشهد لك إلا أصغرنا . فقام معه أبو سعيد الخدرى فأخبر عمر بذلك ، فقال: ألهانى عنه الصفق أى الضرب باليد بالأسواق [٢] .

وعلى المستأذن أن يغض بصره فى حال الاستئذان ، فقد قال ﷺ: «**إنما جعل الاستئذان من أجل البصر**» [٣] .

وبين صلوات ربى وسلامه عليه أعظم الناس ذنوباً فقال: «**لو أن امرئ اطلع عليك بغير إذنك فحذفته بحصاة ففقأت عينيه لم يكن عليك جناح**» [٤] .

وقد أمر الله الأطفال عند البلوغ بالاستئذان فقال: ﴿ **وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾[٥] .

ولم يدخل المصطفى ﷺ ليلة أسري به سماء من السماوات إلا بعد أن استأذن له جبريل فى كل سماء مع أنه مدعو من قِبل مالك الأرض والسماء .

---

(١) رواه أبو داود والترمذى .

(٢) رواه البخارى فى صحيحه .

(٣) رواه البخارى ومسلم .

(٤) رواه الإمام أحمد والبخارى ومسلم .

(٥) سورة النور آية : : ٥٩ .

عباد الله ؛

إن كثيراً مما نشاهده ونسمعه ونقرؤه كل يوم من تلك الحوادث المؤلمة كحوادث القتل وتخريب البيوت وترميل النساء وتيتيم الأولاد إنما هو نتيجة التفريط فى تعاليم الدين ، ومن أهمل دينه فقد إنسانيته وشعوره .

وقد سمح بعض أشباه الرجال للأجانب وغير المحارم أن يدخلوا بيوتهم بغير استئذان ويجالسوا نساءهم فى غيبتهم اعتماداً على الثقة الكاذبة والصداقة المزعومة ، فوقعت الواقعة وتبين أن الثقة فى غير محلها ، وانكشفت تلك الصداقة عن غش ونذالة وخيانة وصرخ بالندم ، وهل يجدى الندم؟

فاعتبر أيها المسلم الكريم ، وانظر إلى مزايا الاستئذان والفوائد العظيمة التى من أجلها شرعه الديان جل جلاله حتى نعلم خطأ الذى يسمح لزوجته بمعاملة الخدم والباعة وهى ظاهرة لهم شبه عارية وهم رجال يشتهون ، وكم لذلك من جريمة نكراء وفضيحة شنعاء ، ولم يستطع سترها ولا التخلص منها فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وأمكنة العمل الخاصة لمكاتب الموظفين ونحوها - مثل البيوت لابد من الاستئذان على من بها ولو كانت مفتحة الأبواب ، فقد يكون من بداخلها على وضع لا يحب أن يطلع عليه أحد أو بحالة نفسية لا تسمح بلقاء أحد أو نحو ذلك .

أيها المؤمنون ، وعلى المستأذن أن يطرق الباب أو يدق الجرس ثلاثاً كما أسلفنا ، على أن يكون بين المرة والمرة دقيقتان على الأقل ، فلربما كان فى دورة المياه أو كان نائماً ، فإذا قال صاحب البيت من؟ فلا يقال أنا ، بل يسمى نفسه فيقول أنا محمد ومعى علىّ مثلاً . فإذا دخلتم البيوت فاجلسوا فى المكان الذى يسمح لكم بالجلوس فيه ، ولا تختاروا أنتم أماكنكم ، فإن جلستم فلا تجلسوا قبل الباب وعليكم أن تغضوا البصر عما بداخل البيت ، ولا تمتد أيدينا إلى شىء فى البيت إلا بإذن صاحب البيت . وإذا خرجنا من البيت وجلسنا مع أصحابنا أو مع أهلنا يجب ألا نذيع أسرار البيوت التى كنا فيها ؛ لأن البيوت أسرار وعورات فإذا سئلتم ماذا قدم لكم من الطعام والشراب ؟ قولوا : قدم لنا كل خير إنه كريم مع أنكم لم تجدوا عنده إلا كوباً من الشاى .

أيها المؤمنون: تلكم هى أهم وأدق الأحكام التى أردنا أن نتعلمها من فوق هذا المنبر . راجياً من الحق جل علاه أن ينفعنا جميعا بها فلعمرى لو أننا اتبعناها لكنا فى راحة نفسية .

فما فسدت الأخلاق إلا بالتخلى عن أحكام ديننا الحنيف ، وإنى أقسم بالله الذى لا إله غيره بأنه ليس هناك أطهر ولا أنقى ولا أعظم من آداب الإسلام ، فهو أعظم من كل رقى أو مدنية فعلينا أن نتقى الله وأن نراعى آداب الإسلام ، ومنها السلام والاستئذان بذلك نحظى بالسعادة وراحة البال جعلنى الله وإياكم من المهتدين وغفر الله لى ولكم أجمعين .

ونفعنى وإياكم بالكتاب العزيز .

واسألوا الله من فضله .

الخطبة الثانية :

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ،

فيا عباد الله ، نواصل اليوم الأعذار التى يعتذر بها تارك الصلاة فمن ذلك قول بعضهم: أنا لا يمنعنى من الصلاة إلا سلس البول ، وسلس البول النقطة التى تهبط من الشخص بصفة مستديمة بسبب مرض ، ومن قائل أنا لا يمنعنى من الصلاة إلا انفلات الريح أو نزيف البواسير أو الناصور ، ومن قائل أنا أعمل فى الحقل أى (فلاحا) وملابسى تكون ملوثة بروث البهائم أو طين الأرض وما ماثل ذلك ، وهذه امرأة تود أن تصلى وتقول لا يمنعنى إلا النزيف الذى ينزل منى دائما والمراد بالنزيف الاستحاضة: وهى الدم النازل بعد انتهاء مدة الحيض ، وتقول أخرى: إن الطفل يتبول على ثوبى وغير ذلك من الأعذار المماثلة لما ذكرنا .

عباد الله : وردا على تلك الأعذار نوضح النجاسات المعفو عنها للمشقة والتى أرشدت إليها الآية الكريمة إذ يقول مولانا فى كتابه الكريم : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (١) .

وقوله جل شأنه ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ (٢) .

وهذا هو فقه الإمام مالك يوضح لنا ويبرز هذه السماحة التى نادت بها شريعة الإسلام الغراء .

أيها المؤمنون : إن النجاسة التى يعفى عنها للضرورة والمشقة .

بينها فقهاء السادة المالكية على النحو التالى :

أولا : النجاسة التى يعفى عنها للضرورة .

سلس البول : وهو نزول البول بنفسه بغير تحكم فيه وكذلك المنى والمذى ، ومن ثم فإن الوضوء لا ينتفض بسلس البول ولا بسلس المذى والمنى طالما أن هذا السلس ملازم لك كأن يأتيك كل يوم ولو مرة وبذلك لا عذر لك .

ثانيا : انفلات الريح : وهو خروج الريح من الدبر بغير تحكم فيه وهذا أيضا لا ينقض الوضوء مثل سابقه .

ثالثا : الرعاف : وهو نزول الدم غالبا من الأنف .

رابعا : سلس الغائط : وهو خروج الغائط بنفسه بغير تحكم فيه .

والمراد بالغائط (البراز) وحكمه : هو حكم البول الذى وضحناه فى البند الأول ، فكل ما خرج بنفسه بغير اختيار من الأحداث يعفى عنه ولا يعتبر نجاسة ، ولا يجب غسله للضرورة إذا لازم كل يوم ولو مرة - بل يلزمه أن يتوضأ لكل صلاة فقط (٣) .

خامسا : بلل الباسور : الباسور هو الحبيبات التى فى داخل مخرج الغائط والبلل

---

(١) سورة الحج من الآية : ٧٨ .

(٢) سورة البقرة من الآية : ١٨٥ .

(٣) نظر الموجز اليسير فى أحكام الطهارة والصلاة ص ٢٠ .

هو الذى يخرج من الباسور وعليه نجاسة .

سادسا: بول الرضيع وغائطه (أى برازه) لمن يلازم الرضيع سواء كان أما أو غيرهالتعذر إزالة النجاسة بصفة دائمة ، ولا فرق بين الرضيع كونه ذكرا أو أنثى فكلاهما سواء فى المذهب المالكى .

سابعا: الجزار: فهذا هو الجزار قد يقطع الصلاة بحجة أن ثيابه ملوثة بالدماء ، فإن دم الذبيحة معفو عنه وليس هذا بعذر حتى يترك الصلاة ، فإنه يصلى وعلى ثوبه أثر هذه الدماء وإن استطاع أن يجعل فى محله ثوبا نظيفا لأجل الصلاة كان ذلك أفضل ، وإن لم يستطع فله أن يصلى بالثوب الذى يعمل به .

ثامنا: الطبيب الذى يزاول الجروح فلا يعتبر ما تعلق بالثياب نجسا للضرورة ، ويستحب إعداد ثوب للصلاة إن تيسر كما أسلفنا .

تاسعا: قدر دائرة الفلس من الدم والقيح والصديد .

عاشرا: فضلة الدواب: الإبل البقر - الغنم ، وكذلك الحمير والبغال والخيل لمن يرعاها أو كان عمله يقتضى ملازمتها .

حادى عشر: أثر ذباب وبعوض وناموس وغير ذلك ، فقد يقع على النجاسة مثل: العذرة أو البول أو الدم بأرجله أو فمه ثم يطير ويحط على ثوب أو بدن .

ثانى عشر: طين المطر ولو تعلقت به نجاسة ما دام طريا وتعذر الابتعاد عنها فلو أصاب الثوب أو البدن شىء منها فلا شىء فى ذلك .

ثالث عشر: القيح: وهو المدة الخاثرة تخرج من الدِّمل عادة حتى ولو خرجت بفعل فاعل سواء كانت محتاجة إلى فتحة أم لا .

رابع عشر: الصديد ، وهو ماء رقيق من المدة قد يخالطه دم .

أيها المؤمنون: هذه هى سماحة الإسلام وروحه الطيبة من غير تعسير ، ومن ثم كان عليك أيها المصلى أن تتق الله فى نفسك وفى ذريتك ، فإن التقوى تنفع الذرية ،

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ [١] .

فاتقوا الله عباد الله وأدوا فريضة ربكم يمن عليكم بجنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر .

وأعتقد أنه ليس هناك عذر يحتج به أى إنسان تارك للصلاة ، هدانى الله وإياكم أجمعين ، وقبيل أن أفارق مكانى هذا أريد أن ألفت الأنظار إلى أن التليفون كباب البيت فلابد لمن يتصل بالتليفون أن يلقى السلام ولا ينتظر من يسأله من أنت؟ وينهى المكالمة بلا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله ربما كانت هى الكلمة الأخيرة ، وبالتالى كان هو اللقاء الأخير بينهما .

فاللهم وفقنا إلى طاعتك ، ووفقنا إلى اجتناب معاصيك ، اللهم اهدنا إلى الإيمان ووفقنا إلى مرضاتك يا رحمن ، ووفق ولاة أمورنا إلى ما تحب وترضى .

عباد الله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ، وصلوا على الحبيب المصطفى - وأقم الصلاة .

****

(١) التحريم من الآية : ٦ .

آداب المناجاة
كما يصورها القرآن الكريم وسنة البشير النذير

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على القوم الظالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يعلم السر والنجوى .

وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدًا عبده ورسوله ، وصفيه من خلقه وحبيبه خير من ناجى ربه ، وخير من ناجاه الناس فصلاة وسلاما دائمين متلازمين إلى يوم الدين .

أما بعد ،

فيا أتباع سيدنا ومولانا محمد ﷺ .

لقائى بحضراتكم اليوم لقاء طيب ما أحوجنا إليه ، ولا يقل أهمية ومكانة عن سابقه فى الجمعة الماضية ؛ لأنه يتعلق بأمر يحتاج إليه كل مسلم ألا وهو مناجاة الإنسان لأخيه حتى نحذر الإثم والعداون ، وبالتالى نبتعد عن غضب الرحمن جل جلاله .

والآن هيا بنا مع الكتاب الخالد أبد الدهر لننظر ماذا قال فى هذا الأمر العظيم "المناجاة" ؟ .

يقول العلى الأعلى فى محكم التنزيل وهو أصدق القائلين : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاؤُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلاَ يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلاَ تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [1] .

عباد الله : جماعة المؤمنين . وقُبيل أن نعيش مع الآيات البينات أقف بحضراتكم وقفة المتأمل مع أسباب النزول للآيات البينات ، فعن الآية الثامنة : يقول الإمام مقاتل

---

(١) سورة المجادلة الآيات ٨ ، ٩ ، ١٠ .

ابن حيان: كان بين النبى ﷺ وبين اليهود موادعة ، فكانوا إذا مرّ بهم رجل من الصحابة جلسوا يتناجون بينهم حتى يظن المؤمن أنهم يتناجون بقتله أو بما يكرهه فنهاهم النبى ﷺ عن النجوى ، فلم ينتهوا فأنزل الله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ﴾ الآية [١] .

وعن أسباب نزولها أيضاً يروى عن سيدنا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما: أن اليهود كانوا يقولون لرسول الله ﷺ: السام عليكم ، ثم يقولون فى أنفسهم: "لولا يعذبنا الله بما نقول" ، فنزلت الآية التاسعة من السورة: ﴿ وَإِذَا جَاؤُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ ﴾ [٢] .

أمّا عن الآية العاشرة:

فعن سيدنا قتادة قال: كان المنفقون يتناجون بينهم وكان ذلك يغيظ المؤمنين ، ويكبر عليهم فأنزل الله: ﴿ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ ﴾ الآية [٣] .

وبعد ما علمنا أسباب النزول للآيات البينات هيا بنا نسبح فى بحار أنوارها حتى نحظى بأنوار كلمات ربنا عز وجل .

أيها الأحباب " يقول الله تعالى لحبيبه ومصطفاه سيدنا ومولانا محمد ألم تر يا حبيبى أى: ألم تنظر إلى الذين نهيتهم عن التناجى والمسارة بالسوء ، ثم عودتهم إلى ما نهيتهم عنه وهم اليهود لعنهم الله وطهّر المسجد الأقصى منهم ، وكذلك المنافقون كما ذكر فى سبب النزول ، ثم يقول جل شأنه: ﴿ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ ﴾ ، أى ويتسارون أو يتحدثون فيما بينهم بما هو معصية وذنب كالكذب واعتداء وظلم للآخرين وعدوان على المؤمنين وتواص بمخالفة النبى ﷺ .

ويقول جل شأنه: ﴿ وَإِذَا جَاؤُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ ﴾ أى: وإذا أتى إليك اليهود حيوك بتحية سوء لم يحيك بها الله إطلاقا ، فيقولون: السام عليك ، يرون

---

(١) أنظر أسباب النزول للإمام الواحدى ص ٢٣٣ .

(٢) أخرجه أحمد والبزار والطبرانى بسند جيد .

(٣) انظر جامع البيان للإمام الطبرى عند تفسير الآية العاشرة من سورة المجادلة .

بذلك السلام ظاهرا ، وهم يعنون الموت باطنا ، **فيقول النبى ﷺ: «وعليكم»** .

فعن مولاتنا السيدة عائشة رضى الله عنها : أن ناسا من اليهود دخلوا على رسول الله ﷺ: فقالوا السام عليكم يا أبا القاسم ، فقال ﷺ: **«وعليكم»** وقالت عائشة : عليكم السام ولعنكم الله وغضب عليكم .

فقال عليه الصلاة والسلام: **«يا عائشة عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش»** ، فقلت : ألا تسمعهم يقولون السام ؟ فقال عليه الصلاة والسلام ، **«وأما سمعت ما أقول وعليكم»** ، فأنزل الله تعالى : **﴿ وَإِذَا جَاؤُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ ﴾** أى والله تعالى يقول : **﴿ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ﴾** ويأيها الرسول ويأيها النبى [(١)] .

عباد الله ، أرجو أن نمعن النظر فى خلق النبى ﷺ ذلكم الخُلُقُ الرفيع ، إنه يكره من أمُنا عائشة أن ترد بتلك الكلمات التى قالتها حتى ولو كان علي يهودى يَالَكَ من صاحب قلب رحيم كبير يا سيدى يا رسول الله أين ذلك الخلق العالى الرفيع فيما نحن فيه الآن من حقد المسلم على أخيه المسلم وربما كان على شقيقه وكافة أقاربه؟ ربما حقد على والده . ويوم أن يتعرض لنا أحد وينال منا بلسانه ، فإنما تكون الطامة الكبرى بهذا الإنسان المسلم الذى اعتدى علينا بالشتائم ولو قال لنا كلمة لقلنا له ألفا ناهيك عن السب واللعن فهلا تأدبنا بهذا الأدب المحمدى الرفيع .

تلكم كلمات أردت أن أهمس بها فى آذانكم لعل الله أن يغير حالنا إلى حال يرضيه عنا .

عباد الله ، ثم يقول سبحانه : **﴿ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلاَ يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ﴾** أى يفعلون هذا ويقولون فيما بينهم : لو كان محمد نبيا لعذبنا الله بما يتضمنه قولنا من الاستخفاف به .

فأجاب الله تعالى عن قولهم ، بأن جهنم تكفيهم كما قال سبحانه وتعالى : **﴿ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾** أى يكفيهم عذاب جهنم عن الموت الحاضر - يدخلونها فبئس المرجع والمآل وهو جهنم .

---

(١) رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما .

ثم ذكر سبحانه آداب المناجاة حتى لا يكون المؤمنون مثل اليهود والمنافقين ، فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلاَ تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ ﴾ أى : يا أيها المؤمنون الذين يقتضى إيمانكم امتثالا لأمر الله والابتعاد عن كل ما يتنافى مع الإيمان الصحيح - إذا تحدثتم سرا فيما بينكم فلا تفعلوا مثلما يفعل الجهلة من اليهود والمنافقين من التناجى بالمعصية والذنب والاعتداء على الآخرين وظلمهم ومخالفة النبى ﷺ قائد الأمة ومنقذها من الضلالة .

ثم يقول سبحانه : ﴿ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ أى وتحدثوا بالطاعة وترك المعصية وبالخير واتقاء الله فيما تفعلون وتتركون ، فإنكم إليه تجمعون يوم القيامة والحساب ، فيخبركم بأعمالكم وأقوالكم ويحاسبكم الله عليها ويجازيكم بما تستحقون قال ﷺ: «**إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى رجلان دون الآخر ، حتى تختلطوا بالناس فإن ذلك يحزنه**» [1] .

ثم ذكر الله تعالى بواعث مناجاة الكفار بالسوء فقال : ﴿ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ أى : إنما التناجى أو المسارة بالإثم والعدوان ومعصيت الرسول ﷺ من تزيين الشيطان وتسويله ووسوسته ليسوء المؤمنين . ولأجل أن يوقعهم فى الحزن بإيهامهم أنهم فى مكيدة يكادون ، وليس الشيطان أو التناجى الذى يزينه الشيطان بضار المؤمنين شيئاً إلا بإرادة الله تعالى ومشيئته .

ثم يقول جل شأنه : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ أى فلا يأبه المؤمنون بتناجيهم وليتوكلوا على الله ربهم ، بأن يكلوا أمرهم إليه ويفوضونه فى جميع شئونهم ويستعيذون بالله من الشيطان ولا يبالون بما يزينه من النجوى .

أيها الأحباب : هكذا صور لنا الحكيم جل جلاله أبرز المعانى فى كلماته النيرة والكيس من أخذ لنفسه من تلك المعانى الطيبة السامية ، ومن ثم فقد وُقِىَ من الشيطان ووسوسته وبهذه الآيات فوائد وأحكام نتعلمها بعد جلسة الاستراحة ، سلوا الله من فضله غفر الله لى ولكم أجمعين .

---

(١) رواه أحمد والبخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه وعبد الرزاق عن ابن مسعود .

الخطبة الثانية :

الحمد لله وكفى ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولى الصالحين الصابرين وأشهد أن سيدنا محمدا بن عبد الله بلغ الرسالة وأد الأمانة ونصح الأمة وكشف الغمة وجاهد فى الله حق جهاده فاللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى أصحابه أجمعين .

أما بعد ،

فيا عباد الله ، هناك فوائد وأحكام تضمنتها الآيات الكريمة وها نحن نبينها بفضل الله تعالى عسى أن ننتفع بها .

١ - إن شأن اليهود وديدنهم معاداة القيم والأنبياء والتآمر والمكايد فتراهم يتناجون سرا بالإثم والعدوان أى الكذب والظلم ويتواصون بمخالفة الرسول ﷺ ، ويخرجون عن الآداب الاجتماعية المعروفة ، فيحيون النبى ﷺ بقولهم السام عليك يريدون بذلك السلام ظاهرا ، وهم يعنون الموت باطنا فيحييهم النبى ﷺ بقوله «**عليكم**» أو : «**وعليكم**» وكانوا يقولون لو كان محمد نبينا لما أمهلنا الله بسبه والاستخفاف به ، وجهلوا أن الحق تبارك وتعالى حليم لا يعاجل من سَبَّهُ فكيف من سب نبيه ؟ .

وقد ثبت أن النبى ﷺ قال : «**لا أحد أصبر على الأذى من الله ، يدعون له الصاحبة والولد ، وهو يعافيهم ويرزقهم**» (١) .

واختلف العلماء فى رد السلام على أهل الذمة ، هل هو واجب كالرد على المسلمين ؟ فذهب ابن عباس والشعبى وقتادة إلى الوجوب للأمر بذلك ، وذهب مالك والشافعى إلى أن ذلك ليس بواجب فإن رددت فقل : عليك ، قال الإمام القرطبى فى تفسيره : وما قاله مالك اتباعاً للسنة ، فعن سيدنا أنس بن مالك أن النبى ﷺ قال «**إن سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا : عليك ما قلت**» (٢) .

---

(١) رواه الإمامان أحمد فى مسنده ومسلم فى صحيحه .

(٢) رواه الترمذى .

٢- أمر الله المؤمنين أن يتناجوا فيما بينهم بالبر والتقوى أى بالطاعة والعفاف عما نهى الله عنه ، ونهاهم عن التناجى أى التسارر بالمعصية والذنب ، والاعتداء على الآخرين والظلم فإنهم مجموعون فى الآخرة إلى الله الذى يجازيهم على ما قالوا وما عملوا .

٣- إن الباعث على نجوى السوء من تزيين الشيطان ليوقع المؤمنين فى الهم والحزن وليوهمهم أن المسلمين أصيبوا فى السرايا أو أنهم متعرضون لمكايدة الأعداء والوقوع فريسة الأقوياء ومحنة السوء ، مع العلم بأن الشيطان لا يضر أحدا بشىء إلا بمشيئة الله وتدبيره ، وعلى المؤمنين أن يكلوا أمرهم إلى الله بهم القاهر القادر ، ويفوضوا جميع شؤونهم إلى عونه ويستعيذوا به من الشيطان ، ومن كل شر فهو الذى سلط الشيطان بالوساوس ابتلاء للعبد وامتحانا ولو شاء لصرفه عنه .

٤- من أدب الإسلام كما جاء فى قول عبد الله بن مسعود المتقدم: «**إذا كنتم ثلاثة . .**» ألا يتناجى أو يتحدث سرا اثنان أمام ثالث حتى يجد الثالث من يتحدث معه ، كما فعل ابن عمر وذلك أنه كان يتحدث مع رجل فجاء آخر يريد أن يناجيه ، فلم يناجه حتى دعا رابعا ، فقال له وللأول: تأخرا وناجى الرجل الطالب للمناجاة [١] .

ويستوى فى ذلك كل الأعداء فلا يتناجى أربعة دون واحد ولا عشرة ولا ألف مثلا: لوجود ذلك المعنى فى حقه ، بل وجوده فى العدد الكثير أوقع ، فيكون بالمنع أولى ، وإنما خص الثلاثة بالذكر: لأنه أَوَّلُ عدد يتأتى ذلك المعنى فيه ، وظاهر الحديث يعم جميع الأزمان والأحوال ، وإليه ذهب الجمهور وسواء أكان التناجى فى مندوب أم مباح أم واجب فإن الإساءة تشمله [٢] .

فيا عباد الله أرجو أن ننتفع بما علمناه فى هذه الجمعة .

أيها الناس إنى داع فأمنوا:

اللهم فقهنا فى ديننا وبصرنا بعيوبنا ، اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه ، وأرنا

---

(١) أخرجه الإمام مالك فى موطئه .

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن الإمام القرطبى ج١٧ ص ٢٩٥ .

الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه ، اللهم اشف مرضانا وارحم موتانا واقض ديوننا وفرج كروبنا أجمعين يا رب العالمين .

عباد الله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ، وصلوا على الحبيب المصطفى تفلحوا ، وأقم الصلاة .

* * * * * * * * * * *

آداب المجالس فى الإسلام

الحمد لله رب العالمين أحمده سبحانه ، بين فى كتابه أن الحياة الطيبة للمؤمنين مترتبة على السلوك الطيب فقال: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (١) .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له بين فى كتابه أن حل أزمات الخلق مترتب على تقوى الخالق فقال سبحانه : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ ﴾ (٢) .

وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن سلك منهجهم القويم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ،

فيا أتباع سيدنا ومولانا محمد عليه الصلاة والسلام ، من أدب إلى أدب نلتقى فكما التقينا بآداب التناجى فى الجمعة الماضية نلتقى اليوم بآداب المجالس فى الإسلام كما تصوره لنا سورة المجادلة يقول الحق تعالى فى محكم التنزيل وهو أصدق القائلين :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (٣) .

عباد الله : وقبيل أن نغوص فى بحار أنوار تلك الآية نحب أن نقف بحضراتكم وقفة المتأملين فى أسباب التنزيل لهذه الآية المباركة .

أيها الأحباب :

فقد نزلت هذه الآية فى يوم الجمعة وقد جاء ناس من أهل بدر وفى المكان

---

(١) سورة النحل آية : ٩٧ .

(٢) سورة الطلاق من الآية : ٢ ، ٣ .

(٣) سورة المجادلة الآية : ١١ .

ضيق ، فلم يفسح لهم فقاموا على أرجلهم ، فأقام ﷺ نفرا بعدتهم وأجلسهم مكانهم فكره أولئك النفر ذلك فنزلت الآية الكريمة [(١)] .

وفى الآية الكريمة فى لفظ المجالس قراءتان متواترتان ، فقد قرأ الإمام عاصم الكوفى المجالس وقرأ الباقون المجلس وهما قراءتان متواترتان عن النبى ﷺ [(٢)] .

أيها المؤمنون ، وبعدما علمنا سبب نزول الآية وما فيها من قراءات متواترة آن لنا الآن أن نسبح فى بحار أنوارها الساطعة والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل .

إن الله جل جلاله أمر المؤمنين أن يتفسحوا فى المجلس ولم يخصص بذلك مجلس النبى ﷺ دون مجلس القتال ، فكلا الموضعين يقال له مجلس والسبب فى دخول مجالس القتال فى الآية أن النبى ﷺ كان يصف أصحابه عند بدء القتال فكانوا يتزاحمون حرصا على القتال والشهادة فى سبيل الله فكان يحب أن يقدم من له خبرة فى القتال وجلد وقوة .

والحق ، أن الآية تعم كل مجلس وتطالب أهل كل مجلس بأن يفسحوا لإخوانهم عندما يطلب منهم ذلك لأى اعتبار من الاعتبارات الكثيرة التى منها :

١- أن يكون المكان ضيقا .

٢- أو القادم أحوج إلى المجلس .

٣- أو ليس عنده وقت .

٤- أو من المؤلفة قلوبهم .

٥- أو سيكون نفعه أكثر وقدرته أكبر وغير ذلك ،

ولعل سائلا يسأل :

ما هى الثمرة المترتبة على التوسعة فى المجلس ؟ والجواب نجده فى قول الله تعالى ﴿ يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ وفى أى شىء يكون إفساح الله لكم ؟ إنه يكون فى رحمته

(١) انظر لباب النقول فى أسباب النزول للإمام جلال الدين السيوطى ص ٣٢٦ .
(٢) انظر المستنير فى القراءات المتواترة ج٣ ص ٢١٧ .

فهى واسعة غامرة وسعت كل شىء أو فى منازلكم فالمنزل الواسع من دواعى السعادة وحسن الحال وراحة البال - أو فى الجنة التى عرضها السماوات والأرض ، أو فى القبور - حيث يفسح الله للمؤمن فيها مد بصره) أو فى الصدور فالله يشرح صدور المؤمنين للإسلام ويجعل صدور من لا يريد هدايتهم لزيفهم ضيقة حرجة قال تعالى: ﴿ **فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ** ﴾ .(١) .

أو يفسح للمؤمنين فى الأرزاق والأقوات فلا توجد عندهم أزمات قال تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ** ﴾ (٢) .

بل يفسح الله للمؤمنين الملتزمين بتوجيهات رب العالمين عموما فسحا شاملا يعم وجوه الفسح رحمة ومنازلا ومساكنا فى الدنيا والآخرة وقبورا وصدورا وقوتا ورزقا وهذا ما يجعلنا نؤكد للباحثين عن حل لأزمات الإسكان والقوت والغذاء على اختلاف أفكار الباحثين ، بأن الحل لهذه المشاكل المعقدة لن يكون إلا بالإيمان يزرع فى القلوب ويتأكد فى واقع الحياة تطبيقا وسلوكا عند الفرد والأسرة والجماعة والمجتمع ، وإلا فمن أصدق من الله قيلا وحديثا ، هو الذى يشخص الداء ويحدد الدواء .

وإذا كان هذا هو مقتضى الإيمان عند طلب التفسح أن تفسح ، فيا ترى ما هو مقتضى الإيمان عند طلب النشوز ؟ يجيب على ذلك قول الله تعالى: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا** ﴾ واللفظ يحتمل وجوها . **أحدها:** إذا قيل لكم قوموا للتوسعة على الداخل فقوموا .

وثانيها: إذا قيل لكم قوموا من عند رسول الله ﷺ ولا تطولوا فى الكلام فقوموا ولا تركزوا معه كما قال سبحانه: ﴿ **وَلاَ مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي**

---

(١) سورة الأنعام الآية: ١٢٥ .

(٢) سورة الأعراف الآية: ٩٦ .

النَّبِيَّ ﴾ (١) .

ولأنه كان يؤثر أحيانا الانفراد فى أمر الإسلام أو لأداء وظائف تخصه ﷺ لا تتأتى أو لا تكمل بدون الانفراد .

وثالثها : إذا قيل لكم قوموا إلى الصلاة والجهاد وأعمال الخير وتأهبوا له فاشتغلوا به وتأهبوا له ولا تتثاقلوا فيه (٢) .

عباد الله : ولما نهاهم سبحانه وتعالى أولا عن بعض الأشياء ثم أمرهم ثانيا ببعض الأشياء ووعدهم على الطاعات فقال : ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ .

أى يرفع المؤمنين بامتثال أوامر رسول الله ﷺ .

والعالمين منهم خاصة درجات فى مجلس رسول الله ﷺ أو فى الثواب ومراتب الرضوان .

ولعل سائلا يسأل ما السبب فى اختصاص العلماء بالذكر مع أنهم قد دخلوا ضمن المؤمنين ؟

قال الإمام الجليل القاضى عياض بن موسى المالكى : لا شبهة أن علم العالم يقتضى لطاعته من المنزلة مالا يحصل للمؤمن ؛ ولذلك فإنه يُقتدى بالعالم فى كل أفعاله ولا يقتضى بغير العالم . لأنه يعلم من كيفية الاحتراز عن الحرام والشبهات ومحاسبة النفس مالا يعرفه غيره ، ويعلم من كيفية التوبة وأوقاتها وصفاتها ما لا يعرفه غيره (٣) .

ولذا فقد قال الإمام مُطرف بن عبد الله بن الشخير : فضل العلم أحب إلى الله من

---

(١) سورة الأحزاب من الآية : ٥٣ .

(٢) انظر لباب التأويل فى معانى التنزيل للإمام علاء الدين على بن إبراهيم البغدادى الشافعى الشهير بتفسير الخازن ج٧ ص ٥١ ط دار الفكر بيروت .

(٣) انظر الجواهر الحسان فى تفسير القرآن للإمام الثعالبى ج٥ ، ص ٤٠٢ .

فضل العبادة وخير دينكم الورع [١] .

وعن سيدنا أبى موسى عن النبى ﷺ أنه قال: «**مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها طائفة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء فينفع الله بها الناس فشربوا وسُقوا وزرعوا ، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه فى دين الله عز وجل - ونفعه ما بعثنى الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به**» [٢] .

هذه هى أسمى المعانى التى تكلفت بها الآية لعل الله تعالى أن ينفعنا بها إن شاء الله تعالى .

أما عن آداب المجالس فيقول صلوات ربى وسلامه عليه: «**إياكم والجلوس فى الطرقات**» فقالوا: يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها فقال رسول الله ﷺ: «**فإذا أبيتم إلا الجلوس فأعطوا الطريق حقه**» ، قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله ؟ قال: «**غض البصر وكف الأذى ، ورد السلام ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر**» [٣] .

أيها المؤمنون: إن التوجيه الإلهى يرتقى بالأمة عن إضاعة الوقت فيما لا فائدة فيه وإنه الحرص على تطبيق مبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى كل وقت ، وإنه التحذير من استعمال الطرقات لعقد مجالس السوء ، أما إذا كانت هذه المجالس للخير فلا غبار عليها والحديث منبِّه على أن الجلوس فى الطرقات يجوز حينما لا يكون بد من ذلك .

أما إذا لم تكن ضرورة لذلك فلا يصح الجلوس فى الطرقات ولابد للجالسين من غض البصر وكف أذاهم عن الناس فلا يستهزئون بالمارة من خلق الله ، ولاسيما الضعفاء والفقراء وذوى العاهات ولا يغتابون أحدا أو يتناولون أحدا بسوء ، كذلك

---

(١) انظر تفسير الطبرى ج١٢ ص ١٩ ، وابن عطية ج٥ ص ٢٧٩ .
(٢) أخرجه البخارى ومسلم .
(٣) رواه البخارى ومسلم .

لابد أن يشعروا المارّين بأنهم مسلمون ، وذلك من خلال رد السلام الذى يشيع الأمن والطمأنينة بين النفوس ، كذلك لابد من إرشاد ابن السبيل وإغاثة الملهوف وهداية الضال كما جاء فى بعض الروايات الأخرى التى ذكرها صاحب كتاب "عون المعبود فى شرح سنن أبى داود" هذا بالإضافة إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

ثانياً: لابد وأن يكون هناك أمير للجلسة حتى تنتظم المجالس تنظيماً صحيحاً - والأمير إما أن يكون صاحب البيت إن كان المجلس فى البيت أو إمام المسجد إن كان المجلس فى المسجد . وأعلمهم إن كانت فى مكان غير ذلك ، والأمير لا يسمح لأحد بأن يقاطع الآخر ولا يجعل أحداً يتفرد بالجلسة لحسابه ، بل يوزع الحديث على الجلوس ويتفق معهم فى موضوع المجلس ، ويقرب منه العقلاء حسب أمر الرسول ﷺ وفعله ، ودليلنا على ذلك أنه ﷺ كان يجلس حيث ينتهى به المجلس [(١)] .

وكان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين يجلسون منه على مراتبهم فالصديق يجلس عن يمينه وسيدنا الفاروق عمر يجلس عن يساره وبين يديه غالباً سيدنا عثمان وسيدنا على ؛ لأنهما كانا ممن يكتب الوحى ، وكان يأمرهم بذلك فيقول: «**ليلينى منكم أولوا الأحلام والنهى ثم الذين يلونهم**» وما ذلك إلا ليعقلوا عنه ما يقوله صلوات الله وسلامه عليه .

ثالثاً: الجلوس حيث ينتهى المجلس وذلك لما رواه سيدنا جابر رضى الله عنه قال : "كنا إذا أتينا النبى ﷺ جلس أحدنا حيث ينتهى" [(٢)] .

وروى عن سيدنا أبى واقد الليثى رضى الله عنه أن النبى ﷺ بينما هو جالس فى المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر ، فأقبل اثنان إلى النبى ﷺ وذهب واحد . قال: فوقفا على رسول الله ﷺ فأما أحدهما فرأى فرجة فى الحلقة فجلس فيها ، وأما الآخر فجلس خلفهم ، وأما الثالث فأدبر ذاهباً ، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: «**ألا أخبركم عن النفر الثلاثة: أما أحدهم فآوى إلى الله فآواه الله ، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله**

---

(١) رواه أصحاب السنن .

(٢) رواه الإمامان أبو داود والترمذى وحسنه .

منه ، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عز وجل عنه» (١) .

عباد الله : ففى هذا الحديث جواز الإخبار عن أهل المعاصى وأحوالهم للزجر عنها ، وأن ذلك لا يعد من الغيبة المحرمة وفى الحديث أيضا فضل ملازمة حلق العلم والذكر وجلوس العالم والذاكر فى المسجد والثناء على المستحيي ، والجلوس حيث ينتهى به المجلس .

رابعا: عدم إقامة أحد من مجلسه لحديث سيدنا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يقيمن أحدكم رجلا من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا»** وكان سيدنا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما إذا قام له رجل من مجلسه لم يجلس فيه (٢) .

خامسا: صاحب المكان أولى به ، لقول سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ: **«إذا قام أحدكم من مجلسه ثم رجع إليه فهو أحق به»** (٣) .

أيها الأحباب: ويبقى للحديث عن آداب المجالس بقية وهذا ما سوف نتحدث عنه بعد جلسة الاستراحة .

أيها الأحباب: توبوا إلى الله واسألوه من فضله ، لأن التائب حبيب الرحمن .

الخطبة الثانية :

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وكل من سار على منهجهم القويم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ،

فيا عباد الله : عرفنا أن الحبيب المصطفى ﷺ وجهنا توجيها عظيما فقال: **«إذا قام أحدكم من مجلسه ثم رجع إليه فهو أحق به»** .

---

(١) رواه البخارى .
(٢) رواه البخارى .
(٣) رواه مسلم .

ولعل السبب أنه أتى إلى المجلس مبكرا ، وذلك دليل على حرصه على المجلس فهو الأحق به ، أما ما يحصل فى كثير من المجالس الآن حيث ينتصب الجميع قياما حال دخول أى وجيه أو كبير قوم ويتنادون جميعهم ويطلب كل واحد من الجالسين من القادم أن يجلس مكانه ، هذا ليس مجلسا إسلاميا لأن التعظيم لا ينبغى لأحد غير الله عز وجل ، ومولانا رسول الله ﷺ كان يجلس حيث ينتهى به المجلس وهو خير خلق الله على الإطلاق .

وقد طلب إمام دار الهجرة سيدنا ومولانا الإمام مالك بن أنس من أمير المؤمنين أن يجلس حيث انتهى به المجلس عند مجيئه إلى طلب العلم فى مسجد مولانا رسول الله ﷺ فتأملوا رحمكم الله .

سادسا: أن يحترم الصغير الكبير ويوقره ولا يتكلم بحضوره حتى ولو كان أكثر منه فهما وأعلى منه رتبة ومركزا ؛ لما صح أن سيدنا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ :«**إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم فحدثونى ، ما** هى ؟» فوقع الناس فى شجر البوادى قال سيدنا عبد الله بن عمر ووقع فى نفسى أنها النخلة فاستحييت ثم قالوا: حدثنا يا رسول الله قال: «**هى النخلة**»[1] .

يا أحباب الحبيب المصطفى ﷺ ، إن الناظر والمتأمل فى هذا الحديث يجد الأدب الجم ويلاحظه ويجد التربية الفائقة الحدود .

وكيف لا وقد تربى سيدنا عبد الله بن عمر على يد المعلم الأكبر الذى علمه الله وأحسن تأديبه سيد الرسل قاطبة سيدنا ومولانا محمد ﷺ .

إن سيدنا عبد الله بن عمر وقع فى نفسه أنها النخلة ، وما منعه عن الإجابة إلا الأدب والحياء من كبار الصحابة ، إذ كان فى المجلس الصحابة وعلى رأسهم سيدنا أبو. بكر الصديق وسيدنا عمر بن الخطاب وغيرهما . أين هذا الأدب من أولئك الذين يتطاولون ويسخرون من كبار السن ؟ بحجة أن هذا الكبير أمى أو عامل أو موظف على قدر حاله ، أو فلاح أما هذا الصغير فهو مهندس أو دكتور أو محامى أو محاسب أو

---

(١) رواه البخارى .

مدرس أو ناظر أو مدير ، ونسى هؤلاء أن الدين الإسلامى علمنا أن نحترم من هو أكبر منا سناً ، وما موقف سيدنا عبد الله بن عمر منا ببعيد وكل هذا راجع إلى النشىء وأساس التربية فى البيوت ، فقد ترك له العنان وسُمِح له باحتقار من هو أكبر منذ أن كان فى بيته صغيرا مدللا ، ولا يسعنى وأنا أقف فى مكان وقف بمثله سيد العالمين سيدنا ومولانا محمد إلا أن أنادى بضرورة التربية الطيبة وبضرورة الرجوع إلى الرعيل الأول من لدن الصحابة حتى أجدادنا الخيار الذين كانوا يعرفون ما عليهم من واجبات ، وتعلمنا منهم أن العين لا يمكن لها أن تكون أرفع ولا أعلى من الحاجب ، فهل من رجعة إلى عصر هؤلاء ؟ ولكن كيف ؟ ونحن فى زمان الأستاذ يأخذ من تلميذه سيجارة ، والتلميذ يشعل نيران السيجارة من أستاذه ، ناهيك عن التدخين ، أما الأب بل ربما طلب الابن سيجارة من والده بل هو يقول له بالفعل ألاحظ أنك لست بشوشا خذ منى سيجارة ، وعن هذه الأمثال والمواقف المضحكة المؤسفة حدث ولا حرج ، اللهم الطف بنا وبجميع المسلمين والمسلمات فيما جرت به المقادير إنك على كل شىء قدير ، فلاحظ أخا الإسلام حياء ابن عمر من سيدنا رسول الله والصحابة .

سابعا : عدم إفشاء سر المجلس لأن من معانى الأمانة أن تحفظ حقوق المجالس التى تشارك فيها فلا تدع لسانك يفشى أسرارها ويسرد أخبارها .

فكم من حبال تقطعت ومصالح تعطلت لاستهانة بعض الناس بأمانة المجلس وذكرهم ما يدور فيه من كلام منسوب إلى قائله أو غير منسوب قال رسول الله ﷺ: «**إذا حدث رجل رجلا بحديث ثم التفت فهو أمانة**» [1] .

وحرمات المجالس تصان مادام الذى يجرى فيها مضبوطاً بقوانين الأدب وشرائع الدين ، وإلا فليست لها حرمة وعلى كل مسلم شهد مجلساً يمكر فيه المجرمون بغيرهم ليلحقوا به الأذى ، أن يسارع إلى الحيلولة دون الفساد جهد طاقته ، قال رسول الله ﷺ: «**المجلس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس : مجلس سفك دم حرام ، أو فرج حرام ، أو اقتطاع مال بغير حق**» [2] .

---

(١) رواه أبو داود .

(٢) رواه أبو داود .

ثامنا: على المسلم أن يتجنب مجالس اللغو والباطل فللمجالس الإسلامية أحاديث خاصة بها ، فليس كل شيء يقال فيها ؛ لأن مجلس المسلمين لابد وأن يتناسب مع المسلمين حيث هم من المكانة السامية التفكير وأن لهم ما يشغلهم من التفكير والتدبير فى آيات الله فى الكون والآفاق ، فكل ما فى الكون يستغرق اللب ويشغل الفكر ويبرهن على وحدانية الخالق .

إذن فالمسلمون لهم أحاديث خاصة مجالسهم عامرة بذكر الله وقراءة القرآن والتفكير فيما ينفع أهله ووطنه ، وإصلاح مجتمعه .

تاسعا: ألا يخلو المجلس عن ذكر الله والصلاة على الحبيب المصطفى ﷺ وفعل الخيرات وترك المنكرات ، وذلك يتأتى باجتناب الرذائل وقانا الله وإياكم شر الرذائل وشر اقتراب الكبائر ، وجعلنا وإياكم من المهتدين بهديه وهداه اللهم ارزقنا الحلال وبارك لنا فيه اللهم ارزقنا القناعة واكفنا شر الطمع فى الدنيا ، اللهم أحسن عاقبتنا فى الأمور كلها وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة ، اللهم أحسن ختامنا وارزقنا صالح الجزاء وأحسنه يا رب العالمين ، اللهم وفق ولاة أمورنا إلى ما فيه الخير للبلاد والعباد إنك نعم الموالى ونعم البصير وبالإجابة جدير وأنت حسبنا ونعم الوكيل .

عباد الله : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ اذكر الله يذكركم واشكروه يزدكم وصلوا على الحبيب المصطفى تفلحوا : وأقم الصلاة .

* * * * * * * * * * *

حسن اختيار الأصدقاء

الحمد لله الذى أمرنا بالألفة ودعانا إلى المحبة والأخوة ، وأشهد أن لا إله إلا الله القائل ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ (١) .

وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبد الله ورسوله أقام المجتمع على الترابط والمحبة قال له مولاه : ﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢) .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه الذين تحابوا فى الله فجزاهم الله خير الجزاء .

أما بعد ،

فيا أتباع سيدنا ومولانا محمد ﷺ إن ديننا دين صحبة وتآلف وتعارف قال جل شأنه ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (٣) .

وهو بهذا يقيم الصلات التى تربط بين الأصدقاء لما لها من نتائج فى حياة المجتمع فالإنسان مدنى بطبعه والرسول ﷺ ويقول: «**المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**» (٤) .

فعلى هذا الأساس نتخير الأصدقاء وهو أن تكون الصحبة كريمة خالية من الأغراض خالية لوجه الحق تولد وتكبر على الإيمان والحب فى الله الواحد الديان ؛ لأن أثر الصديق فى صديقه عميق وهو يعينه على الخير ويبعده عن السوء والشر ويحرص على مودته ، ويقوده إلى النجاح فى الدنيا والفلاح فى الآخرة ، قال تعالى: ﴿ الأَخِلاَّءُ

---

(١) الحجرات الآية : ١٠ .
(٢) الأنفال الآية : ٦٣
(٣) الحجرات الآية : ١٣ .
(٤) رواه أبو داود .

يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [١] .

وتقديرا لهذا الأثر من أصدقاء الخير مثله الرسول ﷺ بحامل المسك ، فقال صلوات ربى وسلامه عليه : «**مثل الجليس الصالح كمثل صاحب المسك إن لم يصبك منه شيء أصابك من ريحه ، ومثل الجليس السوء كمثل صاحب الكير إن لم يصبك من سواده أصابك من دخانه**» [٢] .

وفى رواية : «**إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة**» [٣] .

وقال ﷺ : «**لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقى**» [٤] . ويقول أمير المؤمنين سيدنا ومولانا الإمام على رضى الله عنه وكرم الله وجهه : أخاك الحق من كان معك : ومن يضر نفسه لينفعك ، ومن إذا ريب الزمان صدعك وشتت منك شمله ليجمعك والصداقة تبقى مادامت تحت كنف الله وطاعته ، فما كان لله دام واتصل وما كان لغير الله انقطع وانفصل .

ولهذا كان أصحاب الرسول ﷺ يجعلون التواصى بالحق والتعاون على الخير سياجاً يحمى مودتهم ، قال تعالى : ﴿ **وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ** ﴾ .

وعن سيدنا أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال : كان سيدنا عبد الله بن رواحة إذا لقى الرجل من أصحاب رسول الله ﷺ قال : "تعالى نؤمن بربنا ساعة" أى نذكره فقال ذات يوم لرجل فغضب الرجل ، فجاء إلى الحبيب المصطفى ﷺ فقال يا رسول الله ألا ترى إلى ابن رواحة يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة ، فقال الحبيب المصطفى ﷺ : «**يرحم الله ابن**

---

(١) الزخرف الآية : ٦٧

(٢) رواه أبو داود .

(٣) رواه البخارى ومسلم .

(٤) رواه ابن حبان .

رواحة إنه يحب المجالس التى تتباهى بها الملائكة» [١] .

ويمكن الحب بين الأصدقاء بعد التعارف والتجانس وتوثيق الأواصر فقد قال الرسول الأعظم صلوات ربى وسلامه عليه: «**الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف**» [٢] .

وقوله صلوات ربى وسلامه عليه: «**إذا أحب أحدكم أخاه فليخبره أنه يحبه**» [٣] .

وقد قيل: "رُب أخ لك لم تلده أمك" عباد الله ، ومن المعلوم أن صلة الأصدقاء تبيح الطعام والشراب ؛ لأن هذه الصلة مبنية على عقد كبير القيمة جليل الأثر وبهذا جاءت الآية الكريمة فى إباحة الطعام ذلكم الله إذ يقول: ﴿ **أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ** ﴾ [٤] .

ولما كان لهذه الصداقة العظيمة من حقوق وارتباط: قال مولانا رسول الله ﷺ: «**لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقى**» [٥] .

فتخير أخا الإسلام الصديق الحق واحذر صديق السوء فهو شؤم ونهايته ندامة وحسرة قال تعالى ﴿ **وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً** ﴾ [٦] .

وهناك نرى التباعد والشقاق بين هؤلاء الأصدقاء لذا قال جل شأنه: ﴿ **يَا لَيْتَ**

---

(١) رواه أحمد والطبرانى .
(٢) رواه البخارى ومسلم وأبو داود .
(٣) رواه أحمد .
(٤) سورة النور الآية: ٦١ .
(٥) رواه أبو داود وابن حبان .
(٦) سورة الفرقان الآيات رقم ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ .

بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴾ [١] .

فيا أخى المؤمن ، يبنى الإسلام الصداقة على الإخلاص لوجهه . ولذا دعا إلى التزاور بين الأصدقاء ، فعن سيدنا أبى هريرة عن النبى ﷺ : **«أن رجلاً زار أخا له فى قرية فأرصد الله تعالى ، على مدرجته ملكاً فلما أتى عليه قال أين تريد؟ قال : أريد أخاً لى فى هذه القرية ، قال : هل لك عليه من نعمة تردُّها؟ قال لا غير أنى أحببته فى الله تعالى قال فإنى رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه»** [٢] .

يا أتباع سيدنا ومولانا محمد عليه الصلاة والسلام من هنا نعلم أننا فى أمس الحاجة إلى الصداقة والمحبة فى الله لأن هذه الصداقة التى نراها فى عصرنا هذا مبنية على المصالح الدنيوية .

صداقة وصحبة فاكهتها فى مجلسهم الغيبة والنميمة وهتك أعراض الخلق .

لذا فنحن فى أمس الحاجة إلى التعرف على صداقة سلفنا الصالح وما بينهم من محبة صافية لا تعرف غشاً ولا هوى ولا دنيا فانية ، وكيف كانت مجالسهم لعلنا نهتدى إلى منهجهم القويم؟ فهذا سيدنا أبو هريرة يحدثنا عن صورة طيبة رآها فيقول رضوان الله تعالى عليه :

قدم أبو بكر الصديق وعلى بن أبى طالب إلى حجرة رسول ﷺ فقال أبو بكر لعلى تقدم فكن أول قارع يقرع الباب . فقال على ماكنت أتقدم على رجل سمعت رسول الله ﷺ يقول فى حقه : **«ما طلعت الشمس ولا غربت على رجل أفضل من أبى بكر»** .

فقال أبو بكر ما كنت بالذى يتقدم على رجل سمعت رسول الله ﷺ يقول فيه : **«أعطيت خير النساء فاطمة الزهراء لخير الرجال على بن أبى طالب»** .

فقال على أنا لا أتقدم على رجل يقول فيه رسول الله ﷺ : «إذا اجتمع الناس يوم القيامة يوم الحسرة والندامة ينادى منادٍ من قِبل الحق عز وجل : **«يا أبا بكر ادخل**

(١) سورة الزخرف الآية : ٣٨ .
(٢) رواه البخارى .

الجنة أنت ومحبوبك» .

فقال أبو بكر أنا لا أتقدم على رجل قال فيه رسول الله ﷺ : «**يجيء على بن أبى طالب يوم القيامة على مركب من مراكب الجنة فينادى منادٍ يا محمد كان لك فى الدنيا والد حسن وأخ حسن فأما الأخ الحسن فعلى بن أبى طالب وأما الوالد الحسن فإبراهيم عليه السلام**» .

فقال على أن لا أتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله ﷺ : «**لو وزن إيمان الأمة فى كفة وإيمان أبى بكر فى كفة لرجح إيمان أبى بكر**» .

فقال أبو بكر أنا لا أتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله ﷺ : «**إن علياً يجيء يوم القيامة هو وزوجته وأولاده على مركب من نور فيقول أهل القيامة أى نبى هذا؟ فينادى منادٍ هذا حبيب الله على بن أبى طالب**» .

فقال على أنا لا أتقدم على رجل قال الله فى حقه: ﴿ وَالَّذِي جَاء بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [1] .

فنزل جبريل عليه السلام على الصادق الأمين صلوات الله وسلامه عليه وقال يا محمد ، العلى الأعلى يقرئك السلام ويقول لك: «**إن الملائكة ينظرون هذه الساعة إلى أبى بكر وعلى يسمعون ما جرى بينهما فقم إليهما وكن ثالثهما فإن الله قد خصهما بالرحمة والرضوان وخصهما بحسن الأدب والإسلام والإيمان**» .

فخرج النبى ﷺ فوجدهما كما أخبره جبريل فقبل وجه كلاً منهما وقال: «**والذى نفس محمد بيده لو أن البحار كانت مداداً والأشجار أقلاماً وأهل السماوات والأرض كتابا لعجزوا عن فضلكما وعن وصف أجركما**» [2] .

فلو أخذنا يا عباد الله نتأمل فى هذا الموقف المنير العظيم المبارك وقارناه بأحوالنا وبصفة الصحبة والصداقة ، لوجدنا أن البون شاسع فشتان بين الثرى والثريا .

---

(١) سورة الزمر الآية: ٣٣ .

(٢) انظر الروض الفائق للشيخ شعيب بن أسعد بن عبد الكافى ص ٤١٤ ، ص ٤١٥ ط دار الإيمان ، المنصورة .

هل هناك أخى المسلم وجه مقارنة بين موقف الصاحبين الجليلين وبين البعض منا الآن فإن البعض يكون فى مجلس وتأتى سيرة صديقه أو صاحبه فيسب فيه ويلعن وعلى جناح السرعة يأتى هذا الصاحب المذموم ويجلس معه فإذا بالقبلات يكون لها رنين والمعانقة الشديدة والكلمات الحلوة المعسولة تسمع نبراتها وكأنها موسيقى يا للهول ويا للنفاق الموحش إننا لو أخذنا الله بأقوالنا وأعمالنا فقل يا رب سلم .

اللهم اكفنا شر غضبك ومقتك ، ولو سجل القرآن الكريم أحوال تلك الفئة الضالة والصحبة والصداقة المزيفة ، فقال وهو أصدق القائلين: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ** ﴾[1] .

اللهم اكفنا شر هؤلاء وارزقنا المحبة فيك ومن أجلك يا رب العالمين .

أيها الأحباب: ولمزيد من مجالس المصطفى وصحبة الأخيار لنتعلم كيف تكون المجالس نلتقى بحضراتكم بعد جلسه الاستراحة ، نفعنى الله وإياكم بالكتاب العزيز وبسنة البشير النذير وبمجالس سلفنا الصالح البررة الأخيار ، يغفر الله لى ولكم أجمعين توبوا إلى الله واسألوه من فضله .

الخطبة الثانية :

الحمد لله ، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحـده لا شريـك لـه ، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله صلاة وبركة عليه وعلى آله وأصحابه ومن سلك نهجهم إلى يوم الدين .

أما بعد ،

فيا أيها الأحباب ، لما كانت مجالس بعض الأصدقاء والصحاب منصبَّة على الغيبة والنميمة كما أسلفنا وكذا الحديث عن أعراض الأبرياء من الناس وغير الأبرياء ، ولما كان الناس لا يتركون الملك للمالك فى مجالسهم أردت أن أسوق إليهم مجلسا من مجالس الحبيب المصطفى وصحبه الأخيار ، فى يوم جلس الحبيب المصطفى مع بعض أصحابه

(١) سورة البقرة الآية: ٢٠٤ .

جلسة نورانية وبدأ الحبيب المصطفى ﷺ أن يفتح معهم باب الحديث عن الدنيا أجارنا الله منها ومن أهلها فوالله إنها لجلسة ذات أنوار وجمال ومهابة وجلال ؛ لذا أرجو أن نصغى إليها لعل الله أن يوفقنا إلى العمل بها والانتفاع بها .

أيها الأحباب :

نظر مولانا رسول الله ﷺ إلى صحبه الأخيار ثم بدأ معهم الحديث بقوله لأبى بكر : **«ماذا تحب من الدنيا يا أبا بكر؟»** فقال الصديق رضى الله عنه يا حبيبى يا رسول الله أحب منها لأجلك ثلاثة : نظرى إليك ، وجلوسى بين يديك ، وإنفاق مالى عليك ، ولنا مع تلك الثلاثية وغيرها وقفات من فوق هذا المنبر وذلك فى جمع مقبلة بإذن الله تعالى إن كان فى العمر بقية .

أيها الأحباب : ثم ينظر مولانا الحبيب ﷺ إلى عمر بن الخطاب قائلا له : وأنت يا عمر : **«ماذا تحب من الدنيا؟»** فيجيب الفاروق قائلاً : أحب منها لأجلك ثلاثاً يارسول الله : الأمر بالمعروف ولو كان سرا ، والنهى عن المنكر ولو كان جهراً وقول الحق ولو كان مُرا .

ويعــرض نفـس السؤال على عثمــان فيقــول : "إفشـــاء السلام وإطعام الطعام وركعات بالليل والناس نيام" .

أما على فقال أحب منها لأجلك ثلاثاً يا رسول الله :

إكرام الضيف والصيام فى الصيف وضرب أعناق المشركين بالسيف . وهكذا اطمأن المصطفى على مصير أصحابه وخلو قلوبهم من الدنيا وذلك من خلال ما أجابوا به .

هنا قال لهم ﷺ : **«وأنا أحب من دنياكم ثلاث : الطيب والنساء وجعلت قرة عينى فى الصلاة»** [1] .

---

(١) رواه النسائى والطبرانى فى معجمية الأوسط والصغير والحاكم فى المستدرك ، وقال صحيح على شرط البخارى ومسلم .

أيها الأحباب :

وإذا كنا قد عشنا فى رحاب خمسة عشر خصلة فما أحوجنا أن نعيش فى رحابها وذلك فى وقت سريع حتى يجمعنا البارى فنقف عندها شارحين .

أيها الأحباب :

إن المتأمل فى الثلاثية المحمدية المباركة يجد ما يلى : أن المصطفى ﷺ يحب الطيب علما أن الحبيب المصطفى ﷺ كانت رائحته أطيب من رائحة المسك وإن شئت قلت : إن عرق النبى ﷺ كان مسكا .

ما أطيبك يا سيدى يا رسول الله رائحة وخلقا وخُلقا .

ويحب أيضاً النساء ، فكان صلوات ربى وسلامه عليه ذو معاملة حسنة وطيبة مع زوجاته . وليس كما يدعى أعداء الإسلام أن النبى ﷺ كان شهوانياً ، إنما كان المصطفى يحب نسائه أى رحيماً فى التعامل بينهن إذ لو كان النبى كما قيل لتزوج الجميع أبكاراً إنما كان تعدد الزوجات له ﷺ إنما لحكمة سامية ، ولو كان ما ادعاه الجهلاء حقيقة لما زوجه الحق تعالى السيدة زينب بنت جحش ابنة عمته ، اللهم اكفنا شر أمة الجهل بمنك وكرمك يا رب العالمين .

عباد الله : وجعلت قرة عينه ﷺ فى الصلاة : وما ذلك إلا لأنها راحة القلوب والأبدان فأين ذلك من انصراف الكثيرين عنها وتفضيلهم الكرة والمسلسلات والمسرحيات؟ وما فى الدنيا من مفاتن ومغريات؟ كل ذلك فُضل على الصلاة مع أن الصلاة لقاء بحضرة الغفور الغفار ، فهل كرهنا لقاء الله؟ اللهم احفظنا من دنيانا وأكرمنا بأخرانا .

وأما المتأمل فى الثلاثية البكرية إنما يجد الخير العظيم .

أولاها : النظر إلى حضرة النبى وهذا يتأتى اليوم بالنظر فى سنته المطهرة القولية والفعلية والتخلق بأخلاقه العلية ، ثم التأمل فى الجلوس بين يديه ، وهذا يتأتى بالجلوس بين يدىَ العلماء فى المساجد وغيرها ، ولو عن طريق إذاعة مرئية أو مسموعة

لنستمع بتوجيهات المصطفى ﷺ أما وقد أهنّا علماءنا وسخرنا بهم كل السخرية إلا من رحم ربى .

وإنفاق المال على رسول الله هو فى عصرنا إنفاقه على اليتامى والفقراء والمساكين والبؤساء والمستحقين وتعمير المساجد وشتى فروع الخير .

وهذا أفضل بكثير من إنفاقه على الراقصين والراقصات والفنانين والفنانات وشرب البيرة والحشيش والخمور ولعب القمار والميسر .

وفى الثلاثية العمرية نجد ضرورة التمسك بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر اللذان من أجلهما كنا خير أمة أخرجت للناس ، فأين ذلك والكل يقول نفسى نفسى؟ ولقد أعطيناهما ظهورنا ويأتى قول الحق والذى اندثر فى عصرنا وأتى قول الباطل وشهادة الزور ، وكأنى بأحد الصالحين وهو يقول: ذهب المعروف يبكى وجاء المنكر يضحك ، ثم أنشد يقول:

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم ::: والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت فى خلف يزكى بعضهم بعضا ::: ليدفع معور عن معور

وعلى كل حال سلوا المحاكم والقضاة عن شهادة الزور تجيبكم بإفاضة وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وتأتى الثلاثية العثمانية وهى تحمل فى طياتها الخير الكثير: إطعام الطعام وما أحوجنا إلى تلك الخصلة لاسيما بعدما فشا البخل علماً أن المال مال الله ، والكريم حبيب الله والبخيل عدوه وقد تفننا فيه بمهارة ونعوذ بالله من البخل والبخلاء .

وإفشاء السلام هو الآخر قد ولى إلا عند الأتقياء ؛ لأن الدنيا جعلت البعض من الناس ذئاباً بشرية لا يحترمون السلام ولا من جاء بالسلام .

يا قوم إن السلام هو تحية أهل الجنة ويحشر المرء مع من أحب .

ثم تأتى صلاة التهجد ألا وهو قيام الليل ، أين ذلك وقد تركنا الصلاة المفروضة؟ أيها المؤمن ، إن الصلاة بالليل والناس نيام هى أنسنا فى قبورنا فـ

تتجاهلوها وناجوا ربكم ليلا والخلق نيام .

أما الثلاثية العلوية ، فهى الأخرى تحمل الخير الكثير وقد بدئت بإكرام الضيف ، وقد قال أحد الصالحين : من أكرم ضيفا يعرفه فكأنما أكرم المصطفى ، ومن أكرم ضيفا لا يعرفه فكأنما أكرم الحى الذى لا يموت .

أما الصيام فى الصيف مزيته لما فيه من المشقة وتحمل عناء العطش فى النهار الطويل الشديد الحر ، وحسبهم أن رائحة أفواههم حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسك .

وختام الثلاثية تأتى بقوله : وضرب أعناق المشركين بالسيف .

ولاشك أننا نعلم جميعا من هو الإمام على فقد ترجم قوله هذا إلى عمل وما موقفه فى هجرة المصطفى منا ببعيد ، فيا أيها الأحباب . أنعم بها من صحبة لا تعرف النفاق ولا تعرف ضياع الوقت ، ولا تعرف حديثا عن أعراض الخلق ، فاللهم احشرنا فى زمرتهم يا رب العالمين ، اللهم أحسن عاقبتنا فى الأمور كلها وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة ، اللهم اجعل لنا من كل هم فرجا ، ومن كل ضيق مخرجا ، وتوفنا مسلمين ، اللهم ارزقنا صحبة الأخيار وحسن الختام وصالح الجزاء ورؤية النبى المختار يا رب العالمين .

عباد الله أكثروا من الصلاة والتسليم على النبى المصطفى الكريم .

تفلحوا وأقم الصلاة . غفر الله لى ولكم أجمعين .

* * * * * * * * * * *

الأسماء الحسنة من حقوق الأبناء والبنات

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، هو الحق ووعده الحق وقرآنه حق ورسوله حق والجنة حق والنار حق والبعث حق والصراط حق .

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدا عبده ورسوله وصفوته من خلقه وحبيبه ، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ،

فيا أتباع سيدنا ومولانا محمد ﷺ .

نعيش تلك الجمعة حول أمر من أمور المسلمين قد وقع فيه البعض منهم .

هذا الأمر : هو حب الأسماء المنقولة إلينا من الخارج ؛ لأن البعض منا يحب التقليد الأعمى وينساق وراء الناس بالباطل خصوصا الذين لا علاقة لهم بالمساجد ومجالس العلم .

نرى البعض الآن إذا ولد له مولود تحرك إلى مكتب الصحة حتى يسجل اسمه هناك كى تستخرج له شهادة الميلاد لهذا المولود ، وإذا به يسميه اسما خبيثا يأباه الشرع الحنيف وبكل أسف نجد من هذه الأسماء ما يتعسر على اللسان نطقه .

وأنا واحد من الناس هناك بعض الأسماء للبنين والبنات يتعسر على النطق بها .

نعم يا عباد الله : إن من سافر إلى أمريكا أو إلى لندن أو إلى النمسا أو إلى غيرها من البلاد الأجنبية ، وجدناه قد أتى من هناك وهو يحمل فى فؤاده وعقله أسماء أعجبته وحببت إلى قلبه ، وقد يذهب واحد من الناس لزيارة صاحبه الذى رجع من سفره فيرجع من عنده ناويا أن يسمى أولاده بمثل أسماء أولاد صاحبه الذى حببت إليه تلك الأسماء ، فسمى أولاده بها ، وبالتالى قد قلده بعض أصحابه الذين فتنوا مثله بتلك الأسماء الخبيثة الذميمة ، وسأضرب لكم أمثلة من الواقع المرير ، فهناك من يسمى

ابنته: رفتنة ، ورشا ، ونانسى ، وسوسو ، ونونو ، وسها ، ونيرمين وغيرها من الأسماء البعيدة كل البعد عن منهج الإسلام مثل: إنجى .

كذلك من أسماء البنين ، توتو ، وسوسو إلى غير ذلك من الأسماء الغريبة الأجنبية وقد نسى هؤلاء أو تناسوا أن من أحب قوما حشر معهم ، ونسوا أيضا أو تناسوا أن اختيار اسم البنت أو الولد حق من الحقوق التى كفلها الإسلام لهم ، والولد أو البنت اللذين تسموا بأسماء خبيثة ، وتجعل الأصحاب يسخرون منهم بسبب أسمائهم فإنهم يحاكمون الوالدين ويشكونهما إلى الله عز وجل ، وذلك يوم القيامة يوم الحسرة والندامة . وصدق الجليل إذ يقول: ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴾ (١) .

نعم فالقتل على قسمين قتل حسى وقتل معنوى ونحن بهذه الأسماء الذميمة قتلنا أولادنا قتلا معنويا .

عباد الله: إن الأسماء قوالب للمعانى تدل عليها . فلابد أن يكون بينهما ارتباط وتناسب ، بل للأسماء تأثير غالباً فى المسميات ، وللمسميات تأثر بأسمائها فى الحسن والقبح والخفة والثقل واللطافة والكثافة . فكان صلوات ربى وسلامه عليه يستحب الأسماء الحسنة التى تبعث على الفأل ، ويكره الاسم الخبيث الذى قد يسبب لأحد من الناس تشاؤماً أو طيرة أو يكون منها إثم ، كل ذلك رحمة بأمته ﷺ وشفقة عليهم ، فمن رحمته بهم منع عنهم الأسماء التى توجب لهم سماع المكروه أو تكون سبباً فى وقوع مكروه .

فإذا سمع اسماً قبيحاً غيره إلى حسن ، فمن ذلك ما روي عن ابن عمر أن بنتاً يقال لها: "عاصية" سمها رسول الله ﷺ "جميلة" (٢) .

وعن بشير بن ميمون عن عمه أسامة بن أخدرى أن رجلاً يقال له: أصرم ، كان فى النفر الذين أتوا رسول الله ﷺ . فقال له رسول الله ﷺ: **«ما اسمك؟»** قال:

---

(١) سورة التكوير الآية: ٨ ، ٩ .

(٢) رواه مسلم وأبو داود .

"أصرم" ، قال: «**بل أنت زرعة**»[١] .

وعن عبد الحميد بن جبير بن شعبة قال: جلست إلى سعيد بن المسيب فحدثنى أن جده "حَزْنًا" قدم على النبى ﷺ فقال: «**ما اسمك؟**» قال: اسمى "حزن" ، قال: «**بل أنت سهل**» . قال: ما أنا بمغير اسماً سمانيه أبى . قال ابن المسيب فمازالت فينا الحزونة بعد[٢] .

وكان إذا سمع اسماً أو كنية لا تصلح للمسمى ، إما لكونها تسامى اسماً من أسماء الله أو صفاته غَيَّرَهُ بما يليق بالمسمى .

فعن شريح بن هانئ عن أبيه . أنه لما وفد إلى رسول الله ﷺ مع قومه سمعهم يكنونه بأبى الحكم ، فدعاه رسول الله ﷺ فقال: «**إن الله هو الحكم وإليه الحكم فلم تكنى أبا الحكم؟**» قال: إن قومى اختلفوا فى شىء أتونى فحكمت بينهم فرضى كلا الفريقين بحكمى ، فقال رسول الله ﷺ : «**ما أحسن هذا فمالك من الولد؟**» قال: شريح ، ومسلم ، وعبد الله ، قال: «**من أكبرهم؟**» قال: قلت: شريح ، قال: «**فأنت أبو شريح**»[٣] .

وكما غير ﷺ كنية أبى الحكم بن هشام فكناه بأبى جهل ؛ لأنها هى التى تليق به لفرط جهله ومعاداته لسيدنا ومولانا رسول الله رسول الهدى ونبى الرحمة ، ووقوفه ضد دعوة الإسلام ، وكنى الله تبارك وتعالى "عبد العزى" ، بأبى لهب ، لأنه سيصلى ناراً ذات لهب فهذه الكنية أليق به .

ولما كان الاسم مقتضياً لمسماه وموثراً فيه كان أحب الأسماء إلى الله تعالى ما اقتضى أحب الأوصاف إليه كعبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم وعبد الفتاح وعبد السلام وعبد الواسع .

وقد نصت السنة النبوية المطهرة وأشارت إلى بعض تلك الأسماء المحببة إلى الله

---

(١) رواه أبو داود .
(٢) رواه البخارى .
(٣) رواه أبو داود والنسائى .

ورسوله ، فعن سيدنا عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ : **«إن أحب أسمائكم إلى الله عبد الله وعبد الرحمن»** (١) .

وكذلك أسماء النبى ﷺ محمود وأحمد ، وطه ، ومصطفى ، ويس ، وغير ذلك من الأسماء التى تسمى بها مولانا رسول الله ﷺ .

ومن أفضل الأسماء أسماء الأنبياء ؛ لأن الاسم يذكر بمسماه ويقتضى التعلق بمعناه وفيه حفظ أسماء عباد الله الصالحين وحفظ أوصافهم وأحوالهم . وإذا نظرنا إلى استعمال الأسماء وجدناها تدور على أحكام أربعة فمنها ما هو مستحب ، ومنها ما هو مُحرم ، ومنها ما هو مكروه ، ومنها ما هو مباح .

فأمّا المستحب فأفضله عبد وحمد مثل عبد الله ، وعبد الرحمن ، وعبد الحميد ومحمد وأحمد وأسماء الأنبياء ، ثم مادل على معنى حسن ، وأما المحرم فهو ما يوازى أسماء الله وصفاته مثل ، ملك الملوك ، وشاه شاه ، ومحيى ، وخالق .

ونسبة العبودية لغير الله مثل عبد الرسول وعبد النبى فهما خلاف الأولى ، أى: أقل من المكروه ، والأفضل أن يقال عبد رب الرسول وعبد رب النبى ، وليس بحرام كما ادعى الجهلاء .

أما عبد العزى وعبد قيس وعبد الكعبة وعبد الحارث وعبد على وعبد الحسن وعبد الحسين وما أشبه ذلك فهى محرمة شرعاً .

ومن المحرم أيضاً ، الصفات الخاصة بنبينا سيدنا ومولانا محمد ﷺ مثل سيد ولد آدم وسيد الناس وكذلك نبى ورسول فلا يجوز أن يسمى بها أحد إلا رسل الله وأنبياؤه ؛ لأن الاسم يدل على معناه فى صاحبه .

وأما المكروه: فما دل على التعظيم المطلق ، واستغراق المعنى الحسن الذى يدل عليه الاسم ، كما يكره كل اسم قبيح مثل - حرب وحزن وصرم وعصره والعاصى - ويثرب ؛ لأن النبى ﷺ سماها طيبة فهى طيبة أبداً .

---

(١) رواه مسلم .

كما تكره التسمية بأسماء الجبابرة ، وأعداء الله وأعداء رسله سواء من الأولين مثل فرعون ، وهامان وقارون .

أو من الآخرين مثل أعلام اليهود والنصارى والمجوس ، لكن إن كان اختيار الاسم منهم ناتجاً عن محبتهم وموالاتهم ، ورغبة فى إحياء ذكر من أخذ مسماه فهو محرم .

وكذلك يكره اسم أبو الأعلى لأن الأعلى هو الله ، قال جل شأنه : ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ وقد يسمى بهذا الاسم قوم حرموا علينا التسمية بعبد الرسول وعبد النبى فيالله عندما يفعل التعصب والجهل بأهله نسأل الله العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة .

عباد الله : ويستحب شرعاً تغيير الأسماء المكروهة ، وما عدا ما ذكر من الأسماء فهو مباح وخيرها مادل على معنى جميل مالم يقترن بها وصف أو سبب يجعلها محرمة أو مكروهة .

عباد الله : إن فى أسماء الإسلام ما يغنى عن استيراد الأسماء من أعداء ديننا ، وإن الناظر إلى سيد الأولين والآخرين يجد أنه ﷺ قد أكرمه الله بأربعة من البنات وهن : سيدتنا زينب ، وسيدتنا رقية ، وسيدتنا أم كلثوم ، وسيدتنا فاطمة ، كما أكرمه الله بثلاثة من البنين وهم سيدنا عبد الله ، وسيدنا القاسم ، وسيدنا إبراهيم .

كما أن أمه ﷺ كانت تُسمى بأفضل الأسماء السيدة آمنة .

وهكذا رأينا رسولنا الأعظم ﷺ يسمى أولاده البنين والبنات بأسماء طيبة فليتنا نسير على هذا المنهج المنير .

فنسمى أولادنا وبناتنا بتلك الأسماء المحمودة أو بأسماء زوجاته أو صحابته ، فعندنا مثلاً سيدتنا خديجة وسيدتنا صفية وغيرهما من الأسماء المباركة ، ونظيرها للأبناء سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر وسيدنا عثمان وسيدنا على وهكذا تكون الأسماء .

لكننا بكل أسف لم نكتف بوضع تلك الأسماء وراء ظهورنا ، بل أخذنا نتأسى

ونقتدى بأعداء الإسلام . فسمينا الحذاء الذى نرتديه فى أرجلنا بكلمة زنوبة وخدوجة سخرية من اسم مولاتنا السيدة خديجة ، ومن اسم مولاتنا السيدة زينب ألا نستحيى من الله ألا فلنتق الله .

عباد الله : إن الاسم الحسن حق لابننا ولبنتنا ، والدليل على ذلك ما حدثنا به التاريخ الإسلامى :

أن رجلاً قد اشتكى لأمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب من ولد عنده قد ضربه فسأل أمير المؤمنين هذا الابن ، فأجاب بأنه قد ضربه فقال أمير المؤمنين كيف ذلك؟ وقد أمرك الله بطاعة والديك ، وقد أمرك بأداء حقوقه لهما عندك ، فأجاب الابن بقوله يا أمير المؤمنين إذا كان المولى قد جعل للوالدين حقوقًا نحو أبنائهم ألم يجعل للأبناء حقوقًا؟ قال بلى ، ولا سيما الأب فإن لك عنده من الحقوق ثلاثة : وهى اختيار أمك واسمك وأن يعلمك القرآن الكريم ، فقال الولد : إن أبى لم يفعل شيئاً مما ذكرت ، فقال سيدنا عمر للأب : لقد عققت ولدك قبل أن يعقك .

فاتقوا الله عباد الله ، واختاروا الأسماء الحسنة لأبنائكم وبناتكم أسوة بسنة رسولكم الأعظم ونبيكم الأكرم سيدنا ومولانا محمد ، وللحديث بقية بعد جلسة الاستراحة إن شاء الله تعالى .

جعلنى الله وإياكم من أولئك الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، ونفعنى وإياكم بالكتاب العزيز وسنة البشير النذير يغفر الله لى ولكم أجمعين .

واسألوا الله العظيم من فضله ،

الخطبة الثانية :

الحمد لله ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً رسول الله اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وكل تابع مستنير .

أما بعد ،

فيا عباد الله ، نترك اتباع أعداء الدين لنسير وراء الصادق الأمين لنحظى بالفوز العظيم .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١) .

ويقول سبحانه أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا * ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴾ (٢) .

أيها الأحباب إن أسماء أبنائنا وبناتنا أمانة فى أعناقنا .

فلا نكن معشر الرجال تابعين لأوامر نسائنا فننزل على رغبتهم ونرغب عن هدى الحبيب المصطفى الأمين .

عباد الله :

وهناك قضية تتعلق بهذا الأمر العظيم والذى نحن بصدد الحديث عنه ألا وهى مخافة ممات الأولاد وبالتالى سميناهم بأسماء لا تليق بهم .

أيها المؤمنون ، اعلموا حفظنى الله وإياكم من جميع الشرور والآثام أن الأعمار والآجال بيد الله عز وجل ، لا يمنعها مانع ولا يشفع فيها شافع ولا تنفع فيها الحيل والاعتقادات الباطلة .

أقول هذا لأن بعض الناس فى بعض البلاد كانوا كلما رزقوا بولد امتحنهم الله وابتلاهم بموته وإذا بهم يقولون : إن أكرمنا الله بولد فسوف نسميه باسم أنثى حتى لا يموت ، وبالفعل سموا أولادهم الذكور بأسماء البنات حتى كبر الله وبلغ مبلغ الرجال وظل الاسم رفيقه لا يفارقه ، بل إنه لازمه ملازمة الروح للجسد ، ومن ثم فإنه يجد نفسه ينادى من قبل من يعرفونه بهذه الأسماء يا عطية هذا الاسم فى بعض تسمى به البنات والبنين ، والحق أنه من أسماء الرجال فمن هؤلاء سيدى عطية الأجهورى

(١) سورة آل عمران ٣١ .

(٢) سورة النساء ٦٩ ، ٧٠ .

الشافعي فلا يليق بنا أن نسمى به بناتنا .

هناك من الرجال من يسمى أو يدعى بنعمة أو نجية أو حمدية حتى يتوهم من لا يعرفه أنه أنثى ، وإذا به يفاجئ بأنه رجل وبذلك نكون قد قتلنا أولادنا قتلا معنويا .

ومن الأسماء أيضا التى جمعت بين الذكور والإناث حتى اختلط الأمر اسم رضا فيظن السامع لهذا الاسم أنه رجل وإذا به أنثى وتراهم ينادون فيقولون يا كريمة أو ياعائشة وهما من أسماء البنات لا البنين .

وهذا مما يجعل المسمى بهذه الأسماء فى حرج بين .

وإن نظرت إلى السبب لوجدت السبب شيئا لا يذكر ولا يعقل . نعم ، فإن الأعمار والآجال بيد الله لا دخل فيها لتغيير الأسماء ، وكما قلنا بأن الابن أمانة وكذلك البنت واسمهما أمانة ، ولسوف يتعلق الولد والبنت فى أعناقنا وذلك يوم القيامة بين يدى الله عز وجل .

فاتقوا الله وأحسنوا الأسماء للبنين والبنات ، وإلا سوف نجد المصير المرُ فى وقت لا ينفع فيه الندم ، وذلك يوم الحسرة والندامة عفا الله عنى وعنكم .

اللهم فقهنا فى ديننا وبصرنا بعيوبنا .

اللهم أرنا الحق حقا فنتبعه وأرنا الباطل باطلا فنتجنبه ، اللهم اشف مرضانا وارحم موتانا واقض ديوننا وفرج كروبنا واصرف عنا بفضلك ما نحن فيه ، ووفق ولاة أمورنا إلى كل ما تحب وترضى ، وانصر الإسلام وأعز المسلمين إنك يا مولانا سميع قريب مجيب الدعوات .

عباد الله ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .

اذكروا الله يذكركم ، وصلوا على الحبيب المصطفى تفلحوا وقوموا إلى الصلاة مغفورا لكم إن شاء الله .

* * * * * * * * * * *

من حقوق الأبناء على الآباء

الحمد لله الذى خلق فسوى ، وقدر فهدى وهو الخلاق العليم القادر العظيم ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المدبر الحكيم الحنان المنان الرحمن الرحيم ، وأشهد أن سيدنا ومولانا وحبيبنا محمدا عبده ورسوله البشير النذير ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين .

أما بعد ،

فيا أحباب الله ورسوله :

لقد عشنا مع حضراتكم فى الجمعة الماضية حول حق من حقوق الأبناء والبنات ألا وهو اختيار الاسم الحسن لهم ، وفى هذه الجمعة يدور حديثنا عن حقوق الأبناء والبنات العامة راجين من الله عز وجل أن ينفع أولادنا بتلك الحقوق ، وأن يعين الآباء والأمهات على أداء تلك الحقوق والالتزام بها حتى يحظى الوالدين ببر أولادهم لهم ، فليتهما يعينان الأولاد على برهما وبالتالى يحظ الجميع برضى الحى القيوم جل جلاله .

عباد الله : يقول الله عز وجل فى كتابه الكريم وهو أصدق القائلين : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [1] .

يا أتباع سيدنا ومولانا محمد ﷺ وقد أراد حبر الأمة وفقيهها وأعلمها بتأويل الكتاب العزيز وتفسيره سيدنا ومولانا الإمام عبد الله بن عباس حيث قال : "اعملوا بطاعة الله واتقوا معاصى الله ومروا أولادكم بامتثال الأوامر واجتناب النواهى . فذلك وقاية لكم ولهم من النار" .

وقال سيدنا ومولانا الإمام على رضى الله عنه فى تفسير هذه الآية : علموا أنفسكم وأهليكم الخير وأدبوهم .

عباد الله : إن من شب على شىء شاب عليه ، ومن أدّب ولده صغيرا سرّ به كبيرا

(١) سورة التحريم الآية : ٦ .

ومن لم يتدبر العواقب كان لاشك من النادمين ، ينشأ الإنسان فى أول أمره وأيام طفولته على فطرة سليمة ونفس صافية تتأثر بالخير كما تتأثر بالشر ، وتنطبع فيها الأخلاق الحسنة كما تنطبع فيها الأخلاق السيئة ، فإذا وجد فى هذا الوقت من يحكم تربيته ويحسن تأديبه ويسلك به طريق الاستقامة وطريق الأدب والكمال ، شب حسن الأخلاق طيب النفس متعلقا بأهداب الفضيلة مستمسكا بحبل الهدى والرشد فيحيا حياة طيبة ، يكون بها سعيدا فى نفسه ونافعا فى أمته ، وأما إذا ما أُهمل أمره فلم ينل حظه من التربية والتأديب ، ولم يأخذ نصيبه من الإرشاد والتهذيب ، نشأ سيئ الأخلاق خبيث النفس ، فاقد الهمة ساقط المروءة ، محبا للشر كارها للخير كلا على أهله وعشيرته ، وكان شقاء على نفسه وبلاء على الناس أجمعين - وكان على ولى أمره إثم عظيم من تبعات شروره وجرائمه لإهماله فى تربيته وتأديبه ، وتهاونه فى إرشاده فهو مسئول عن ذلك أمام الله تعالى :

وصدق القائل إذ يقول :

وينشـــأ ناشـــئ الفتيـــان فينـــا ::: على ما كـــان عـــوده أبـــوه

عباد الله :

إن الشباب عدة الوطن فهم أبناء اليوم ورجال الغد وأمل المستقبل ، لهم نسعى ومن أجلهم نكدح والولد سر أبيه ، وهو امتداد له واستمرار لوجوده ، ومن هنا كان حبه له وإيثاره إياه على نفسه ورغبته فى أن يكون أفضل منه ، وأن يتاح له من الفرص ما لم يتح لوالده من قبل .

والوالد لا يمكن أن يقصر فى حق ولده عن عمد ، ولكنه قد ينسى أو يهمل وقد ينحرف عن جادة الطريق ، فيؤذى نفسه وولده ولذلك قال الله تعالى فى كتابه الحكيم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾[1] .

فكيف تكون هذه الوقاية التى تشمل النفس والولد؟ إنها تكون برعاية المسئولية وحسن

---

(١) سورة التحريم الآية : ٦ .

تقديرها عملاً بقول سيدنا ومولانا محمد ﷺ: **«كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»** (١) .

ويقول صلوات ربى وسلامه عليه: **«إن الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع حتى يسأل الرجل عن أهل بيته»** (٢) .

والمسئولية عباد الله تقتضى أن يفكر الرجل فى ولده وفى مستقبل هذا الولد حتى قبل أن يولد فهو يختار له والده .

أما ذات دين وهذا هو الحق الأول من حقوق الأولاد نعم ، وذلك حتى تنشئه على الصلاح والتقوى ، فيؤدى الواجب ويأخذ الحق ، ويقوم بدوره فى المجتمع خير قيام - لأن الأب قدوته والأم مدرسته .

ولذا قال أمير الشعراء أحمد شوقى:

الأم مدرســـــة إذا أعددتهـــــا ::: أعـــددت شـــعبا طيـــب الأعـــراق

الأم أستـــاذ الأساتـــذة الأولـــى ::: شغلت مآثرهـــم مـــدى الآفـــاق

عباد الله:

يحكى لنا التاريخ عن ولد سرق ذات يوم بيضة فجاء بها إلى أمه وأخبرها بأنه قد سرقها من فوق سطح الجيران ، ففرحت به أمه وقبلته وذات يوم جاءها ومعه دجاجة فاشتد فرحها به وهكذا ظلّ الولد يتمادى فى السرقة حتى سرق ذات يوم جملاً فرآه صاحب الجمل ، فأخذ الولد يدافع عن نفسه حتى استطاع أن يقتل صاحب الجمل ، فأحيل الولد إلى المحكمة ، فحكم عليه القاضى بالإعدام ، وقبيل تنفيذ الحكم: سئل هل تشتاق إلى شىء فقال: نعم إنى فى اشتياق شديد إلى أمى ، فأحضروا إليه أمه فقالت له ماذا تريد يا بنى؟ فقال لها أُريد أن أقبلك يا أماه ، فدنت من ولدها كى يقبلها فقال لها الولد: إنى أريد أقبل لسانك ، فأخرجت الأم اللسان فمسكه بأسنانه فقطعه وعلى جناح السرعة احيل إلى القاضى ، فقال له القاضى: ما الذى حملك على هذا الفعل الشنيع الردىء؟ فقال الولد:

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه أحمد وأبو داود والنسائى .

أيها القاضى: فعلت ما فعلت ؛ لأنها المتسببة فيما أنا فيه الآن ولولا توجيهها السيئ ما كنت مستحقا لهذا الحكم .

فقد سرقت بيضة ففرحت بى ، ثم سرقت دجاجة فاشتد فرحها حتى ارتقى بى الحال ، فسرقت الجمل ثم قتلت صاحبه وأنا الآن أوشك أن أوضع بين حبل المشنقة جزاء ما فعلت ، وإنى لأخشى أن تفعل بأخى الأصغر كما فعلت بى .

فهنا فرح القاضى به وأعاد النظر فى شأنه وحكم له بالبراءة ولأمه بالإعدام .

من أجل ذلك عباد الله كان من حق الولد على والده أن يختار له أما صالحة من بيت صالح يعرف الله ورسوله وإلى هذا الحق العظيم أرشد أمير الأنبياء سيدنا ومولانا محمد ﷺ فى حديثه الشريف والذى يقول فيه: «**تنكح المرأة لأربع: لحسبها ولمالها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك**» (١) .

ولاشك أن الزوجة الصالحة صاحبة الدين تحسن القيام بالواجبات الزوجية وتعرف كيف تربى أولادها على الدين والأخلاق والفضيلة تربية ترضى الله ورسوله .

فليت الأزواج يتخيرون الصالحات من النساء عملاً بقول الجليل جل جلاله: ﴿ **وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ (٢) .

إذن فليس الغنى فى الزوجة هو الغاية المرجوة إنما الغاية فى الدين والصلاح .

عباد الله: والحق الثانى من حقوق الأولاد: التسمية باسم حسن كما أسلفنا فى الجمعة الماضية وعندك من الأسماء الطيبة للبنين مثل: محمد وعبد الله وإبراهيم ومصطفى وما ماثل ذلك من أسماء الأنبياء والرسل وأبناء الأنبياء والصحابة ، ومن أسماء البنات عندك: آمنة وخديجة وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة وما ماثل ذلك .

أما الحق الثالث من حقوق الأولاد وهو مقدم على الحق الثانى فهو: أن يؤذن

---

(١) رواه البخارى ومسلم .
(٢) سورة النور الآية: ٣٢ .

الوالد فى أذنه اليمنى ويقيم الصلاة فى أذنه اليسرى وذلك عقيب ولادته كما فعل المصطفى ﷺ بحفيديه سيدنا الحسن وسيدنا الحسين .

أما الحق الرابع فهو: أن يقوم الأب بذبح شاة فى اليوم السابع من ولادته ولنا بذلك إن شاء الله لقاء بعد جلسة الاستراحة كى نبين فيه أحكام العقيقة ، والله المستعان .

أيها الأحباب: تلكم هى بعض الحقوق للأولاد والتى كفلها الإسلام لهم من أبويهم ، ولاسيما الأب فليتنا نهتم بهذه الحقوق حتى نسعد برضوان الله عز وجل .

غفر الله لى ولكم ونفعنى وإياكم بالكتاب العزيز وسنة النبى البشير .

وسلوا الله من فضله .

الخطبة الثانية :

الحمد لله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن سيدنا ومولانا رسول الله صل يا رب وسلم عليه وعلى آله وأصحابه البررة الطيبين .

أما بعد ،

فيا عباد الله: اعلموا وفقنى الله وإياكم إلى طاعته أن العقيقة هى ذبح شاة عن المولود سابع ولادته ، والأفضل عن الذكر بشاتين ، ويستحب حلق شعره والتصدق بوزنه ذهبا أو فضة ولا يلطخ بدمها كما كانت تفعله الجاهلية ، ويجوز كسر عظامها وهى كالأضحية يجوز أن تأكل منها ونتصدق ونعطى منها الأصدقاء على سبيل الهدية .

ويقول الإمام مالك: إنه يعق عن الذكور بشاة وبذلك نعلم أن الإمام مالك لا يفرق فى العقيقة بين الذكور والإناث ، بل الكل سواء وهو ذبح شاة واحدة عن الذكور والإناث .

ومن أنجب ولدين أو بنتين أو ولدا وبنتا فى بطن واحدة (توأم) فعلية أن يذبح عن كل مولود شاة فلا يجوز أن يجمعان فى شاة واحدة .

واعلموا عباد الله أن العقيقة سنة مستحبة على القادر لقوله تعالى: ﴿ لاَ يُكَلِّفُ

اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا ﴾ [١] .

ومن ثم فليس على الأب أن يرهق نفسه بشراء دجاج وما ماثله من الطيور أو أن يشترى لحماً ليعق به عن ولده .

فقد علمتم أن العقيقة لا تكون إلا بشاة ومن لم يستطع فعليه أن يتصدق فى اليوم السابع من ولادة المولود بما يفتح الله عليه من الصدقة ، وذلك للفقراء والمستحقين ، وذلك بعدما يحلق شعر رأس المولود [٢] .

عباد الله : تلكم هى الأحكام الفقهية المتعلقة بالعقيقة والآن نأتى على جناح السرعة إلى الحق الخامس من حقوق الأولاد ألا وهو حق التعليم .

فمن حق الأولاد على والدهم أن يعلمهم القرآن الكريم .

فلو أننا أخذنا نهتم بتعليم أولادنا القرآن الكريم لأكرمنا الله بالخيرية العظيمة التى وعدنا سيد الوجود سيدنا ومولانا محمد ﷺ حيث قال صلوات ربى وسلامه عليه : **«خيركم من تعلم القرآن وعلمه»** [٣] .

والواقع يا عباد الله أننا قد صرفنا الأنظار عن عنايتنا بأولادنا نحو القرآن الكريم وفى أثناء الدراسة نهتم كل الاهتمام بدروس لأولادنا فى الرياضيات والفيزياء والكيمياء واللغات .

أما التربية الدينية والقرآن الكريم وكافة العلوم الشرعية فحدث ولا حرج عن إهمالها وفينا أيضا من اهتم بالذهاب بأولاده لكى يؤسسهم فى اللغة الإنجليزية أو الفرنسية ليكون الولد قمة فى ذلك ، وهناك أيضا من يحرصون على التحاق أولادهم بالمدارس الخصوصية ذات الأجور المرتفعة وهكذا نرى فى مجتمعنا الكثير والكثير من إهمال القرآن الكريم وعلومه ، فليتنا نتجه بأبنائنا وبناتنا إلى الأزهر المعمور بعدما يحفظ الولد الكتاب العزيز أو نلحقه بالمعهد الابتدائى الأزهرى حتى يتم حفظ القرآن وينهل

---

(١) سورة الطلاق من الآية : ٧ .

(٢) انظر فتح الجواد فى شرح الإرشاد ج١ ص ١٣٩ .

(٣) رواه البخارى ومسلم وابن ماجه والترمذى والنسائى وأبو داود .

من التفسير والتجويد والحديث والفقه والسيرة والعقيدة وسائر العلوم النافعة إن شاء الله تعالى ، ومن هنا نجد ثمرة طيبة من أولادنا تنفعنا بعد الممات ، أعاننا الله على ذلك أما أن نترك أولادنا أميين بلا تعليم ، أو نعلمهم تعليما بعيدا عن القرآن فهذا مما يرثى له وسنجد عاقبته أمام الحق تبارك وتعالى ، حيث يحاكمنا الأبناء والبنات بسبب إهمال حقهم العلمي ، جنبنا الله وإياكم الوقوع فى هذه الرذيلة ، عباد الله ، ويأتى الحق السادس من حقوق الأولاد ألا وهو حق العدل وهذا يتمثل فى المساواة بين الأولاد حتى فى القبلة فإذا قبلنا ولدا أو بنتا أمام الأولاد كان علينا أن نقبل بقية الأولاد .

وسيدنا يوسف عليه السلام عندما رأى إخوته من أبيهم يعقوب أنه يعتنى به بمزيد من الحب والتكريم أكثر منهم كانت النتيجة أنهم كادوا ليوسف ودبروا له المكايد ورتبوا ترتيبا لإبعاده عن أبيه وما ذلك إلا للحب الزائد من سيدنا يعقوب إلى سيدنا يوسف .

نعم يا عباد الله ، فإن مما يسىء إلى الأولاد ويوقع بينهم الحقد والضغينة إيثار بعضهم على بعض ، فحذار أن تظهر لأولادك أنك تفضل بعضهم على الآخر ؛ لأن هذا سيخلق العداوة بينهم .

وقد ورد أن بشير بن سعد قد طلب إلى رسول الله أن يشهد على منحة منحها لولده النعمان بن بشير ، والمنحة كانت غلاما أى : عبد خصه به فسأل الرسول ﷺ: «**أله إخوة؟**» قال : نعم قال : «**فكلهم أعطيت مثل ما أعطيته ؟**» قال : لا ، قال ﷺ «**فليس يصلح هذا وإنى لا أشهد إلا على حق**» [1] .

عباد الله أرجو أن يكون موقف بشير هذا له مغزاه ومكانته عندنا نحو أولادنا وبناتنا والبعض من الناس يود أن يحرم ولده من الميزان بحجة أنه عاق له ، وأقول لمثل هؤلاء الناس إن الولد العاق سوف يلقى جزاءه من الله ولا دخل له بالميراث ، وسبحان من يرث الأرض ومن عليها ، والبعض يدعى أنه باع لابنه وأنه قد قبض الثمن ، وهذا سُلّمٌ تحايلنا به من أجل أن تحرم بقية الأولاد من الميراث ، يا قوم اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم واعلموا أنه "لا وصية لوارث" فاعدلوا هو أقرب للتقوى ، وإياكم أن تفرقوا

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

بين الولد والبنت فإن هذا مما يجلب غضب الله عز وجل .

تلكم هى أهم حقوق الأولاد أعاننا الله جميعا على أدائها .

اللهم اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا وما أسررنا وما أعلنا وما أنت أعلم به منا .

إنك نعم المولى ونعم النصير وبالإجابة جدير ، وأنت حسبنا ونعم الوكيل .

عباد الله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ اذكروه يذكركم واستغفروه يغفر لكم واسألوه يزدكم ، وصلوا على الحبيب المصطفى تفلحوا ، وأقم الصلاة .

* * * * * * * * * * *

الحث على رعاية البنات

الحمد لله الذى مَنَّ علينا من فضله بنعمة البنين والبنات فكان ذلك كرما منه وفضلا ، ونشهد أن لا إله إلا الله سبحانه قال فى كتابه العزيز : ﴿ **لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاء يَهَبُ لِمَنْ يَشَاء إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاء الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاء عَقِيمًا** ﴾(١) .

ونشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله أول من أحب البنات فبكر بأنثى وفرح بها ، وكان فى غاية السرور ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ،

فيا أتباع سيدنا ومولانا محمد عليه الصلاة والسلام .

نعيش هذه الجمعة مع حضراتكم حول موضوع هام ، رأيت لزاما على أن نتكلم فيه ألا وهو رعاية البنات فى ظل الإسلام ، ويسرنا ويثلج صدورنا أن نبدأ حديثنا ونفتتحه بهذا الحديث النبوى الشريف والذى يقول فيه صلوات ربى وسلامه عليه : «**من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو وضم أصابعه**» (٢) .

عباد الله :

إن من مبادئ الإسلام السامية وأهدافه العالية الغالية أن هيأ للبنت فى ضوء أنواره وفى ظل تعاليمه مقاما كريما ملحوظا ، ومكانا ساميا ملحوظا ، وأحاطها بكل تقدير وأزاح عنها كل تحقير ، فنشلها من أوحالها وحفظ لها حقوقها وأنبتها نباتا حسنا ، وكفلها بعنايته ورعاها بزعايته ، بعد أن كانت تعيش قبل الإسلام فى ضنك وضيق وظلام وتسام كما تسام الأنعام ، وكانت هينة على الناس مبتذلة بغيضة محتقرة فى وضع مهين وحال زرى مشين ، فكانت البنت إذا ولدت وئدت وقتلت وفى الأرض

---

(١) سورة الشورى الآية : ٤٩ ، ٥٠ .

(٢) رواه مسلم عن سيدنا أنس رضى الله عنه .

دفنت وقبرت لا ذنب جنته أو سوء فعلته أو منكر أتته سوى أنها أنثى (وليس الذكر كالأنثى) ، فإذا قدر لها النجاة وأبصرت نور الحياة عاشت كسيفة البال أسيفة مضطهدة ذليلة منكسة الرأس ، مكبوتة كسيرة الجناح دامعة العين كثيرة النواح من شدة الظلم الذى أحاط بها ، ومن قسوة العدوان الذى لا يفارقها يأكلون ميراثها ويسلبون أموالها ويهضمون حقوقها ويلجمون لسانها تتزوج من تكره وتورث كرها وتتعضل عن الزواج عنادا ، وتكره على ترك حقها استبدادا ، فإذا حاولت أن تتكلم لتدافع عن نفسها أو تعرب عن رأيها أوذيت وضربت وربما قتلت ووئدت ، بل كانوا إذا أذنبت أو أخطأت عوقبت وكان العقاب عسيرا ولا تجد لها شفيعاً ولا نصيراً ، أما الولد إن أذنب فذنبه مغفور وربك غفور يجد من الشفعاء من يجد له الصفح كما كانوا يوم ولادته الابن يفرحون ويطربون ويمتلئ البيت سرورا ، ويزدحم بشرا ، وحبورا وتقبل التهنئات وتقام الموائد ، وتصنع الولائم وتنحر الذبائح بل يحمل ويقبل ويعظم ويكرم ، أما البنت فى يوم ولادتها ويا لسوء ولادتها تعصب الأسرة رأسها وتبدى حزنها من سوء ما بشرت به ، وترى الوجوه عليها غبرة ترهقها قترة وقد ارتسم فى البيت إعلان الوجوم وعقدت به سحابة من الهموم والجميع محزنون مكظومون والله أعلم بما يكتمون ، وقد صور القرآن الكريم هذا المعنى من الحزن المقيم تصويرا بارزا ومثالا جعل حجة على الجاهلية الأولى وبلاغا للمسلمين حتى لا يقعوا مواقع الظالمين ذلكم الله حيث يقول جلت قدرته :

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاء مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [1] .

حقا حقاً ألا ساء ما يحكمون فإن البنت ليست منا بغريبة ، وليست من الإنسانية ببعيدة ، ولا هى دخيلة على الخليقة بل هى الشقيقة الرفيقة هى منا ونحن منها ، قال

(١) سورة النحل ٥٨ ، ٥٩ .

سيد الخلق سيدنا ومولانا **محمد ﷺ: «إنما النساء شقائق الرجال»** [١] .

ولاشك أن سنة الحياة تتطلبها وطبيعة الكون تستوجبها فلابد من المرأة بجانب الرجل ولابد من الأنثى بجوار الذكر استيفاء لحياة البشر ، **فقد خلق الله سيدنا آدم** وخلق منه سيدتنا وأمنا حواء ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء . فالبنات هن وعاء الذريات وللبشرية مسرات وعصبة الحياة فهن الأمهات والعمات والخالات ، ومنهن الأخوات وفيهن الطيبات والصالحات اللائى هن لغيب الأزواج حافظات ، وفى خدمة الآباء مخلصات ورفيقات فمن ساءته ذرية البنات وأنف من نسل البنات فقد ساء فى حكمه ، أو اعتدى على قضاء ربه الذى يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة قال تعالى فى كتابه العزيز وهو أصدق القائلين: **﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاء يَهَبُ لِمَنْ يَشَاء إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاء الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاء عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾** [٢] .

فكان من حسنات الإسلام الباقية أن دفع عن البنت هذا الاستخفاف ، ووقاها من الاستبداد ورفع لها شأنها ومنحها من الحقوق والواجبات ما لم تحلم به أنثى فى ديانة من الديانات ، فحرم وأدها وملكها ميراثها وأنصفها من نفسها وأعطاها حق الإعراب عن نفسها ورأيها ، وترك لها التصرف فى أموالها بنفسها وشد أزرها ورد إليها اعتبارها ، فرفع بذلك قدرها وعظم شأنها ، ولهذا لم يفرق الإسلام بين الرجل والمرأة فى شئون التقوى ولا فى القرب من العلى الأعلى وجعلهما فى مقام العبادة والطاعة على سواء قال تعالى: **﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ﴾** [٣] .

وقال تعالى: **﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً**

---

(١) رواه أحمد .

(٢) سورة الشورى ٤٩-٥٠ .

(٣) سورة آل عمران الآية: ١٩٥ .

وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (١) .

أما فى أمور الدنيا فقد منحها ما يتفق مع أنوثتها وما يليق بكرامتها ففى الميراث أعطاها نصف الرجل لحكمة ظاهرة وذلك لأن المرأة عادة تكون فى كفالة زوج يقوم بمؤنتها ، وإذا كانت منفردة أى بلا زوج كان النصف إنصافا لها ، وأما الرجل فهو رب اسرة وصاحب زوجة لهذا قال الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز: ﴿ يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ ﴾ (٢) .

وفى الزواج طلب إلى أوليائها أن يأخذوا رأيها عند زواجها وفوض الأمر إليها فعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**الثيب أحق بنفسها من وليها والبكر تستأذن**» (٣) .

وعن السيدة الخنساء بنت حزام الأنصارية: "أن أخاها زوجها وهى ثيب فكرهت ذلك ، فأتت رسول الله ﷺ فرد نكاحها" (٤) .

وعن سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما: أن جارية بكراً أتت رسول الله ﷺ فذكرت أن أباها زوجها وهى كارهة فخيرها النبى ﷺ ويقول الله عز وجل: ﴿ فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْاْ بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (٥) .

وكذا منحها الشهادة وحق أدائها أمام القضاء قال تعالى ﴿ وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ من رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاء أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى ﴾ (٦) .

وتأمل قوله تعالى: ﴿ أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى ﴾ ، لتضع

---

(١) سورة النحل ٩٧ .
(٢) سورة النساء الآية: ١١ .
(٣) رواه مسلم .
(٤) رواه البخارى .
(٥) سورة البقرة من الآية: ٢٣٢ .
(٦) سورة البقرة من الآية: ٢٨٢ .

إصبعك على نقطة الضعف فى المرأة ولتضع خطا تحت قوله سبحانه: ﴿ أن تَضِلَّ ﴾ فإن المرأة رقيقة الحس كثيرة الخطأ سريعة التأثير مهما تعلمت ونالت أرفع الدرجات العلمية ، لقد قرأت فى الصحف أن محكمة عليا بأمريكا جاء دور رئاستها فى قضية لسيدة مستشارة من هيئة المحكمة ، فلما وضعت حيثيات الحكم قدمت وأخرت فنجم عن ذلك خطأ فى الحكم فاستلفت نظرها عضوا اليمين فلم تتمالك نفسها من الإعياء وهوت على ملف القضية وبكت ، وحدث فى مصر أن محامية طلبت من محامٍ زميل لها أن تقدم قضيتها على قضيته ؛ لأنها تريد أن تذهب إلى محكمة أخرى لتترافع فيها ، فلم يأذن لها زميلها المحامى فترقرق الدمع من عينها وسال على خديها .

ومع ذلك لم يرحمها ، فالإسلام وإن منح المرأة كثيرا من الحقوق إلا أنه احتاط لضعفها وفضل الرجال عليها من هذه الناحية كما قال الله تعالى: ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ [1] .

وقال سبحانه: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾ [2] .

ولما نزلت آية المواريث وفيها نصيب الرجل ضعف نصيب المرأة ثارت النسوة وذهبن إلى رسول الله ﷺ فى هيئة وفد نسائى وقلن: يا رسول الله إن الله سوى بين الرجل والمرأة فى الصلاة والصوم والزكاة والحج وأذن لهن فى الجهاد فَلِمَ يفضل الرجال علينا فى الميراث؟ فنزل قوله تعالى:

﴿ وَلاَ تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ اللّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُواْ اللّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [3] .

ومع هذا الاعتراف النبيل بشخصية المرأة فإن الإسلام قد ذهب فى رعاية البنت

---

(١) سورة البقرة الآية : ٢٣٨ .

(٢) سورة النساء الآية : ٣٤ .

(٣) سورة النساء من الآية : ٣٢ .

مذهبا فريدا ، وسلك فى كفالة الأخت طريقا سديدا إذ جعل لمن أنفق عليهن وقام بتربيتهن وصبر على رعايتهن إلى أن يَمتن أو يتزوجن ثواب المجاهدين الصادقين وأجر الصائمين القائمين ، فعن سيدنا أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سعى على ثلاث بنات فهو فى الجنة وكان له كأجر مجاهد فى سبيل الله صائما قائما**»[1] .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو بنتان أو أختان فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن فله الجنة**» [2] .

أيها المؤمنون: وعنه ﷺ أنه قال: التائب حبيب الرحمن والتائب من الذنب كمن لا ذنب له أو كما قال: «**توبوا إلى الله واسألوه من فضله واستوصوا بالبنات خيرا**» غفر الله لى ولكم أجمعين .

الخطبة الثانية :

الحمد لله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله الصادق الوعد الأمين اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الهداة الطيبين .

وبعد ،

فيا أحباب الحبيب المصطفى مازلنا بصدد الحديث عن البنات ورعاية الإسلام لهن وثواب من يرعاهن .

يقول صلوات ربى وسلامه عليه: «**من كان له ثلاث بنات فصبر على إوائهن وضرائهن وسرائهن أدخله الله الجنة برحمته إياهن**» فقال رجل: يا رسول الله واثنتان ، قال: «**واثنتان**» وقال رجل وواحدة قال: «**وواحدة**» [3] .

وبعد فهذا هو مقام البنت فى الإسلام وتلك مكانتها تحت ظلال شريعة القرآن وذلك حظها من تعاليم سيدنا محمد بن عبد الله ، ولكن هناك أطيافا من خيال الجاهلية

---

(١) أخرجه الإمام السيوطى فى الدر المنثور ج ١ ص ٣٣٨ .

(٢) رواه الإمام الحميدى فى مسنده ص ٧٣٨ وأخرجه الإمام المرتضى الزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ج ٥ ص ٣٨٥ ، ص ٣٨٦ .

(٣) رواه الطبرانى .

تحيط بنا وآثارا فاشية من عهود الظلم الأولى لا تزال عالقة بعاداتنا شائعة فى بيوتنا ومنتشرة فى أوساطنا ، فلازلنا نرى رجالا مسلمين ونساء مسلمات يكرهون ذرية البنات ويستثقلون حملهن ، وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا ، وإذا بشر بالذكر استنار وجهه وفرح وتهلل ، ونرى رجالا يترمون بالأخوان وينظرون إليهن نظرة أخرى ، ويعاملونهن معاملة لا ترضى المولى عز وجل ، فهناك آباء أشقياء يحرمون البنات من الميراث أو ينتقصون من حقوقهن ويجعلونه للأبناء ، وهناك أخوة فجرة وفسقة وظلمة يستولون على حقوق أختهم ونصيب أخواتهم من الميراث ويمنعوهن من التركة ، وقد تكون إحداهن فقيرة وفى حاجة ملحة إلى ميراثها لتسد به جوعها وحاجة أولادها ، وقد تعود البنت إلى بيت أبيها بعد طلاق زوجها لها أو وفاته فلا تجد عند أبيها عطفا كعادته فيغض الطرف عنها ولا يهتم بشأنها . وقد يموت زوج الأخت ويترك لها ذرية ضعافا فتلجأ إلى أخيها عسى أن يخفف عنها الهموم والبأساء والضراء ، وعسى أن تنعم بعطفه وتستظل بعد ظل الله بظله ، ولكنه يعرض عنها ويلوى عنقه كبرا عليها بل ويستخدمها فى بيته ويستذلها فى منزله فتكون كالمستجير من الرمضاء بالنار وتلك خلائق أهل الجاهلية اللئام ، وليست بأخلاق أهل الإسلام الكرام الذين أمروا بحب البنات والعطف على الأخوات ليرثوا بذلك جنة عرضها الأرض والسماوات .

عباد الله ، ومن المؤسف المخزى أننا لم نراع جنة ولا نعيما ، ولم نراع مراقبة الجليل أقول ذلك لما نراه من بعض الفلاحين من أهل الريف فى مصرنا الحبيبة ماذا يا ترى؟

الأخت لها قيراط أو أكثر ميراثها من والدها أو والدتها ونصيبها تحت سيطرة أخيها فيأبى أن يمكنها من نصيبها ، فلا تجد أمامها إلا أن تبيع هذا النصيب ويا ليته يباع بما يرضى الله ورسوله ، فالقيراط بألف ونصف بل أكثر فى الغالب فإذا ما اشتراه أخوها منها أخذه بخمسمائة أو ستمائة من الجنيهات ، وإذا ما عارضت قال لها : لا شىء لك عندى ، وليس لك عندى إلا هذا المبلغ ، البيع باطل ورزقك حرام وضع نصب أعينك قول الله تعالى : ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا

اللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا ﴾ (١) .

فيا عبد الله خف على أولادك من المال الحرام ، واذكر وقوفك بين يدى الديان حيث لا مال ينفع ولا ولد يشفع ولا صاحبة تدفع .

يا عبد الله ، تذكر أن الموت أقرب إليك من طرف عينك ولا رسول له ، فقد تكون فى غاية الصحة ويفاجئك الموت ، والحل فى يدك وأنت فيه مخير إما أن تمكنها من نصيبها أو تشترى منها بما يرضى الله ورسوله أعانك الله على ذلك .

اللهم اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا وما أسررنا وما أعلنا وما أنت أعلم به منا ، اللهم اغننا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك وبفضلك عمن سواك إنك سميع قريب مجيب الدعوات .

عباد الله ، اذكروا الله يذكركم واشكروه يزدكم ، واستغفروه يغفر لكم .

وصلوا على الحبيب تفلحوا ،

وأقم الصلاة .

* * * * * * * * * * *

(١) سورة النساء الآية : ٩ .

أوزار فصل الصيف

الحمد لله رب العالمين حمدا يرشدنا إلى أحاسن الخيرات وأطيب الأعمال وأفضل القربات .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يحب من عبده أن يكون مطيعا لمولاه حتى يرضى عنه فيسعد بخيرى الدنيا والآخرة ، وأشهد أن سيدنا ومولانا وحبيبنا محمدا عبده ورسوله الذى ربى أمته وأخلص لله نيته : اللهم صل وسلم وبارك على مولانا وسيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين كافحوا شهواتهم وصانوا أعراضهم عن عيون غيرهم فأصلح الله بالهم وأدخلهم الجنة عرفها بهم .

أما بعد ،

فيا أحباب الحبيب المصطفى ﷺ ، إذا أقبل الصيف بحره وألجم الناس بعرقه تأففوا من شرره وتعوذوا من شموسه وضرره ، وخرجوا إلى العراء يستنشقون الهواء وراحوا يطلبون أروح الأماكن وبرد الظلال فى المساكن وأقبلوا على شرب المثلجات وتمتعوا بأطيب المرطبات وما إلى ذلك من متع وشهوات وذلك متاع الحياة والله عنده حسن المآب (قال جل شأنه): ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴾[1] .

وقال جلت قدرته : ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ * فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾[2] ونحن يا عباد الله لا نعترض على التمتع بالطيبات ولا الترفيه بالملذات لأن الإسلام لا ينكر ذلك ، قال سبحانه : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[3] لكن على الناس أن يتعففوا عن اللذات المحرمات أما المتع الطيبة الخالصة فمعاذ الله أن يقال بتحريمها ولا سيما بعدما

---

(١) النساء الآية : ٧٧ .

(٢) سورة التوبة آية : ٨٢ .

(٣) سورة الأعراف ٣٢ .

استمعنا إلى الآية الكريمة من سورة الأعراف .

ومما نأسف له ونعترض عليه ويتألم له كل غيور ويضجر منه كل مؤمن صبور ، أن الناس عند قدوم الصيف وهجوم الحر يتحللون من آدابهم وينبذون محاسن عاداتهم ويخرجون عن تقاليدهم وأوضاعهم ، ويخرقون مبادئ أخلاقهم وأديانهم ، فتركوا كل فضيلة واعتنقوا كل رذيلة فقد خلعوا ثوب الحياء ، ولبسوا ثوب الوباء فلا يخشون خالقاً ولا مخلوقاً ولا يحترمون عرفاً ولا قانوناً ، ولا يتبعون شرعاً ولا معروفاً ، يقول مولانا جلت قدرته : **﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾**(١) .

عباد الله ، هناك أقوام إذا أقبل الصيف وهجم الحر تركوا البيوت وأقبلوا على المتنزهات فاختلط الرجال بالسيدات وأحاط الفتيان بالفتيات وتبودلت بينهم النظرات الصائبات التى هى للقلب قاتلات ، وهذا رجل وقور قد خرج عن وقاره وتنازل عن حيائه فخرج إلى الناس عار الصدر والظهر والفخذين مكشوف الرأس والبطن والذراعين .

وقد خرج الجميع فى الشارع كالحيوان ، ويقود أسرته بين الناس عاريا وعارية وهذه امرأة مسلمة جاء الصيف تحللت من كل حياء وحشمة فخرجت إلى الناس عارية أو شبه عارية وتعرض جسمها فى زى خليع داعرة عاهرة ، فقد أبرزت محاسنها وأظهرت مفاتنها وتراقصت فى مشيتها وتباهت ، فى خلعتها وميوعتها ، وقد لطخت وجهها بالمساحيق وزخرفت رأسها بالتزاويق لتبدو فتنة للناظرين ومحطا للغادين والرائحين وصدق مولانا رسول الله ﷺ حيث يقول : «**أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليشموا ريحها فهى زانية وكل عين تنظر إليها زانية**» (٢) .

ومما يزيد الأمر بلاء والأخلاق سوءا وشقاء أنك ترى الرجل المسلم زوجته المسلمة متأبطا لذراعها بما لا يتفق وآداب دينها ، ويخرج بها بين الناس فى أبهى خلعة

---

(١) سورة الأعراف ٣٣ .
(٢) أصحاب السنن .

وأجمل زينة وكأنه يعرضها عليهم عرض السماح ، ويقول لهم : هذا عرض لكم مباح فلا تتكلموا وبينكم حجاب ، وليس عليكم جناح أن تنظروا إليه أو تتمتعوا به ، فليست عندى غيرة تمنع وليس عندى دين يدفع ، أو ضمير يؤنب ويردع وما ذلك إلا لأن الضمائر ماتت فعلا فغسلت وكفنت وصلى عليها أربعة ثم أقبرت إلا من رحم ربى نسأل الله أن يحفظ علينا ديننا ويحيى ضمائرنا ، عباد الله وغير هؤلاء عندهم مال فنزحوا من الديار وذلك إلى شواطئ البحار والغرام ليعبثوا بالأعراض وليغضبوا الجبار وليمعنوا فى الاستهتار .

هذه أخلاق مهلكة وبوائق مفسدة فى بلادنا وبين ديارنا تركزت ، وهذه عادات مفسدات للفضائل قاتلات ، وخصال ليست مكرمات فيها فسوق وخروج عن الديانات فهى بحق عادات ضارة تهجم علينا فى فصول الصيف الحارة فتقلع كل فضيلة بارة فهى إلى حاجة إلى مادة قاتلة من مواد التطهير ، وفى حاجة قصوى إلى جلاء كجلاء الإنجليز بل إن إجلاء هذه العادات فى شأنى لا يقل جلاء وشأناً عن إجلاء كل خائن لئيم وجلاء كل معتد على الوطن أثيم ؛ لأنها استعمار خلقى يذهب بشأن الرجولة وينشر بيننا الضعف والخنوثة ، ويدعو إلى حياة الترحل والكسل ويضيع المعانى السامية للأخلاق ويكثر من العشوق والفجور والثقافة فتضعف الأمة أمام الأعداء ولا تستطيع مفارقة الشدائد والبلاء فتنهار أعصابها عند بدء الفتن وتسلم نفسها لغدوها عند أول صدمة يقول المولى جل فى علاه : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾[1] .

ألا وإن أمراض الصيف خطر على الأخلاق بدعة التفنن فى الأزياء وخروج النساء لهذه الأزياء كاسيات عاريات مائلات مميلات ، ومن الغريب أن ترك الأزواج والأباء يسارعون فى هوى النساء ويحضرون لهن ما شئن من المساحيق والأزياء ويعجبه أن يخرج زوجته وبنته فى ثوب عار شفاف وبحالة لا تتفق مع الأدب والحياء ، ولذلك فسدت البيوت وتجردت من الأخلاق الفاضلة وساءت سمعة السيدات وبارت البنات وازدحمت المقاهى واكتظت عند مرورهن ، فترك التلاميذ دروسهم وأهمل العمال

(١) سورة الإسراء آية : ١٦ .

أعمالهم وأصبح خروج النساء مصدر فتنة مخربة للبيوت مدمرة للأخلاق نسأل الله عز وجل أن يجنبنا غضبه وسخطه بمنه وكرمه ، آمين يا رب العالمين ،

عباد الله ، وقد صدق مولانا رسول الله ﷺ إذا يقول فى حديثه الشريف: **«ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء»**(١) .

وقد سأل الرسول ﷺ فاطمة ابنته: **«أى شىء خير للمرأة؟»** ، فقالت: يا رسول الله ألا ترى رجلا ولا يراها رجل ، فضمها إلى صدره وقال: **«ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم»** (٢) وذلك استحسانا منه ﷺ لقولها .

فاتقوا الله وحافظوا على زوجاتكم وبناتكم عن الخروج بملابس كاشفات .

قال رسول الله ﷺ: **«صنفان من أهل النار لم أرهما قط رجال بأيديهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لن يدخلن الجنة ولن يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام»** (٣) .

عباد الله: يظهر أننا نريد أن نثبت للناس أننا هل العجائب والغرائب ، وأننا نستطيع أن نسبق أهل البدع الأثيمة والفضائح المنكرة ، ومن حقكم ألا تصدقوا حتى أقدم لكم الدليل ، فمنذ ثلاثين سنة تقريبا كان الشاب من شبابنا يصعب عليه أن يتصور جسم المرأة أو يصفه من تحت ثيابها ؛ لأنها كانت محجبة مخمرة ثم أرونى ماذا يحدث الآن؟ أردنا أن نتمدين ونتطور ، أن نكون كأوروبا فنادى منادون بسفور المرأة فرفضت الحجاب عن وجهها ثم عن رأسها ثم عن ذراعيها وساقيها ، ثم عن صدرها وظهرها ثم لبست مايوه البحر فتجردت من ثيابها وحيائها ، وأصبح الشاب خبيرا بجسمها عليما بمفاتنه ومحاسنه وظاهره وباطنه .

ومن لا يعرف ذلك من الشباب اليوم فهو فى عرف المتمدينين المتطورين بقية من

---

(١) رواه البخارى ومسلم والترمذى .

(٢) رواه البزار والدارقطنى .

(٣) رواه مسلم .

بقايا الرجعية والجمود والبعد عن الحياة .

كما أن الفتاة صارت عليمة بجسم الشاب ومفاتنه لأنه لحقها أو سبقها فى كشف العورات والتجرد من الثياب ، وصار ذلك العري الفاضح أمر شائع ذائع فى المصايف وما شابهها ، وبعد أن كان التقاة المحافظون أمس يعترضون على سفور وجه المرأة ينتظرون من ورائه شرورا مع أن بعض الفقهاء قد أباحه .

أصبحنا لا نجد من يعترض على تجرد النساء والرجال من ثياب الحس والحياء على الشاطئ .

فأصبح من المألوف أن تقام على الشواطئ أنواع كثيرة من الإثم ، والفجور والتحلل وشيطانية المنكر مالا سبيل إلى تصويره وإحصائه ، وكأنما أحس القوم المتجردون هناك أن ما وصلوا إليه إنما هو اللائق المستحسن فى عالم التجديد والتطور ، فأرادوا أن يجددوا أو يتقدموا لكى يفعلوا ذلك لابد لهم أن يتخلصوا من الدين والأخلاق ويهدموه .

فهناك فى أحد شواطئنا حيث يختلط الحابل بالنابل وتمتزج الذئاب بالشياه وتصطدم أجسام الفتيات العاريات الفاتنات بأجسام الفتيان العراة الغاوين ، ويعلم الله ويعلم الله الحق ويعلم العقلاء فى كل جيل أن الدعوة إلى الحشمة والعفة والحياء وستر عورات النساء ليست رجعية ولا جمود ، وإنما هى شريعة الله الذى يحب التوابين ويحب المتطهرين ، يقول جل فى علاه: ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ ﴾ [(١)] .

وإذا ما طاوعنا هؤلاء على ضلالهم فماذا نصنع فى أمر الجليل سبحانه حيث يقول فى محكم التنزيل وهو أصدق القائلين: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [(٢)] .

---

(١) سورة البقرة الآية : ١٣٨ .

(٢) سورة الأحزاب : ٥٩ .

وماذا نصنع فى قوله جل جلاله : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ . . . ﴾ ؟ (١) .

وماذا نصنع فيما نقله الرواة عن سيدنا رسول الله ﷺ من أنه سأل ابنته فاطمة : «**أى شىء خير للمرأة ؟**» فأجابت : ألا ترى رجلا ولا يراها رجل (٢) . وماذا نصنع فيما يرويه الرواة عن السيدة عائشة أن السيدة أسماء بنت سيدنا أبى بكر أنها دخلت على رسول الله ﷺ وعليها ثياب رقاق كشف عن بعض جسمها أى تشف عن بعض جسمها فأعرض عنها وقال لها : يا أسماء «**إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا**» وأشار إلى وجهه وكفيه ﷺ (٣) .

يا أحباب الحبيب المصطفى ﷺ إذا أردتم الحق فإنه لا يشجع المرأة على هذا العرى وذاك الفجور إلا رجل فاجر يريد أن يجد الطرق إلى شهواته وملذاته سهلة ميسرة أو رجل مخنث لا يحس بغيرة ولا يقيم للعرض وزنا ، وإذا صار الرجل مخنثا والعياذ بالله لم يضره أن يعبث الناس فى حرماته وهؤلاء المتحللون لم يكفهم أن يجيز الإسلام للمرأة أن تتعلم وأن تتاجر وأن تمتلك وأن تخرج عند الحاجة ، وأن تكشف وجهها وكفيها إذا لم توجد الفتنة ، بل حرصوا على تجريد المرأة من مقومات الحصانة والعفة والحياء .

فحرضوها على هذه المناكر والمساخر ، وشجعوها على هذا التحلل والتجرد وسلخوها من ثياب الصيانة والفضيلة كما يسلخ الجزار جلد الحيوان ، ولم لا يفعلون وقد أخذوا يبشرون فى الأودية العربية المسلمة بالوجودية التى تقول للإنسان : اعمل ما شئت ولا تخجل من إتيان ما تحب مهما كان ، ولا تحتكم إلى العقائد أو التقاليد أو العادات بل احتكم إلى صوت نفسك وعقلك ، ومعنى هذا أن من أراد أن يكون سكيرا فليفعل ومن أراد أن يتحلل من الدين والأخلاق فليفعل ومن أراد أن يكون متفسخ الرجولة فليفعل ومن أراد أن يكون ديوثاً فليفعل . ولن يدخل الجنة ديوث ، لأن

---

(١) سورة النور الآية : ٣٠ ، ٣١ .

(٢) رواه البزار والدراقطنى .

(٣) رواه أبو داود .

الديوث هو الرجل الذى لا يغار على عرضه ، ومن الخسارة أن يوصف مثل هؤلاء بالرجولة لأن الرجولة بيّنها الحكيم جل جلاله فى كتابه الخالد أبد الدهر ذلكم الله إذ يقول : ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾ (١) .

عباد الله : هؤلاء هم الرجال كما وصفهم القرآن الكريم وما كانت أبدا الرجولة موصوفة بالانحلال والتسيب والتخلى عن الأخلاق العظيمة ، ما كان الرجل أبداً ديوثا إنما الرجال قد عرفوا بالصدق مع الله فى اتباع أوامره واجتناب نواهيه ، جعلنا الله وإياكم منه .

سلوا الله من فضله غفر الله لى ولكم أجمعين ،

الخطبة الثانية :

الحمد لله أمرنا بطاعته واجتناب معاصيه ، وأشهد أن لا إله إلا الله إن تطيعوه فلا تنفعوه وإن تعصوه فلا تضروه ، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله مربى الرجال على محبة القرآن صلاة وسلاما وبركة عليه وعلى آله وأصحابه الذين عرفوا الله حق المعرفة فرضى الله تبارك وتعالى عنهم أجمعين .

أما بعد ،

فيا عباد الله ، لازلنا نعيش مع أوزار فصل الصيف وما يتخلله من مفاسد وكبائر الذنوب .

نعم ، فيا أتباع سيدنا ومولانا محمد عليه الصلاة والسلام .

لا ننسى أن نذكر بأنْ فرنسا كان لها فى الحرب العالمية الأخيرة جيش فى البر وأسطول فى البحر وأسطول فى الهواء ، وكان لها حصن " ماجينوا " الجبار ولكنها ركعت أمام الغازى ، وذلت أمام الفاتح خازية مستخزية ، لأنه لم تكن هناك أخلاق تثبت الأقدام ولا أعراض مصونة تحرص على المقاومة ولا عقيدة تدعو إلى الشهادة .

---

(١) سورة الأحزاب من الآية : ٢٣ .

واذكروا أيضاً أن ربكم قد أنذر - ولا يزال إنذاره قائما فقال: ﴿ **وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا** ﴾ [1].

فعلى الآباء والأمهات وكل راع للأولاد أن يحرصوا كل الحرص على الأخذ بأيدى الأولاد ذكورا وإناثا وذلك إلى مرضاة الله عز وجل وإلى نعيمه الذى ينعم به كل تقى .

وعلينا أن نضع نصب أعيننا قول سيدنا ومولانا الإمام الحسن البصرى حيث قال رضى الله عنه : " أدركت أقواما كان أحدهم أشح على عمره منه على درهمه " .

وقال حكيم: من أمضى يوما من عمره فى غير حق قضاه أو فرض أداه أو مجد أثّله أو حمد حصّله أو خير أسسه أو علم اقتبسه فقد عق يومه وظلم نفسه ، فتأملوا حفظكم الله وما كانت الأجازة الصيفية فرصة لمعصية الجبار جل جلاله ، فكيف صوَّرنا لأنفسنا الخوض والمبالغة فى المعاصى والذنوب كان الأحرى بنا أن نحبب أولادنا فى القرآن الكريم ودراسة الكتب الدينية النافعة ، فهذا والله أفضل بكثير من التمادى فى الباطل والسير وراء المهلكات التى ليس من ورائها إلا غضب الجليل جل جلاله .

والأوقات أمانة ومسئولية فإذا ما ضيعنا الأوقات فلنعد للسؤال عنها جوابا .

نعم يا عباد الله: فإن الوقت نعمة عظيمة من نعم الله ، ولما كانت كذلك فرط أكثر الناس فى إشغاله بما لا ينفع فوظفوا أوقاتهم فى أمور تعود عليهم بالإثم والعصيان وآخرون منهم إن لم تسلم أوقاتهم من الإثم فلن تعود عليهم بالنفع .

فعن سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ**» [2] . والغبن: هو عدم معرفة قيمة الوقت أى فالعبد مضحوك عليه من شيطانه فضيع وقته .

ويقول ﷺ: «**لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه وعن**

(١) سورة الإسراء ١٦ .

(٢) رواه البخارى .

علمه ما فعل به ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه» [1] .

فاتقوا الله عباد الله ، وإياكم وتضييع الأوقات الصيفية فيما يغضب رب البرية واعلموا أنكم ميتون ، وأن كل ميت موقوف وأن كل موقوف مسئول ، وإذا كان كذلك فهلا أعددنا للسؤال جوابا .

اللهم ثبتنا عند السؤال وارزقنا بفضلك حسن الختام .

اللهم فقهنا فى ديننا وبصرنا بعيوبنا ، واهد شبابنا وفتياتنا وجنبهم جميعاً قرناء السوء ، اللهم أصلح الراعى والرعية وأكرم الأمة المحمدية ، وجازى عنا نبينا خير ما جازيت نبيا عن أمته ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

اذكروا الله يذكركم واسألوه يزدكم .

وصلوا على الحبيب المصطفى تفلحوا ،

واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا عفا الله عنى وعنكم أجمعين .

* * * * * * * * * * *

---

(١) رواه الترمذى .

أثر التقليد السيىء على الأخلاق

الحمد لله أمر بالتحلى بالفضائل ، ونهى عن الوقوع فى مهاوى النقائص والرذائل لا إله إلا هو الحكيم العليم ، نشكره تعالى أن ميز لنا القبيح من الحسن ، ونلجأ إليه سبحانه أن يجيرنا مما نزل إلينا من البلايا والفتن ، ونعوذ بالله من التقليد فى سيئ الأخلاق وقبائح البدع والعادات .

وأشهد أن لا إله إلا الله هدانا بالإسلام إلى خير وسائل السعادة ، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله فتح لنا بسنته أبواب الرقى والسيادة ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه الذين تأدبوا بآداب الدين فبلغوا ذروة العزة والكمال فرضى الله تعالى عنهم وأرضاهم ومتعنا وإياهم فى دار السلام .

أما بعد ،

فيا أتباع سيدنا ومولانا محمد عليه الصلاة والسلام

نلتقى بحضراتكم اليوم حول أمر لا يقل خطورة عما تحدثنا عنه فى الجمعة الماضية ، ذلك هو التقليد الأعمى والذى التفت إليه البعض من الناس فانهدمت أخلاقهم لأنهم جعلوا هذا التقليد بين أيديهم ، وجعلوا أخلاق المصطفى ﷺ وراء ظهورهم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وحسبنا الله ونعم الوكيل .

يا أتباع الحبيب المصطفى ﷺ .

لقد دعانا القرآن الكريم إلى اتباع أحسن طريق حتى يرضى عنا الكريم جل جلاله ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [١] .

عباد الله : إن سيدنا ومولانا محمد ﷺ عندما تلا هذه الآية الكريمة خَطَّ خَطًا

---

(١) سورة الأنعام الآية : ١٥٣ .

فقال: «**هذا سبيل الله ثم خط خطوطاً عن يمينه وشماله وقال: هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه**»[١].

واعلموا عباد الله: أن الصراط المستقيم هو الشرع الحكيم ولذا لا نزال فى كل ركعة من الصلاة نقول: ﴿ **اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾ ومن ذلّ عن هذا الصراط فى الدنيا ذل عنه فى الآخرة أيضا.

أيها المؤمنون، أمامنا طريق السعادة مفتوح فلماذا لا نسلكه؟ أمامنا سبيل الرقى والفلاح واضح فلماذا نعدل عنه ونتركه ونسلك طريق آخر؟ والشقاء والخسران أرأيتم أن دينكم قصر فى إرشادكم إلى سبيل الفلاح فعدلتم عنه؟ أما قرأتم فى تعاليمه ما يصدكم عن جلائل الأعمال ومكارم الأخلاق فهجرتموه؟ كلا إنه دين الله يبقى طريقا للسعادة والرقى إلى يوم تبعثون.

إذاً ما من فضيلة إلا حث على التخلق بها وما من رذيلة إلا حذر من قبحها وبين سوء عاقبتها فما لنا نسير على غير هدى ونقلد الأجانب فيما ينهى عنه الدين ولا يتفق مع آداب المسلمين.

عباد الله، لقد جلب علينا تقليدنا للأجانب شرا وبيلا، فقد أهمل كثير من كبرائنا أمر الدين واستهانوا بحقوقه وعبثوا بواجباته، بل صار الكثير من الشباب لا دين جريئاً على انتهاك حرمات الله، لا يبالى بارتكاب مالا يرضاه الشرع والعقل من الشرور والقبائح، سائرا كل واحد منهم وراء شهوته وهواه.

قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾[٢].

ويا ليتنا قلدنا الأجانب فيما يفيد وينفع من الأخلاق الفاضلة والعادات الحسنة كالصدق والإخلاص والوفاء والأمانة والاقتصاد وعدم الإسراف، وكل مايرقى شئوننا من الفنون والصنائع، ولكنا قلدناهم فيما يضر ولا ينفع قلدناهم فى الربا ولعب القمار

---

(١) رواه أحمد والحاكم والنسائى.

(٢) القصص ٥٠.

وما يلحقنا من المضار المالية قلدناهم فى تناول المسكرات والمخدرات ، ولم نبال بمضارها البدنية والعقلية قلدناهم فى التبرج والتهتك وقلنا حرية أخذنا عنهم أنواع اللهو والخلاعة وقلنا : إننا بذلك نكون متحدثين ربينا بناتنا على عاداتهم فنشأت عاريات من الفضائل جاهلات بأمور الدين ، طرحن ثياب الحشمة وخلعن برقع الحياء وبرزن فى الشوارع بالأزياء الإفرنجية ، فإذا رأيت المسلمة رأيت منها امرأة إفرنجية فى ملابسها وحركاتها وسكناتها وهى ابنة أو زوجة من يعد نفسه من جماعة المسلمين وأقبح من هذا أن يذهب المسلم بأهله وأولاده إلى أماكن اللهو وبيوت الخلاعة والفجور وبدل أن ينفق أمواله فى الأعمال النافعة يضيعها فى النقائص والرذائل والله يعلم أن هذه الأماكن ما أقيمت إلا لسلب ماله وإفساد أخلاقه والقضاء على البقية الباقية من دينه وبذلك يخشى على نفسه وأولاده وعلى أمته ويكون لبناء الدين والفضيلة من الهادمين .

أيها المؤمنون ، أحباب الحبيب المصطفى ﷺ إن لكل أمة محاسن وقبائح يعرفها الأعمى والبصير وأن لنا دينا قويما كله آداب وفضائل ، فمن العار بل من الحرام أن نترك محاسن ديننا ونقلد الأجانب فيما ينهى الدين ويغضب علينا الله رب العالمين ، أتدرون ما عاقبة تقليد الأجانب فى بدعهم السيئة وعاداتهم القبيحة تالله إنها لعاقبة وخيمة .

فإننا بهذا التقليد نندمج فى ضلال موحش ، ونهدم بناء ديننا إننا بهذا التقليد نقضى على الأخلاق والفضيلة وعاداتنا ، ونمحو معالم حياتنا ونصبح أقل الأمم أخلاقا وبذلك نصبح أذلاء مستضعفين نتيجة هذا التقليد الأعمى ، ويا ليتنا قلدنا الخلفاء الراشدين والأئمة الأربعة المجتهدين أولئك الذين سادوا العالم ونشروا لواء العلم والدين .

أيها المؤمنون الأحبة ، إن الأجانب أنفسهم عرفوا أضرارا كثيرة من عاداتهم كالخمر والميسر والزار ففهموا شعوبهم وأبمهم فأقلعوا عنها ، وإن دينكم والحمد لله ما ترك أمورا على ضررها ولطالما حذر من شرها وخطرها فارجعوا إلى دينكم وكونوا بهدية متمسكين .

اتقوا الله عباد الله ، واحذروا هذا التقليد الأعمى فإنه يضر ولا ينفع ، وأمامكم

كتاب الله وسنة حبيبه ومصطفاه ففيهما كل خير وبركة .

قال تعالى فى محكم التنزيل وهو أصدق القائلين : ﴿ **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ** ﴾(١) .

ويقول صلوات ربى وسلامه عليه : «**لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم**» قالوا : يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال : «**فمن غيرهم**» (٢) .

أيها المؤمنون أحباب الحبيب المصطفى ﷺ ، مما ابتلى به المسلمون وفشا بين الخاصة والعامة فى هذا الزمان تقليد الأجانب فى كثير من عاداتهم من غير تمييز بين النافع منهما والضار ، وسبب هذا ما يرونه من قوة الأجنبى وضعفهم ، وتلك سنة الله تعالى فى أمة أهملت أمر دينها واتبعت أهواءها حتى ذهبت ريحها وضعفت قوتها ، فزلت واستكانت وقد كان رسول الله ﷺ يكره موافقة الأجانب فى كل أحوالهم حتى قالت اليهود : إن محمدا يريد ألا يدع من أمرنا شيئا إلا خالفنا فيه ، وكان يقول صلوات الله وسلامه عليه : «**من تشبه بقوم فهو منهم**» (٣) . وكان أيضاً يقول : «**ليس منا من تشبه بغيرنا**» (٤) .

ويا ويل من تبرأ منه الحبيب المصطفى ﷺ ، وذلك يفيد بلاشك حرمة تقليد المسلمين للأجانب فيما هو من خصائصهم ، ولذا كان عمر رضى الله عنه يوصى عماله بالمحافظة على عادات العرب وزيها وينهاهم عن التشبه بالأعاجم فى عاداتهم وملابسهم لتبقى الأمة الإسلامية متميزة عن الأجانب بعاداتها وأزيائها وكل ما يحفظ قوميتها .

وإياكم من جميع الفتن والآثام والأوزار ، إن من تشبه بقوم حشر معهم ، واذكروا قول الله تبارك وتعالى على لسان حبيبه ومصطفاه : ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ**

---

(١) سورة المائدة الآية : ٩٢ .

(٢) متفق عليه .

(٣) رواه أبو داود من حديث ابن عمر .

(٤) رواه الترمذى .

فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ (١) .

فيا أمة الإسلام ، أفيقوا من غفلتكم واعلموا أن التمسك بالدين والأخلاق التى جاءنا بها صاحب الشفاعة العظمى سيدنا ومولانا محمد ، فإن فى ذلك الخير لنا ولأولادنا وإلا فلا تشكو الضيق والهموم التى حلت بنا واستمع إلى قول المولى جل جلاله : ﴿ إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ (٢) .

ويقول جل شأنه : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى ﴾ (٣) .

فاتقوا الله عباد الله ، وكفوا عن هذا التقليد الأعمى فى الملبس والتسمية للأولاد والعادات الأجنبية التى اكتسحت البيوت وكافة أماكننا ، فإننا لن نحظى بالشفاعة من الغرب ، إنما نحظى بها من سيد الخلق ، وعودوا إلى الله واسألوه العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة .

الخطبة الثانية :

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله ، اللهم صل وسلم ، وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم إلى يوم أن يرث الله الأرض ومن عليها .

أما بعد ،

فيا إخوانى فى الله ويا أحبابى فى سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ ، اتقوا الله فقد كفى ما كان ، اتقوا الله فقد طال بنا زمن العصيان ، اتقوا الله فيما أمر وانتهوا عما نهى

---

(١) سورة آل عمران ٣١ ، ٣٢ .

(٢) سورة الرعد آية : ١١ .

(٣) سورة طه الآيات : ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ .

عنه الله وزجر واعلموا أن تقليد الأجانب هو وباء وليس بعده وباء ، فما نراه من ملبس للسيدات كأنى بها وهى تنادى وتقول: ها أنا متبرجة اقتداء بأسيادى الكفار والكافرات ، ولا حاجة لى لكتاب الله وسنة رسوله ، يا من تركتم بناتكم كاشفات الرؤوس عاريات الساقين والعنق ، فكأنى بها تنادى على الزناة ، اعلمى أيتها المرأة وأيتها الفتاة أن كل عين نظرت إليك زانية ، وليس من وراء التقليد إلا الذنب الكبير وغضب الجليل ، فعلينا أن نبتعد عن تقليد الأجانب فى كل أمورنا ولنحذر المعاصى ما بقينا والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ، إنه الغفار الفعال لما يريد وهو حسبنا ونعم الوكيل .

اللهم ارفع مقتك وغضبك عنا ، ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا ، اللهم ارزقنا الفقه فى ديننا ، واهدنا إلى طاعتك وجنبنا معصيتك اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، ودمر اليهود وأعوانهم من المستعمرين ، اللهم شتت شملهم وفرق جمعهم وخالف بين كلمتهم وامح آثارهم واقطع دابرهم واجعل تدبيرهم فى تدميرهم وكيدهم فى نحورهم وأنزل بهم بأسك الذى لا يرد عن القوم المجرمين اللهم وفق ولاة أمورنا لخير البلاد والعباد فى المعاش والمعاد ، وألهمهم الصواب والرشاد وأيدهم بالحق وأيد الحق بهم ، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ، ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .

عباد الله :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .

اذكروا الله يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم ، وادعوه يستجب لكم وصلوا على الحبيب المصطفى تفلحوا .

وأقم الصلاة .

* * * * * * * * * * *

السخرية بخلق الله

الحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ، رفعت شأن الإنسان ووقرته توقيرا ، وكرمت أصله وطهرته تطهيرا ، وفضلته على كثير ممن خلقت تفضيلا .

وأشهد أن لا إله إلا الله نهى عن السخرية والاستهزاء ، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله أمرنا باحترام الناس على سواء ، اللهم صل وسلم ، وبارك على سيدنا محمد إمام الأتقياء وعلى آله وأصحابه الذين كفاهم الله المستهزئين ، ووقاهم من سخرية الساخرين فكانوا إخوانا فى الله على سرر متقابلين فرضى الله تعالى عنهم أجمعين .

أما بعد ،

فيا أتباع سيدنا ومولانا محمد عليه الصلاة والسلام نعيش مع حضراتكم هذا اليوم حول أمرين من الأمور الهامة فى حياتنا وحول رذيلة من الرذائل فشت فى مجتمعنا ولا حول ولا وقوة إلا بالله العلى العظيم ، هذا الأمر هو السخرية بخلق الله الفقراء وذوى العاهات الضعفاء الذين شاءت إرادة الله فى أعضائهم وكأنى بهؤلاء وقد ابتلوا بالعمى أو العرج ، أو بعيب فى ألسنتهم أو بعضو فى أعضائهم وكأنى بهؤلاء الساخرين والساخرات يستهزئون بصنعة الصانع جل جلاله أسأل الله لهم الهداية .

ولقد نهى القرآن الكريم عن هذه الخصلة الذميمة نهيا شديدا فقال جل جلاله مناديا عباده المؤمنين : **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾** [١] .

وعن سبب نزول هذه الآية : يقول سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما نزلت الآية فى ثابت بن قيس بن شماس رضى الله عنه كان فى أذنه وقر فكان إذا أتى مجلس رسول الله ﷺ وقد سبقوه بالمجلس وسعوا حتى يجلس فى المجلس إلى جنبه عليه

(١) سورة الحجرات الآية : ١١ .

الصلاة والسلام يسمع ما يقول فأقبل ذات يوم وقد فاتته ركعة من صلاة الفجر فلما انصرف النبى ﷺ من صلاة الفجر أخذ أصحابه مجالسهم فضَنَّ كل رجل بمجلسه فلا يكاد يوسع أحد لأحد فكان الرجل إذا جاء لا يجد مجلسا فيقوم على رجليه ، فلما فرغ ثابت من الصلاة أقبل نحو رسول الله يتخطى رقاب الناس وهو يقول تفسحوا تفسحوا فجعلوا يتفسحون حتى انتهى إلى رسول الله وبينه وبينه رجل فقال له : تفسح فلم يفعل فقال من هذا؟ فقال له الرجل : أنا فلان فقال : بل أنت ابن فلانة يريد أُمًّا له كان يُعَيَّرُ بها فى الجاهلية ، فخجل الرجل ونكس رأسه فأنزل الله هذه الآية [1] .

وروى أنه قوله : (ولا نساء من نساء) . نزل فى نساء النبى ﷺ وقد عيرن السيدة أم سلمة بالفقر ، قالت أم سلمة : جميلة لولا أنها قصيرة [2] .

يا أتباع سيدنا ومولانا محمد ﷺ بعد ما عشنا فى رحاب سبب نزول الآية الكريمة أرى أن ما نحن فيه الآن من سخرية بالآخرين شىء قبيح وذنب عظيم لا يسعنا إلا أن نتخلص منه فهذا هو المولى جل جلاله لم يرض الرجل من صحابة نبيه أن يعير بأمه حتى ولو كان هذا الأمر من رؤساء المشركين وكبرائهم ، نعم فهذا عكرمة حين قدم المدينة مسلما بعد فتح مكة فكان المسلمون إذا رأوه قالوا : هذا ابن فرعون هذه الأمة فشكا ذلك للنبى ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام : «**لاتؤذوا الأحياء بسب الأموات**» [3] .

ولما عير بلال بأمه حيث قال له سيدنا أبو ذر الغفارى : يا ابن السوداء كره ذلك مولانا رسول الله ﷺ وأسّف أبا ذر بقوله له : «**أعيرته بأمه إنك امرؤ فيك جاهلية**» [4] .

فها أنت ترى مولانا رسول الله ﷺ يأبى معايرة الرجل بأمه أو بأبيه حتى لو كان الأب من زعماء الشرك وكبراء المشركين ، ولم يرض من أمنا عائشة أن تصف أمنا السيدة أم سلمة بالقصر فما بالنا نخوض فى السخرية ونمشى بها بإفاضة واستفاضة ، نرجو التعقل يا قوم ولا ننس أننا ومن نسخر بهم جميعا صنعة الله وخلقته ، ولله فى

---

(١) انظر أسباب النزول للإمام الواحدى ص ٢٤٩ .
(٢) انظر المرجع السابق ص ٢٩٤ .
(٣) رواه الإمامان أحمد والترمذى .
(٤) رواه البخارى .

خلقه شؤون بل ، ربما من نسخر منهم رجالا ونساء كانوا أفضل منا عند الله وقد يرحمنا الله بفضلهم وهذا حق ، فوالله الذى لا إله غيره ما أقصه الآن لحضراتكم حقيقة لا أنساها حتى ألقى الله تعالى:

كنت ألقى خطبة الجمعة من فوق منبر سيدى على المحلى بمدينة رشيد ، ولما انتهيت من الخطبة الأولى وجلست جلسة الاستراحة سمعت رجلا ممن شاءت إرادة الله أن يُبتلى بعاهة تجعله لا يملك فصاحة الكلمة ، والسفهاء يهزءون به ويضايقون ويسخرون منه ، سمعته يقول: يا رب أبى وأمى وربما لم يتفطن من يسخرون منه أن يترحموا على آبائهم وأمهاتهم فقلت فى نفسى: والله إن من يهزأ بك هو صاحب العاهة والجنون لا أنت .

عباد الله: وهناك نغمة فاشية كلما سمعتها أذنى ووعيتها بقلبى ورآها المبصرون ذوى البصائر المنيرة النيرة ، حزنت وحزن لها أهل الصلاح والتقوى ، عادة منكرة كلما لمستها فى المجتمعات وأحسست بها فى البيوت تألمت لها كثيرا ، قولة سوء لا تزال على الألسنة تجرى وبين المجالس عامة تسرى ، أقف أمامها كئيبا حزينا ، عادة سيئة توزعت بين القرى والمدن وتفرقت بين الأفراد والجماعات والأسر ، أساءت إلى كرامة الإنسانية وحطت من شرف البشرية ، تلك عادة الاستهزاء بالغير والسخرية من الناس والتندر بخلق الله والتكفه بأحوال البشر ، والانتقاص من أقدارهم وإبراز معايبهم والتشهير بنقائصهم ، والاستخفاف بهم فنجد هذه الأسرة تسخر من تلك الأسرة لقلة عددهم أو ضعف قوتهم أو فشوا الفقر بينهم ، وتجد هذا الموظف يحتقر ذلك الموظف لأنه لا يساويه فى المؤهل أو تحته فى الدرجة أو دونه فى العمل . وتجد هذا الإنسان ينظر إلى هذا الإنسان نظرة ازدراء أو يغمزه بعينيه غمزة استهزاء ؛ لأنه حافى القدم أو ممزق الثوب أو أفطس الأنف أو مقطوع الرجل أو مشوه الخلقة أو رث الهيئة ، وتجد الغنى يحتقر فقراء القرية أو الحى أو المدينة ، فيمشى بينهم متكبراً ويمشى بسيارته متغطرساً مستهزئً ، وإذا أدرت أن تنظر إلى مجتمع استهان بالإنسانية واحتقر شأن البشرية ، فانظر إلى مجتمع قدم إليه فقير أو دخل عليه مشوه الخلقة أو ذو هيئة رثة ، لرأيت كيف تقلص الاحترام وشاع الازدراء وبدت فى أفق المجلس علامات الاحتقار ، ورنت فى

الفضاء حركات الاستهزاء .

دع هذه الصورة لتنظر صورة أخرى فى حفل عام إذا قدم غنى أو رئيس هرول إليه الجميع وهشوا له وبشوا وتنافسوا فى تكريمه وتقديم الكرسى إليه . فإذا دخل فقير أو عامل أو فلاح أعرضوا عنه وأشاحوا بوجوههم دونه وتركوه متحيراً لا يدرى أين يجلس . دع تلك أيضاً ، وتأمل ثالثة من المأساة التى حلت فى مجتمعنا إذا دخل عجوز أو فقير إلى ديوان ليقضى مصلحة له فيقف أمام الموظف ذليلاً فلا يكلف الموظف رفع رأسه إليه ليسأله وإنما يعــرض عنــه ، بــل قـد يطرد ويُنهر ويُضرب باللكزات واللكمات واللعنات .

فإذا دخلت فاتنة هيفاء ميساء ألقيت الأقلام ورفعت الرؤوس وتحركت الأجسام احتراما لذى المقام والتفوا حولها يعرضون الخدمات ، ويقدمون التحيات ناهيك عن الشاى والمشروبات فمجتمع هذا شأنه يستعمل هذه الفوارق لا يكون مجتمعا صالحا ولا مجتمعا سليما ، إن هذا إلا ازدراء للبشرية وتحقير للإنسانية ، ولا يسعنا بعد ذكر تلك الصور الفاضحة لنا أمام الله إلا أن نتذكر هذه الكلمات القرآنية : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُواْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ * وَإِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُواْ فَكِهِينَ * وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلاَءِ لَضَالُّونَ * وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ * فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ * عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ * هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (١) .

عباد الله : علينا أن نتق الله ولنعلم جيدا أن ذوى العاهات ليسوا هم السبب فى عاهتهم وما جلبوها لأنفسهم إنما هى خلقة الخالق وصنعة الصانع ، الذي نادانا بقوله : ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (٢) .

فيا له من خطاب ينتظر منا التدبر والنظر والإمعان فاتقوا الله عباد الله ، واحفظوا ألسنتكم وأيديكم وأعينكم عن الإيذاء والضعفاء من خلق الله .

---

(١) سورة المطففين مرع الآية : ٢٩-٣٦ .
(٢) سورة لقمان الآية : ١١ .

وللحديث بقية بعد قليل - اسألوا الله من فضله غفر الله لى ولكم وتوبوا إليه .

الخطبة الثانية :

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الرحمة المهادة والنعمة المسداة صلاة وسلاماً عليه وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدين : أما بعد :

فيا أتباع سيدنا ومولانا محمد ﷺ .

لازلنا مع حضراتكم فى الحديث عن هذا الداء الخبيث ألا وهو داء السخرية بخلق الله وسنة النبى الخاتم سيدنا ومولانا محمد . قد بينت مدى جريمة احتقار الخلق الضعفاء وأنه ليس هناك فضل على هذا وذاك إلا بالتقوى والعمل الصالح . نعم فانظر إلى المصطفى ﷺ وهو يقول فى حديثه الشريف : «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله التقوى هاهنا ، التقوى هاهنا ويشير إلى صدره بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله**» [(١)] .

ولما كانت السخرية بخلق الله من أكبر أسبابها الكبر نجد المصطفى ﷺ يقول : «**لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر**» فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنا؟ فقال : «**إن الله تعالى جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس**» [(٢)] .

وفى رواية : «**ولكن الكبر من بطر الحق وازدرى الناس**» [(٣)] .

بطر الحق : دفعه ورده على قائله .

وغمط الناس : هو احتقارهم وازدراؤهم .

وهذا هو المصطفى ﷺ يقص علينا تلك القصة فيقول صلوات ربى وسلامه عليه :

---

(١) رواه مسلم والترمذى وأبو داود .

(٢) رواه مسلم والترمذى .

(٣) رواه الحاكم .

«قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان ، فقال الله عز وجل: من ذا الذى يتألّى علىّ أن لا أغفر له؟ إنى قد غفرت له وأحبطت عملك» [١] .

أيها المؤمنون: إن المتأمل فى هذه القصة يجد أن الذى دفع الرجل على قولها إنما هو احتقاره له واعتقاده بأنه أفضل من هذا الرجل ، ولا يعلم بالفاضل والمفضول إلا الله عز وجل الذى يعلم السر وأخفى .

ونمضى مع الحبيب المصطفى الأمين حيث يقول صلوات ربى وسلامه عليه: **«إن المستهزئين يُفتح لأحدهم فى الآخرة باب من الجنة فيقال له: هلم فيجىء بكربه وغمه ، فإذا جاءه أُغلق دونه ثم يفتح له باب آخر ، فيقال له: هلم هلم ، فيجىء بكربه وغمه فإذا جاءه أغلق دونه ، فما يزال كذلك حتى إن أحدهم يفتح له الباب من أبواب الجنة فيقال له: هلم ، فما يأتيه من الإ ياس»** [٢] .

ويقول ﷺ: **«إن الله عز وجل أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهلية وفخرها بالآباء ، الناس بنو آدم ، وآدم من تراب : مؤمن تقى وفاجر شقى ، لينتهين أقوام يفتخرون برجال إنما هم فحم من فحم جهنم ، أو ليكونن أهون على الله من الجُعلان التى تدفع النتن بأنفها»** [٣] .

فيا عباد الله: يا من تنظرون إلى الفقراء والضعفاء نظرة احتقار واستهزاء وسخرية ، اتقوا الله فى أنفسكم فإن الدنيا ما دامت لأحد على حال واحد ، فقد يصير الغنى فقيرا وقد يصير الفقير غنيا وفى الحقيقة لا غنى ولا قوى ولا عزيز إلا الله .

فاتقوا الله عباد الله ، ولا تحتقروا فقيراً من المسلمين فربما من تحتقرونه وهو فى نظركم حقير كان عند الله عزيزاً .

يا من تظلمون عمالكم اتقوا الله: واعلموا أنهم عباد الله مثلكم لولا نوائب الدهر وشدائد الأيام ، أسأل الله لى ولكم الهداية والتوفيق للعمل بما سمعنا . اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات وارض عن أصحاب رسول الله وعن التابعين ، وعن العلماء

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه البيهقى .

(٣) رواه أبو داود والترمذى وحسنه ، ورواه البيهقى بإسناد حسن أيضا .

العاملين اللهم وفق قادة البلاد إلى خير العباد . وارزقهم السداد واهدهم سبيل الرشاد ، اللهم إنا نسألك أن تنتقم من اليهود ومن عاونهم أعداءنا أعداء الدين وأعد إلى أيدينا وأيدى المسلمين المسجد الأقصى الأسير إنك حسبنا ونعم الوكيل .

عباد الله : غفر الله لى ولكم وهدانا جميعاً إلى طاعته واذكروا الله يذكركم .

وصلوا على الحبيب المصطفى تفلحوا وأقم الصلاة .

* * * * * * * * * * *

أقدار العلماء ومنزلتهم

الحمد لله رب العالمين رفع أهل العلم فى أعلى عليين ، وأشهد أن لا إله إلا الله جعل العلماء أشد خشية له فقال جَلَّ شأنه : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ .

وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله النبى الأمى الذى علم المتعلمين والرسول المصطفى الذى بعث الأمل فى قلوب اليائسين ، وعلمنا أن العلماء يستغفر لهم الخلق أجمعين حتى الحيتان فى الماء ، والطير فى الهواء صلاة وسلاما وبركة عليه وعلى آله وأصحابه أئمة العلماء والنور والضياء فرضى الله عنهم أجمعين .

أما بعد ،

فيا أتباع الحبيب المصطفى ﷺ فى هذه الجمعة نلتقى وإياكم حول قدر العلماء وما لهم من منزلة رفيعة عند الله ورسوله فى عصر انتقص الناس فيه من قدر العالم وأصبح العالم فيه محطا للسخرية وذلك من كل سفيه .

وإذا كنا قد تحدثنا فى الجمعة الماضية عن السخرية بخلق الله ، فإن السخرية بالعلماء هى أشد فظاعة وأكبر ذنبا بل إنها تجلب غضب الله عز وجل ؛ لذا فإن لنا مع العلماء أكثر من جمعة وما ذلك إلا لما نراه من استهزاء السفهاء بهم ، فنرى أحد الجهلاء يسخر من العلماء فيقول يا مشيخة ، وآخر يقول العالم يحللها على أى مذهب ، ومن قائل يقول سئل الشيخ عن الكلب يتبول على الحائط ، قال الشيخ : يهدم ويبنى سبع مرات فقيل له : إنه الحائط الذى بينى وبينك فقال الشيخ : " قليل من الماء يطهره " إلى آخر ما قالوه من زور وافتراء على العلماء وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وما رأينا أهل أى دين من الأديان الأخرى سخر برهبانه أو بعلمائه ، إنما يكنون لهم كل الاحترام والتقدير وهم يضحكون علينا عندما يرون أخلاقنا ، فهلا اتقينا الله فى علمائنا وحَسَّنَّا أخلاقنا اللهم إنا نسألك ذلك .

عباد الله ، لقد حفل القرآن الكريم وسنة البشير النذير برفعة العلماء وفضلهم ومنزلتهم فهيا بنا لنغوص فى بحار أنوارهما ونسقى من شرابهما فإنه شراب طهور .

ولنعش أولا مع الزاد الأول ألا وهو: كلام العلى الأعلى جل جلاله .

يقول عز من قائل : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ ﴾ [١] .

فانظر رحمك الله ، كيف بدأ سبحانه وتعالى بذاته العلية وثنى سبحانه بملائكته الكرام وثلث بمنارة العلم والإسلام ألا وهم العلماء فأين ذلك من المهازل التى نراها للعلماء .

ثم استمع إلى هذا النص الإلهى والذى يشيد بمنزلة العلماء إذ يقول عز من قائل : ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [٢] .

قال سيدنا الإمام عبد الله بن عباس رضى الله عنهما : "للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام ويقول جل شأنه : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾[٣] .

فانظر رعاك الله وهداك إلى الجليل جل جلاله ، حيث حكم سبحانه على العلماء حصن العلم ومنارة الإسلام بأنهم أشد عباده خشية له فهل تستهزئ بمن يخشى الله ويتقيه ؟ .

عباد الله ، ومن القرآن الكريم إلى حديث البشير النذير إذ يقول ﷺ: **«من يرد الله به خيراً يفقه فى الدين»** الحديث [٤] .

قال بعض أهل العلم : "من لم يفقه الله فى الدين فلم يرد الله به خيرا" .

ويقول الحبيب المصطفى ﷺ **«فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ليلة البدر ، العلماء ورثة الأنبياء إن الأنبياء لم يورثوا درهما ولا دينارا إنما**

---

(١) سورة آل عمران الآية : ١٨ .

(٢) سورة المجادلة الآية : ١١ .

(٣) سورة فاطر : ٢٨ .

(٤) رواه البخارى .

ورثوا العلم ، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر» (١) .

وعنه ﷺ أنه قال: **«فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى»** (٢) .

ويقول ﷺ: **«ليس منا من لم يُجل كبيرنا» وفى رواية: «ليس من أمتى من لم يُجل كبرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه»** (٣) .

أيها الأحباب وإذا كنا قد اغترفنا غرفة من أنوار الكتاب والسنة فى فضل العلماء فيحلوا لنا أن نغترف من بحار أنوار سلفنا الصالح فى مكانة العلماء ومنزلتهم .

فأعيرونى آذانا صاغية وقلوبا واعية وعقولا نيّره حتى نكرم بمدد سلفنا الصالح .

وأول تلك الآثار الطيبة ما قاله مولانا الإمام على رضى الله عنه: القلوب أوعية ، فخيرها أوعاها احفظ ما أقول لك ، الناس ثلاثة .

فعالم ربانى ، ومتعلم على سبيل النجاة .

وهمج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا إلى ركن وثيق .

العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم يزكو على العمل والمال تنقصه النفقة ، ومحبة العالم دين يدان بها ، العلم يكسب العالم الطاعة فى حياته وجميل الأحدوثة بعد موته ، وضيعة المال تزول بزواله .

مات خُزّان الأموال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقى الدهر ، أعيانهم مفقودة وأمثالهم فى القلوب موجودة ، هاه ، إن ههنا - وأشار بيده إلى صدره - علما لو أصبت له حملة !! بل أصبته لقنا غير مأمون عليه .

يستعمل آلة الدين للدنيا يستظهر بحجج الله على كتابه وبنعمه على عباده ، أو

---

(١) رواه ابن ماجه فى سننه .
(٢) رواه الإمام الترمذى وقال حديث حسن صحيح .
(٣) رواه أحمد بإسناد حسن والطبرانى والحاكم بلفظ: "ليس منا" .

منقادا لأهل الحق لا بصيرة له فى إحيائه ، يقتدح الشك فى قلبه بأول عارض من شبهة لا ذا ولا ذاك أو مفهوم باللذات ، سلس القياد للشهوات أو مغرى بجمع الأموال والإدخار وليس من دعاة الدين .

أقرب شبها بهما من الأنعام السائمة ، كذلك يموت العلم بموت حامليه اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة لئلا تبطل حجج الله وبيناته ، أولئك هم الأقلون عددا ، الأعظمون عند الله قدرا بهم يدفع الله عن حججه حتى يؤووها إلى نظرائهم ، ويزرعونها فى قلوب أشباههم ، هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فاستلانوا ما استوعر منه المترفون وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالملأ الأعلى ، أولئك خلفاء الله فى بلاده ودعاته إلى دينه هاه ، هاه ، شوقا إلى رؤيتهم واستغفر الله لى ولك إذا شئت فقم" [١] .

تلكم هى الموعظة الجامعة التى جمعت فأوعت وبينت فضل العلماء وقد أهداها الإمام لتلميذه كميل بن زياد .

ومن أقواله رضى الله عنه وكرم وجهه :

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم ::: على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه ::: والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففر بعلم تعش حيا به أبدا ::: الناس موتى وأهل العلم أحياء

ثانيا :

وسئل الإمام الجليل سيدنا عبد الله بن المبارك : من الناس ؟

فقال العلماء .

قيل : من الملوك ؟ قال : الزهاد ، قيل : فمن السِّفْلة ؟

قال : الذين يأكلون الدنيا بالدين .

ثالثا : يقول سيدنا الإمام فتح الموصلى - رحمه الله - :

(١) انظر حلية الأولياء ج١ ص ٧٩ ، ٨٠ .

أليس المريض إذا منع الطعام والشراب والدواء يموت ؟

قالوا : بلى . قال : كذلك القلب إذا منع عنه الحكمة والعلم ثلاثة أيام يموت :

يقول حجة الإسلام الإمام الغزالى - رحمه الله تعالى - معلقا :

"ولقد صدق ، فإن غذاء القلب العلم والحكمة وبهما حياته ، كما أن غذاء الجسد الطعام ، ومن فقد العلم فقلبه مريض وموته لازم ولكنه لا يشعر به ، إذ حب الدنيا وشغله بها أبطل إحساسه ، وكما أن غلبة الخوف قد تبطل ألم الجراح فى الحال وإن كان واقعا ، فإذا حط الموت عنه أعباء الدنيا أحس بهلاكه وتحسر تحسرا عظيما ، ثم لا ينفعه وذلك كإحساس الآمن خوفه ، والمفيق من سكره بما أصابه من الجراحات فى حالة السكر أو الخوف ، فنعوذ بالله من يوم كشف الغطاء فإن الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا " (١) .

رابعا : ويقول الإمام الحسن رضى الله عنه : " يوزن مداد العلماء بدم الشهداء فيرجح مداد العلماء بدم الشهداء " (٢) .

خامسا : ومن وصايا لقمان لولده : " يا بنى جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن الله سبحانه يحيى القلوب بنور الحكمة كما يحيى الأرض بوابل السماء" (٣) .

فياعباد الله ، تأملوا فى ما سمعتم فى بيان منزلة العلماء وأعطوا العالم حقه ، ولعل قائلا يقول : ما حق العالم؟ هذا ما سوف نعيش معه بعد جلسة الاستراحة غفر الله لى ولكم .

واسألوا الله العظيم من فضله .

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على القوم الظالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا ومولانا محمدا عبده

(١) انظر إحياء علوم الدين ج١ ص ٨ .
(٢) انظر الحقوق الإسلامية ص ٦٤٥ .
(٣) انظر المرجع السابق نفس الصفحة .

ورسوله الصادق الوعد الأمين ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد ،

فيا عباد الله :

كانت هذه طائفة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والآثار القيمة من سلف الأمة يبقى لنا بعد ذلك أن نعلم حقوق العلماء حتى نكون بها ملتزمين والله المستعان .

عباد الله : من المعلوم أن للعلماء حقوقًا علينا كثيرة فمنها :

أولا : أن نحفظ مكانتهم ونتأدب معهم .

نعم فإن فى معاملة سلفنا الصالح لعلمائهم قدوة لنا يجب الاقتداء بها ، فهذا مثلا الإمام الشعبى نراه يحكى لنا فيقول رضى الله عنه : صلى زيد بن ثابت على جنازة ثم قربت له بغلة ليركبها فجاء ابن عباس فأخذ بركابه فقال له زيد :

خل عنه يا ابن عم رسول الله ﷺ .

فقال ابن عباس : هكذا يفعل بالعلماء [1] .

وعن أيوب رضى الله عنه قال : " كان الرجل يجلس إلى الحسن ثلاث سنين فلا يسأله عن شىء هيبة له " .

وكان الإمام يحيى القطان يصلى العصر ذات يوم ثم يستند إلى أصل منارة المسجد فيقف بين يديه ، على بن المدينى ، وعمرو بن على ، وأحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، وغيرهم يسألونه عن الحديث - وهم قيام على أرجلهم - إلى أن تحين صلاة المغرب لا يقول لواحد منهم اجلس ، لا يجلسون هيبة له وإعظاما ، فأين ذلك مما نحن فيه اليوم من تحقير العلماء واستفتائهم عن أمور الدين فى الشوارع إذا ما قوبل العالم مصادفة؟ .

---

(١) أخرجه الطبرانى والبيهقى فى " المدخل " والحاكم وقال : صحيح الإسناد على شرط مسلم .

أرجو أن نتدبر هذا الموقف الجليل .

وليتنا نكف عن رمى العلماء بالضلال واجتناب جدالهم ، وعلو الصوت عليهم فلعمرى لو أننا اتقينا الله فيهم ، لكان ذلك خيرا لنا جميعا إن شاء الله ، وانظر يا أخى المسلم إلى أحد سلفنا الصالح وهو ابن الخياط يمدح الإمام مالك بن أنس مفتى الحرمين وفقيه أهل الحجاز فيقول :

يدع الجواب فلا يُرَاجع هيبة ::: والسائلون نواكسُ الأذقان
نور الوقار وعزّ سلطان التقى ::: فهو المهاب وليس ذا سلطان

فأين ذلك يا أخى مما يقع منا الآن من سؤال العلماء ثم نعترض على جوابهم وفتواهم؟ ولنسأل آخر هذا السؤال وربما كان المفتى الآخر أقل علما من الذى أفتانا فتألى عليه نفسه أن يقول : الله أعلم ، فإذا به يجيبك بإجابة أخرى تطيب لها نفسك ويميل إليها هواك فترمى العالم الآخر بالجهل ؛ لأنه أجابك بما يخالف هواك نسأل الله أن يشرح صدرونا إلى اتباع الحق ، ولو أننا تتبعنا الآثار الواردة فى هذا الحق لطال بنا المقام ، ولكن فى هذا القدر كفاية لمن أراد التوفيق والهداية ، وعلى جناح السرعة ننتقل إلى الحق الثانى من حقوق العلماء ألا وهو كف ألسنتنا عن الوقوع فيهم .

وفى هذا الحق يقول الإمام الحافظ ابن عساكر - رحمه الله تعالى :

" اعلم يا أخى وفقنى الله وإياك لمرضاته وجعلنى وإياك ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته : أن لحوم العلماء مسمومة وعادة الله فى هتك أستار منتقصهم معلومة ، وأن من أطلق لسانه فى العلماء بالسلب بلاه الله قبل موته بموت القلب ، قال تعالى : ﴿ **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [1] .

واعلم أن النيل من العلماء وانتقاصهم والحط من أقدارهم يعد إعراضا أو تقصيرا فى تعظيم شعيرة من شعائر الله ، وما أبلغ قول بعض العلماء : " أعراض العلماء على حفرة من حفر جهنم " .

---

(١) سورة النور الآية : ٦٣ ، وانظر التبيان للإمام النووى ص ٢٥

ولنا بإذن الله تبارك وتعالى فى هذا الأمر وقفة فى الجمعة القادمة إن شاء الله تعالى .

أما الحق الثالث يا عباد الله ، فهو : أن نحسن الظن بعلمائنا ، إذ لا حرج على العالم إذا اجتهد فأخطأ فليس من شروط العالم أن يصيب أبدا فلكل جواد كبوة ، وكما قيل : كفى بالمرء نبلا أن تعد معايبه ، وإقالة عثرة العالم من حق العلماء علينا :

قال سيدنا عمر رضى الله عنه : " لا تظن بكلمة خرجت من أخيك المسلم سوءا وأنت تجد لها فى الخير محملا " .

لكن لا يتابع على اجتهاده الخاطئ ، وفى نفس الوقت لا ينتقص من قدره ، وعلى كل حال يجب على طلاب العلم والناس أجمعين : أن يكفوا ألسنتهم عن الولوغ فى أعراض العلماء ، بل الواجب : الذب عن أعراضهم وإظهار فضلهم على هناتهم وهفواتهم حملة الرسالة وورثة الأنبياء ، ومن كف لسانه عنهم فقد سلك سبيل النجاة ، فعن سيدنا عقبة بن عامر رضى الله عنه قال : يا رسول الله ما النجاة ؟ قال : **«أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك»** (١) .

وكيف ننتقص العلماء بألسنتنا ونسيء الظن بهم وهم رحمة لنا وحصن لنا من النار؟ نعم يقول الإمام يحيى بن معاذ الرازى رضى الله عنه : " العلماء أرحم بأمة محمد ﷺ من آبائهم وأمهاتهم قيل وكيف ذلك ؟ قال : لأن آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الآخرة " (٢) .

عباد الله ، كانت هذه أهم وأبرز حقوق العلماء ولنا مع العلماء وقفة فى الجمعة القادمة كما وعدناكم ؛ لنعرف خطورة انتقاصهم لعلنا نتقى الله فيهم فإلى الملتقى فى الجمعة القادمة بمشيئة الله تعالى ، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ، اللهم احفظ علينا ديننا ولا تجعل مصيبتنا فى ديننا وارحم علماءنا واحفظهم لنا يا حفيظ ، ووفقنا إلى اتباعهم والسير على منوالهم ، وجنبنا

---

(١) رواه الإمام الترمذى وقال حديث حسن .

(٢) انظر إحياء علوم الدين ج١ ص ١١ .

النيل منهم . اللهم وفق ولاة أمورنا إلى كل ما تحبه وترضاه .

عباد الله : أوصيكم ونفسي بتقوى الله وطاعته ، وأحذرني وإياكم عصيان ومخالفة أمره . ورزقني وإياكم تقدير العلماء وحبهم . واذكروا الله يذكركم واستغفروه يغفر لكم واسألوه يزدكم وصلوا على الحبيب تفلحوا .

وأقم الصلاة .

****

خطورة انتقاص العلماء

الحمد لله رب العالمين جعل العلماء حصنا لنا من النار ، وأكرمنا بهم فى الدنيا والآخرة ، فالخير والفضل لمن زاحمهم وأحبهم واتبعهم ، والشر كل الشر لمن انتقصهم وأبغضهم ونال منهم وحط من شأنهم .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إن تطيعوه فلا تنفعوه وإن تعصوه فلا تضروه وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله أمير العلماء وإمام الأئمة الأتقياء اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وأعطنا الخير وادفع عنا الشر ونجنا واشفنا يا رب العالمين .

أما بعد ،

فيا أتباع سيدنا ومولانا محمد ﷺ ،

فى هذا الزمان الغابر انتشرت الفتن وعمت المصائب واتجه الناس شرقا وغربا إلى نسيان حقوق من حُمِّلوا رسالة السماء ، ومن كلفوا بشرع الله ، ففضلا عما قلناه فى الجمعة الماضية من انتقاص العامة للعلماء ، نجد فئة أخرى ادعت العلم ونصر السنة واتباع السلف الصالح وأخذوا يحطون من شأن الأئمة الأربعة ويرمون مقلديهم بالضلال والإضلال قائلين: لا تقولوا قال الإمام مالك قال الإمام الشافعى قال الإمام أبو حنيفة قال الإمام أحمد قال أصحابهم ولكن قولوا قال الله وقال رسول الله .

ونسوا هؤلاء أن الحبيب المصطفى ﷺ قد قال: **«إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوسا جهالا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»** [(١)] .

ويعلم الله ، أن الأئمة الأربعة وأصحابهم هم الذين بينوا لنا فهم الكتاب العزيز وسنة البشير النذير ، بل وجدنا كتاب فقه السنة فى باب صلاة الجمعة عند الحديث عن العدد الذى تنعقد به الجمعة بعد ذكره للآراء ، رمى صاحب الكتاب أصحاب هذه

---

(١) رواه البخارى ج١ ص ١٧٤ ، ص ١٧٥ ورواه مسلم .

الآراء بأنها مذاهب زائفة وأقوال باطلة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وهذه مجلة : "التوحيد" تندد بمن يعتمد فى فهم أمور دينه على من يعتمد على الحواشى والشروح الفقهية فى كل مذهب ، وبهذا اكتسب شبابنا أفكارا مسمومة وجدالا أعمى وجهلا عريضا ، وبذلك قتل الشباب فكريا لأنه زُرع فى قلبه بغض السلف الصالح ومنهم الأئمة المجتهدين ، من أجل ذلك رأيت لزاما على أن أفرد لهذه القضية والجهل العنيد حديثا فى هذه الجمعة .

عباد الله : مما لاشك فيه أنَّ الأئمة المجتهدين هم أولياء الله بفضله عز وجل وقد قال جل شأنه فى الحديث القدسى الجليل : **«من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب»** (١) .

والمتأمل فى هذا الحديث القدسى يجد أن هذه الفئة التى آذت الأئمة والعلماء أولياء الله فى منزلة من أكل الربا ؛ لأن آكل الربا إنما هو يحارب الله عز وجل ، وكذلك معادات الأولياء إنما هى حرب على الله نعوذ بالله من ذلك .

وصدق سيدنا عبد الله بن عباس إذ يقول : " من آذى فقيها فقد آذى رسول الله ﷺ ، ومن آذى رسول الله ﷺ فقد آذى الله عز وجل " (٢) .

وصدق الإمام أبو حنيفة إذ يقول : " إن لم يكن الفقهاء أولياء الله فليس لله ولى" وكذلك قال الإمام الشافعى : إن لم يكن الفقهاء أولياء الله فى الآخرة فما لله ولى " (٣) .

ويقول سيدنا عكرمة رضى الله عنه : "إياكم أن تؤذوا أحداً من العلماء فإن من آذى عالماً فقد آذى رسول الله ﷺ" (٤) .

واعلم أخى المسلم ، أن العلماء عصمة للأمة من الضلال وهم سفينة نوح ، من تخلف عنها لاسيما فى زمان الفتن - كان من المفرقين ، وأذكرك بالحديث النبوى السابق مرة ثانية ، فعن سيدنا عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **«إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض**

(١) رواه البخارى .
(٢) ذكره صاحب كتاب " لحوم العلماء مسمومة" ص ١٢ ، ١٣ .
(٣) انظر الفقيه والمتفقة ج١ ص ٣٦ .
(٤) انظر الأعلام بحرمة أهل العلم والإسلام ص ٧٥ .

العلماء حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوساً جُهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»(١).

واعلم أخى المسلم أنه لا يجوز بحال لعامى أن يترك تقليد الأئمة الأربعة ويأخذ الأحكام من القرآن والأحاديث ، لأن ذلك له شروط كثيرة مبينة فى الأصول لا توجد هذه الشروط فى أغلب العلماء ولاسيما فى آخر هذا الزمان الذى عاد الإسلام فيه غريبا كما بدأ غريبا . ولأن كثيرا من القرآن والأحاديث ما ظاهره صريح الكفر ولا يعلم تأويله إلا الله تعالى والراسخون فى العلم ، قال سيدنا سفيان بن عيينه رضى الله تعالى الله عنه الحديث مضلة إلا للفقهاء(٢).

يريد رضى الله عنه أن غيرهم قد يحمل الشىء على ظاهره وله تأويل من حديث غيره ، أو دليل يخفى عليه أو متروك أوجب تركه غير شىء مما لا يقوم به إلا من استبحر وتفقه ليس من الكتب إنما على يد عالم جليل .

ورضى الله عن الإمام مالك بن أنس حيث يقول: " إنما فسدت الأشياء حين تعدى بها منازلها وليس هذا الجدل من الدين بشىء "(٣).

ويقول الإمام عبد الرحمن بن مهدى رضى الله تعالى عنه: السنة المتقدمة من سنة أهل المدينة خير من الحديث ، وقال الإمام مالك رضى الله عنه: العمل أثبت من الأحاديث قال: من يقتدى به ؟ وإنه لضعيف أن يقال فى مثل ذلك حدثنى فلان عن فلان وكان رجال من التابعين تبلغهم عن غيرهم الأحاديث فيقولون: ما نجهل هذا ولكن مضى العمل على غيره ، وكان محمد بن أبى بكر بن جرير بما قاله أخوه لم لَمْ تقض بحديث كذا ، فيقول لم أجد الناس عليه ، ويرضى الله عن الإمام النخعى حيث يقول: "لو رأيت الصحابة رضى الله عنهم يتوضؤون إلى الكوعين لتوضأت كذلك وأنا أقرأها إلى المرافق وذلك لأنهم لا ينتهون فى ترك السنن وهم أرباب العلم وأحرص

---

(١) متفق عليه .
(٢) انظر فتاوى سيدى محمد عليش ج١ ص ٩٠ .
(٣) انظر المرجع السابق ص ٩٠ .

خلق الله على اتباع رسول الله ﷺ . ولا يظن ذلك بهم أحد إلا ذو ريبة فى دينه [١] .
فتأمل يرحمك الله ما قال الإمام إبراهيم النخعى وعُد إلى صوابك ، وإياك أن تنتقص إماماً فقيهاً مجتهداً أكرمه الله بالولاية وخذوا العلم عن أربابه من أهل العلم ؛ فإن التلقى عن العلماء سنة محمودة ، أما التلقى عن الكتب والصحف والمجلات من غير العلماء إنما سنة مذمومة ، بل إنها بدعة ضلال . والذى يأخذ عن الكتب والصحف قد يقرأ حديثا وقد يفهمه الشيطان هذا الحديث فهما باطلا ومعنى غير المراد من هذا الحديث ، ولذا قيل : "من لا شيخ له فشيخه الشيطان " ورضى الله عن الإمام الطحاوى الذى قال فى عقيدته : "وعلماء السلف من السابقين ، ومن بعدهم أهل الخير والأثر وأهل الفقه والنظر لا يذكرون إلا بالجميل - ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل " [٢] .

وقال الإمام عبد الله بن المبارك : "من استخف بالعلماء ذهبت آخرته ، ومن استخف بالأمراء ذهبت دنياه ومن استخف بالإخوان ذهبت مروءته" [٣] .

وقال الإمام أحمد بن الأذرعى : "إذا كان طالب العلم قبل أن يتعلم مسألة فى الدين يتعلم الوقيعة فى الناس ، متى يفلح؟" .

وعن جعفر بن سليمان قال : سمعت مالك بن دينار يقول : "كفى بالمرء شراً أن لا يكون صالحاً وهو يقع فى الصالحين" [٤] . والطاعنون فى العلماء لا يضرون إلا أنفسهم وهم يستجلبون لها بفعليتهم الشنيعة أخبث الأوصاف : ﴿ **بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ [٥] .

وهم من شرار عباد الله ، بشهادة رسول الله ﷺ ، فعن عبد الرحمن بن غنم يبلغ به النبى ﷺ قال : «**خيار عباد الله الذين إذا رُؤوا ذكر الله ، وشرار عباد الله المشاءون**

---

(١) انظر فتح العلى المالك ج١ ، ص ٩٠ .
(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية ج ٢ ص ٧٤٠ .
(٣) انظر سير أعلام النبلاء ج١ ، ص ٤٠٨ .
(٤) انظر شعب الإيمان للبيهقى ج٥ ، ص ٣١٦ .
(٥) سورة الحجرات الآية : ١١ .

بالنميمة المفرقون بين الأحبة الباغون للبراء العنت» [١] .

وهم مفسدون فى الأرض قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [٢] .

وهم متعرضون لاستجابة دعوة العالم المظلوم عليهم ، فدعوة المظلوم ولو كان فاسقاً - ليس بينها وبين الله حجاب فكيف بدعوة ولى الله الذى قال فيه : «**ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه؟**» [٣] .

قال الإمام الحافظ أبو العباس الحسن بن سفيان لمن أثقل عليه : " ما هذا ؟ قد احتملتك وأنا ابن تسعين سنة فاتق الله فى المشايخ فربما استجيبت فيك دعوة " [٤] .

فاتقوا الله عباد الله والزموا حدودكم مع العلماء واعلموا أنه لا ينتقصهم إلا ناقص وعلى شبابنا أن يأخذوا أمور دينهم من فقه الأئمة الأربعة على يد العلماء فإن فى ذلك الخير كله ولنا لقاء بعد جلسة الاستراحة .

سلوا الله من فضله إن ربى جواد كريم ، .

الخطبة الثانية :

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه فى الملأ الأعلى إلى يوم الدين .

أما بعد ،

فيا عباد الله :

هناك أسباب أدت إلى السخرية بالعلماء وانتقاصهم وقبيل التنبيه إلى هذه الأسباب ، أورد افتراء افترأته العامة من الناس على إمام السنة سيدنا ومولانا الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى ، ومن المعلوم أن الإمام أحمد وهو أحد الأئمة الأربعة ، وهو تلميذ الإمام الشافعى ولكنه لم يسلم فى حياته وبعد انتقاله إلى الدار الآخرة من

---

(١) رواه الإمام أحمد فى مسنده .
(٢) سورة يونس الآية : ٨ .
(٣) رواه البخارى فى صحيحه وابن ماجه .
(٤) انظر سير أعلام النبلاء ج١٤ ص ١٥٩ .

الافتراءات الكاذبة ، فكثيرا ما كنا نسمع ونحن تلاميذ صغار عن الإمام أحمد أنه يقول: " إذا مر خيال الكلب على إنسان نجس هذا الإنسان ، وهى لا تزال تتردد على ألسنة العامة حتى الآن ، ويا لها من شائعة وأكذوبة باطلة ، وأحب أن أبين للناس أن الأحكام الفقهية لا يقولها الفقيه من هوى نفسه ، إنما لابد من أدلة قرآنية أو نبوية أو من الصحابة ولم يثبت فى الكتاب العزيز ولا فى سنة البشير النذير ولا عن الصحابة والتابعين أن خيال الكلب ينجس أحدا ولم يقله الإمام أحمد ولا أحدًا من تلاميذه ولا علماء مذهبه ، وبالتالى نفيه الأئمة الأربعة ، إنما هذا القول منكرا من القول وزورا ومعاذ الله أن يقول أحد من الأئمة الأعلام بمثل ذلك فاتقوا الله عباد الله واعلموا أننا جميعا موقوفون للحساب أمام الجبار جل جلاله .

أما الآن فهيا بنا لنتعرف على أهم الأسباب التى أدت للسخرية وانتقاص العلماء وعلى كل حال هى بجملتها: الانحراف عن هدى السلف الصالح فى التربية والتأديب والتعليم والتهذيب ، أما بيانها فإليك ذلك بفضل الله تعالى:

أولا : تشييخ الصحف وافتقاد القدوة :

فقد كان سلفنا الصالح رضوان الله عليهم يمنعون من كانت وسيلته إلى الفقه الكتب من الفتوى ، ومن التدريس ، كما يمنعون من تلقى القرآن من المصحف من الإقراء .

ومن ثم فقد قال الإمام أبو زرعة: " لا يغنى الناس صُحُفِىٌّ ولا يقرئهم مصحفى "[1] .

وقد قيل: " المجذوب: هو من لا شيخ له " .

وقيل أيضا: "من كان شيخه كتابه فخطؤه أكثر من صوابه " وقال بعضهم: **«من أعظم البلية تشييخ الصحيفة»** .

ويقول مولانا الإمام الشافعى رحمه الله: "من تفقه من بطون الكتب ضيع الأحكام" .

(١) انظر الفقيه والمتفقه ج٢ ص ٩٧ .

وصدق القائل :

من يأخذ العلم عن شيخ مشافهة ::: يكن من الزيغ والتحريف فى حرم

ومـــن كان أخذه للعلم عن كتب ::: فعلمه عند أهل العلم كالعــــدم

فأين ذلك مما نراه الآن من فتاوى شاذة حرمت وكفرت مجتمعنا بدون حق وبرهان . إنما أجازوا ذلك لأنفسهم من كتب قرأوها وظنوا أنهم بذلك أنهم حجة الله فى أرضه ، ما جلسوا للتلقى على يد عالم من العلماء ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم واكتفوا بقراءة كتب ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وفقه السنة والسنن والمبتدعات ونظائرها من الكتب ، ومن ثم أدخلوا الناس النار وجعلوهم فى صفوف الكفار فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وإلى هؤلاء جميعاً ومن فتنوا بهم أسوق إليهم قول الإمام ابن جماعة رحمه الله :

وليجتهد على أن يكون الشيخ ممن له على العلوم الشرعية تمام الاطلاع ، وله مع من يوثق به من مشايخ عصره كثرة بحث وطول اجتماع ، لا ممن أخذ عن بطون الأوراق ، ولم يُعرف بصحبة المشائخ الحذاق.اهـ [1] .

وقال سيدنا الإمام أبو حامد الغزالى رضى الله عنه :

" اعلم أنه ينبغى للسالك شيخ مرشد مرب ليخرج الأخلاق السيئة منه بتربيته ويجعل مكانها خلقا حسنا ، ومعنى التربية يشبه فعل الفلاح الذى يقلع الشوك ويخرج النباتات الأجنبية من بين الزرع ؛ ليحسن نباته ويكمل ريعه ولابد للسالك من شيخ يربيه ويرشده إلى سبيل الله تعالى [2] اهـ .

أرجو أن ندرك ذلك تماما ونتجه إلى التلقى من أفواه العلماء العارفين وهم بكثرة والحمد لله رب العالمين .

ولنتذكر قول إمام الحرمين :

---

(١) انظر تذكرة السامع والمتكلم ص ٨٧ .
(٢) انظر رسالة "أيها الولد" ص ١٢٨ .

أخـــي لـــن تـــنال العـــلم إلا بستة ::: ســـأنبيك عـــن تفصـــيلها بـــيان
ذكـــاء وحـــرص وافتقـــار وغربة ::: وتلقيـــن أستـــاذ وطـــــول زمـــان

أما السبب الثانى فهو:

استعجال التصدر قبل تحصيل الحد الأدنى من العلم الشرعى بحجة الدعوة .

نعم يا عباد الله :

إن من الأخطاء التى ينبغى التنبيه عليها فى مسألة الفقه . فصل الدعوة عن العلم . وهذه توجد فى الشباب أكثر من غيرهم . يقولون (مثلا) : الدعوة شىء والفقه فى الدين شىء آخر . فلذلك نجد أن بعض الشباب يهتم بالدعوة عمليا ويبذل فيها جهده ووقته . ولكن تحصيله للفقه والعلم الشرعى قليل جدا مع أن العكس هو الصحيح ينبغى أن يتعلم وأن يتفقه ، وأن يأخذ العلوم الشرعية ثم يدعو . ولا مانع أن يؤجل الدعوة سنة أو سنتين أو خمسا حتى يشتد عوده ويكون عنده من العلم الشرعى ما يدعو به . أما أن يبدأ بعض الشباب بالدعوة لله سبحانه وتعالى بمجرد العاطفة وعلم قليل ثم ينقطع عن العلم وعن المشايخ فهذه على المدى البعيد سيكون لها أثرها الخطير فى الأمة . سيخرج دعاة لا علماء كما حصل فى البلاد الإسلامية الأخرى اهـ .

أما السبب الثالث فهو: التعالم وتصدر الأحداث :

فترى من صريع الجهل متشعبا بما لم يعط بنصيب نفسه مرجعا للفتيا . ويتملكه العجب فيلمز أكابر العلماء ويفرى أعراضهم ويسفه أقوالهم ، حتى بلغ من بعضهم أنه رمى أقوال الأئمة الأربعة ووصفها بأنها أقوال زائفة ومذاهب باطلة ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وكثيرا ما وجدنا مصنفات تنهى الناس عن قراءة الحواشى والشروح الفقهية فضلا عن تقليد المذاهب الأربعة ، ويرون أن فى تقليدهم ضلال وإضلال وهذا ما نادت به بعض المجلات فإنا لله وإنا إليه راجعون .

أما السبب الرابع يا عباد الله فهو: الاغترار بكلام العلماء بعضهم فى بعض:

فيحاول بعضهم اعتبار ذلك موضع أسوة وقدوة غافلا عن القاعدة الجليلة التى

أصّلها العلماء فى ذلك وهى أن: " كلام الأقران فى بعضهم البعض يطوى ولا يحكى" ، إما لأنه ناشئ عن اجتهاد أو تأويل وإما لأنه ناشئ عن تنافس ومعاصرة ومنافرة مذهبية واللائق بنا البعد عن ذلك إلا أن يكون المتكلم عنه قد خالف إجماعا أو تطاول على الأكابر من العلماء .

أما السبب الخامس :وهو جهل المنتقدين بأقدار من ينتقدونهم من العلماء :

مثل الجهلة والشباب المغرور الذين جرفهم تيار الزندقة فتطاولوا على الأئمة الأربعة وغيرهم من الأئمة الذين يقتدى بهم من علماء الأزهر المعمور حفظه الله .

أما السبب السادس : فهو التأثر بفوضوية الغربيين ونعراتهم :

ويتضح هذا فى الحديث الشريف الذى بين فيه رسولنا الأعظم ﷺ أن رجل الشارع يسمى بالرويبضة ويجعل إقحامه فى القضايا العامة المصيرية من أشراط الساعة ، فعن سيدنا أبى هريرة رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ : **«سيأتى على الناس سنوات خداعات يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق ويؤتمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين وينطق فيها الرويبضة»** قيل: وما الرويبضة؟ قال: **«الرجل التافه يتكلم فى أمر العامة»**[1] .

وهذا يا عباد الله ما نعيشه من تفاهة نراها تتمثل فى تحريم أمور لا نصّ على تحريمها مثل: المسبحة وحرماً وزمزم والمصافحة عقيب الصلاة والصور الفوتغرافية والصلاة فى مسجد فيه ضريح والصلاة على النبى بعد الأذان وترك توقيره والتأدب مع رسول الله فى التشهد ، واتخذنا من هذه الأمور هى أصل لديننا وغضضنا البصر عن أمور لم يختلف العلماء فى تحريمها كـ: "سَبِّ الدين ، والتعامل بالربا ، وشرب الخمور ، والزنا ، واللواطة وغيرها من الأمور المتفق على تحريمها: ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

أما السبب السابع فهو: استثمار المغرضين لزلات العلماء:

ولأهمية هذا السبب نقول:

---

(١) أخرجه ابن ماجه والحاكم والإمام أحمد .

إن الحكم على زلة العالم هو من وظائف المجتهدين: فهم العارفون بما وافق أو خالف وأما غيرهم فلا تتميز لهم فى هذا المقام .[١]

وصدق الإمام محمد بن سيرين إذ يقول رضى الله عنه: " ظلم لأخيك أن تذكر منه أسوأ ما تعلم وتكتم خيره "[٢] .

عباد الله ، وإذا ما أمعنا النظر فيما قاله الإمام ابن سيرين فإنه والله لهو الحق الذى يجب المصير إليه فقول العالم من الكتاب والسنة .

وكلام الصحابة والأئمة ينفعك ، أما فعله فإن كان مطابقا لقوله فإنه ينفعك أيضا وإن كنت تراه من وجهة نظرك لا يتفق مع الكتاب والسنة فلا تعبأ به فإنه لا يضرك بل يضره هو إن كانت وجهة نظرك صحيحة .

إذن فعليك أن تأخذ بقوله ولا تتبع زلاته فإن فى ذلك انحطاط لقدر العالم ، فاتقوا الله عباد الله ولا تتبعوا زلات العلماء حتى تتهموهم بالنقص ، وربما كان الذى بينهم وبين الله خير عظيم وصلاح لا يعلمه إلا الله القائل جل جلاله: ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾[٣] .

عباد الله إن الدافع من انتقاص العالم والتتبع لزلاته ربما كان الحقد وهذا الحق الدافع له أمور: إما أن يكون هذا العالم متحدثا عما يقع فيه العامة من عيوب لإنكار الميراث للورثة وأكل مال اليتامى والربا وفعل الزنا وترك الصلاة وغير ذلك من الرذائل والمعاصى التى يرتكبها الأعيان من عامة الناس وربما كان الباعث على الحقد فقر العالم مادياً ، فإن بعض الأغنياء من العامة إنما يكون عندهم الحقد على مثل هذا العالم لفشله فى تربية أولاده وعجزه على تعليم ابنه مثل هذا العالم الفقير ، وقد يكون هذا الحقد منشئه الشباب المتهور تلميذ الأوراق ، فهو يضحك على العامة ويجعلهم يقعون فى العلماء ، والحقد بشتى صوره التى ذكرناها مذموم فعلينا أن نتعقل ونجتنب السخرية

---

(١) انظر الموافقات للإمام الشاطبى ج٥ ص ١٣٩ .

(٢) انظر البداية والنهاية ج٩ ص ٢٧٥ .

(٣) سورة طه الآية: ٧ .

بالناس عامة وبالعلماء خاصة ولتتذكر قول أحد الصالحين: " إذا أردت أن تعرف عند الله مقامك فانظر فيما أقامك ، فإن الله أقام العباد فيما أراد ومن كان صالحا فلنفسه ومن كان غير صالح فالتبعة عليه" .

اللهم ارفع مقتك وغضبك عنا ، ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا ، اللهم طهر قلوبنا من النفاق وامنحنا بفضلك رضاك ، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ووفق ولاة أمورنا من العلماء والحكام إلى ما فيه الخير للعباد والبلاد .

عباد الله ، ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ اذكروا الله يذكركم وصلوا على الحبيب المصطفى تفلحوا وأقم الصلاة .

* * * * * * * * * *

الحض على الصدق واجتناب الشائعات

الحمد لله القوى المتين الذى نادانا بالصدق فقال: ﴿ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يحب الصدق والصادقين ويبغض الكذب والكذابين وأشهد أن سيدنا محمدا الصادق الوعد الأمين ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أصدق الناس حديثا وأطهرهم ألسنة وقلوبا فرضى الله عنهم وأرضاهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ،

فيا أتباع سيدنا ومولانا محمد عليه الصلاة والسلام .

لما كان الكذب هو سلاح المنافقين وفاكهة المضلين ، أردنا بفضل الله تعالى أن يكون الحديث اليوم عن الصدق واجتناب الكذب والمتمثل فى أعظمه جرما ألا وهو الشائعات التى هى خطر على الفرد والمجتمع ، وقانى الله وإياكم شر التكذيب بآياته ووفقنا جميعا إلى ما يحبه ويرضاه .

ولنبدأ أولا بحض الكتاب العزيز وسنة البشير النذير على الصدق لتعرف قيمته وفضله ومزاياه العالية العلية فتمسك به .

فنقول وبالله التوفيق .

فالصدق يا عباد الله من أهم صفات المتقين ، وقد أمرنا الحق تعالى أن نكون مع الصادقين فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾[1] .

ومدح الله تعالى الصدق وأهله فقال عن سيدنا إسماعيل عليه وعلى سيدنا محمد أفضل الصلاة وأزكى التسليم فقال سبحانه : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا * وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾[2] .

---

(١) سورة التوبة الآية : ١١٩ .

(٢) سورة مريم الآية : ٥٤ ، ٥٥ .

ومدح الله المؤمنين على صدقهم وأعد لهم مغفرة وأجرا عظيما فقال: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [1] .

هذا بعض ما نطق به الكتاب الخالد أبد الدهر عن الصدق والصادقين فماذا من سنة البشير النذير؟ إن هناك الكثير والكثير من حديث البشير النذير والتى حضت على الصدق فمن ذلك ما قاله ﷺ فى حديثه الشريف: **«عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدى إلى البر ، وإن البر يهدى إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا»** [2] .

ومن المعلوم يا عباد الله أن الصديقية درجة دون درجة النبوة وفوق درجة الشهادة قال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾ [3] .

ويقول صلوات ربى وسلامه عليه: **«دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة»** [4] .

وقد بلغ من اهتمام الإسلام بالصدق والحث عليه والترغيب فيه أن أمر المسلمين أن ينشئوا صبيانهم من الصغر على الصدق فإذا وعد الرجل ولده وعداً وجب عليه أن يفى بوعده وإن أخبره خبراً أوجب عليه أن يصدقه حتى ينشأ الصغار من صغرهم متعودين على الصدق محبين له . فعن سيدنا عبد الله بن عامر قال: نادتنى أمى فقالت: تعال أعطك ، ورسول الله قاعد فى بيتنا ، فقال ﷺ : **«ما أردت أن تعطيه؟»** قالت:

---

(١) سورة الأحزاب الآية: ٣٥ .

(٢) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى .

(٣) سورة النساء الآية: ٦٩ .

(٤) رواه الإمام الترمذى .

أردت أن أعطيه تمراً ، فقال ﷺ: **«إما إنك لو لم تعطه لكتبت عليك كذبة»** [(١)] .

كما بلغ من اهتمام الإسلام بالصدق أن حث أتباعه على الصدق فى جميع المعاملات فقال ﷺ: **«البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما فى بيعهما وإن كتما وكذبا محت بركة بيعهما»** [(٢)] .

ويقول صلوات ربى وسلامه عليه : **«تحروا الصدق وإن رأيتم أن الهلكة فيه فإن فيه النجاة»** [(٣)] .

ونجده ﷺ يقول: **«عليكم بالصدق فإنه مع البر وهما فى الجنة ، وإياكم والكذب ، فإنه مع الفجور وهما فى النار»** [(٤)] .

وسئل مولانا رسول الله ﷺ أيكون المؤمن جبانا ؟ قال: **«نعم»** ، قيل: أيكون المؤمن بخيلا ؟ قال: **«نعم»** ، قيل له : أيكون المؤمن كذابا؟ قال: **«لا»** [(٥)] .

عباد الله :

بعد هذه الطائفة من الأحاديث النبوية أرى لزاماً علينا أن نتحلى بالصدق وأن نتخلق به ، ويكفيك أخى المسلم سلمك الله من كل شر وسوء أنها الصفة التى عرف بها مولانا رسول الله ﷺ منذ صغره ، فكان يلقب صلوات ربى وسلامه عليه قبل أن يبعث رسولاً نبياً بل منذ طفولته كما ألفنا بالصادق الأمين فأين ذلك فينا يا أمة القرآن يا أمة كرمها الله وبجلها وجعلها أفضل الأمم وأعدل الأمم؟ إنها الأمة التى اختارها الله عز وجل لتكون شاهدة على الناس وشهيدة عليهم ، فإذا كان يوم القيامة استشهد الأنبياء والرسل على تبليغهم رسالتهم إلى أقوامهم بأمة المختار ﷺ ، يا أمة وصفها النبى ﷺ بأنهم أحبابه أفلا يليق بنا بعد هذه الفضائل أن لا نتخلق بالصدق يا أتباع سيدنا ومولانا محمد ﷺ إن الصدق صفة نبيلة وهو من أعظم الفضائل الإيمانية ، ورب العزة جل شأنه

---

(١) رواه الإمام أبو داود .
(٢) رواه الأئمة البخارى ومسلم وأبو داود .
(٣) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الصمت ورواته ثقات .
(٤) رواه ابن حبان فى صحيحه .
(٥) رواه الإمام مالك فى موطئه .

وصف ذاته الكريمة بفضيلة الصدق ، وصدق سبحانه حيث قال فى كتابه الكريم : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [١] . وحيث قال جل جلاله : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً ﴾ [٢] . فالله كلامه صدق وقوله صدق وحديثه صدق وسفراؤه إلى خلقه هم كذلك موصوفون بالصدق ؛ لأنهم يبلغون عن الله ويوجهون الخلق إلى الإيمان بالله . ولذا كان من ألزم اللوازم وأوجب الواجبات أن يكون أنبياء الله ورسله ممن عرفوا بين أقوامهم بالصدق . . . واعلم أخى المسلم حفظك الله ورعاك ، أن الصدق له فضائل ومميزات لا تحصى ولا تعد نذكر منها بفضل الله تعالى : أنه منجاة من المهالك والكذب مهواة ومؤد إلى أسوأ العواقب . واعلموا أن أهل الصدق الصادقون هم أحباب الله عز وجل ولهم الثواب العظيم يوم العرض على الله عز وجل ، وهذا هو القرآن الكريم يقرر تلك الحقيقة ويبرز أثر الصدق فى أطيب صورة ويبين الثمرة الحلوة المترتبة على تلك الفضيلة والمنزلة السامية لمن تحلوا بالصدق وعاشوا فى رحابه ، وذلك فى قول الله تعالى : ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [٣] .

عباد الله ، أين هذه الفضائل فينا فى عصر رمى الصدق وراء ظهره واتخذ من الكذب مثالا طيبا يسير عليه إلا من رحم ربى ولاسيما هذا النوع من الكذب المسمى بالشائعات؟ والشائعات ما يشاع على الألسنة بالباطل أى من غير دليل ، إذن فالشائعات لون من ألوان الكذب بل هو لون خبيث فترى ثرثاراً خرج على الناس يهتف فيهم بخبر جديد والناس دائما يتطلعون إلى كل جديد ، استمع إليه وهو يقول أعلمتم يا إخوانى ما حدث ؟ فيقولون له : ماذا هنالك ؟ فيقول : فلان طلق زوجته - فلانة تركت بيتها - فلان زنى - فلانة زنت - فلان سرق - إلى غير ذلك من الأخبار الطازجة الكاذبة والتى سمعناها ورددها الزيادة أضعافا مضاعفة وامتلأت البلد بهذا الخبر وبعد شيوعه نفاجأ بأنه لا أصل له ولست أدرى لحساب من هذا ؟ وما الذى يعود علينا من ذلك ؟

(١) سورة النساء الآية : ٨٧ .
(٢) سورة النساء الآية : ١٢٢ .
(٣) سورة المائدة الآية : ١١٩ .

يا أحباب الحبيب المصطفى ﷺ:

لقد علمنا منذ قليل أن الصدق يجعل أصحابه فى منزلة رفيعة وكفى أن الصادقين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وأنعم بها من رفقة ، وأن الصدق يكون سببا فى مغفرة الرحمن جل جلاله وذلك لمن تجلى به ، أما الكذب عامة والشائعات خاصة فيلزمنا أيضا أن نقف على موقف الكتاب العزيز وسنة النبى الأمين من هذا الوباء الخطير فالسعيد من يوحد الله ويثلج الصدر بالصلاة والسلام على مولانا رسول الله .

عباد الله ، لقد تحدث القرآن الكريم عن الكذب والكذابين ومن ذلك الشائعات وإليكم جانبا من حديث القرآن الكريم عن ذلك يقول الحق تعالى: ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (١) .

ويقول فى عليائه متحدثا أصحاب الشائعات: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لاَ تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ * لَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ * لَوْلاَ جَاؤُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاء فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ * وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ * وَلَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ * يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ * وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢) .

يا أحباب سيدنا ومولانا محمد ﷺ هذا هو القرآن الكريم وقد حدثنا عن هذه العادة الذميمة بما فيه الكفاية ، فليتنا نتق الله ونقلع عن هذه الخصلة القبيحة فإن فى

---

(١) سورة الزمر الآية : ٦٠ .

(٢) سورة النور الآيات من ١١ - ٢٠ .

ذلك الخير كل الخير لنا ولإخواننا ، وإذا كنا قد شنفنا الآذان بكلام الملك المنان فهيا بنا لنشنف الآذان مرة أخرى بسماع كلام سيد الخلق سيدنا ومولانا محمد ﷺ وهو يحدثنا عن خطر وجرم هذه العادة القبيحة .

يقول سيدنا ومولانا محمد ﷺ: «**إن أحببتم أن يحبكم الله ورسوله فأدوا إذا ائتمنتم وأصدقوا إذا حدثتم وأحسنوا جوار من جاوركم**» (١) .

وللحديث بقية أقول قولى هذا واستغفروا الله لى ولكم أجمعين .

الخطبة الثانية :

الحمد لله . وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين وأشهد أن سيدنا ومولانا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم إلى يوم الدين .

أما بعد ،

فيا عباد الله ، لا يزال الحديث موصولا معكم وبكم وموصولا حول جريمة الكذب والشائعات ، ولنواصل أحاديث البشير النذير فى هذا الأمر الخطير والله الهادى إلى سواء السبيل ، فعن سيدنا سَمُرة بن جندب رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «**رأيت الليلة رجلين أتيانى قالا لى: الذى رأيته يشق شدقه فكذاب يكذب الكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق فيُصنَع به هكذا إلى يوم القيامة**» (٢) .

ويقول صلوات ربى وسلامه عليه: «**كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هو لك مصدق وأنت له به كاذب**» (٣) .

وعن سيدنا أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم ، شيخ زان ، وملك**

---

(١) رواه الطبرانى .
(٢) رواه الإمام البخارى .
(٣) رواه الإمام أبو داود

كذاب ، وعائل مستكبر»[1] .

فانظر رعاك الله إلى هذه الأخبار النبوية ، وما ترشد إليه فإن كنت محبا لله ورسوله فاجتنب الكذب بصفة عامة والشائعات بصفة خاصة فإن هذا هو اللائق بمحب لله ورسوله .

عباد الله ، هذا حق فإن الشائعات أكبر فتنة وأفدح كارثة تبلبل الأفكار وتجلب الخراب والدمار ، وتجعل أمور الشعب إلى بوار ما نزلت الشائعة فى جيش إلا هزمته ولا فى حكم إلا أزالته ولا فى شعب إلا روّعته وخذلته ولا فى اتحاد إلا قسمته ومزقته .

عباد الله ، إن دين الإسلام قطع الطريق على الكاذبين وكشف حيل المضللين حيث أمر أتباعه بأن يعرضوا عن إذاعات المغرضين ، وأن يسدوا آذانهم دون إشاعات المبطلين وأمرهم ألا يصدقوا شائعة ولا يقبلوا ذائعة إلا إذا كانت مصحوبة بدليل قويم ويؤيدها العقل السليم حتى لا تتورط فى مسؤولية وحتى لا تتورط فى ضلالة وحتى لا تقع فى ظلامة أو جهالة ، وقد صدق مولانا الإمام على حيث قال: " إن بين الحق والباطل أربع أصابع ووضع أصابعه على صدغه بين عينه وأذنه إذا سمعت فلا أن ترى بعينك فما آفة الأخبار إلا رواتها " .

وكان سيدنا عبد الله بن مسعود يقول: يا لسان قل خيرا تغنم واسكت عن الشر تسلم من قبل أن تندم ، فقيل: يا أبا عبد الله أهذا شيء تقوله أم سمعته من رسول الله ﷺ ؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أكثر خطايا ابن آدم فى لسانه**» .

عباد الله ، إن ما نقله لنا الصحابى الجليل سيدنا عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ لجدير أن يكون له الاحترام والتقدير فى حياتنا .

لذا كان لزاما على كل لسان ألا ينطق إلا بالصدق حتى يجعل صاحبه من الفائزين فى جنات ونعيم فى مقعد صدق عند مليك مقتدر .

---

(١) رواه الإمام مسلم .

واستمعوا عباد الله إلى ما جاء على لسان الصادق الأمين حيث يقول صلوات ربى وسلامه عليه محذرا من الوقوع فى الشائعات ومن قول الكذب بصفة عامة :

«إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يهوى بها فى النار أبعد ما بين المشرق والمغرب» (١) .

فنعوذ بالله من النار ومن غضب الجبار جل جلاله .

اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه ، اللهم بصرنا بعيوبنا واكفنا شر اتباع الهوى وشر الزيغ عن الأحكام الصحيحة . اللهم وفق ولاة أمورنا إلى مرضاتك ، وخذ بأيديهم إلى النجاة والفلاح والصلاح إنك يا مولانا جواد كريم وبالإجابة جدير ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ، اذكروا الله يذكركم واستغفروه يغفر لكم واسألوه يزدكم وصلوا على الحبيب المصطفى تفلحوا .

وأقم الصلاة يرحمنى ويرحمكم الله .

* * * * * * * * * * *

(١) رواه البخارى ومسلم .

حول زيارة النساء للمقابر

الحمد لله رب العالمين الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير وأشهد أن لا إله إلا الله اللطيف الخبير الهادى لمن يشاء إلى الصراط المستقيم .

وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا رسول الله الداعى إلى الطريق القويم اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن تمسك بالدين ووقف عند حدوده .

أما بعد ،

فيا أتباع سيدنا ومولانا محمد عليه الصلاة والسلام نلتقى بحضراتكم اليوم حول أمر هام تمنيت منذ جُمَع مضت أن أتكلم فيه ولكن أراد الحق جل جلاله أن نتحدث عن قضايا أخرى لأهميتها ، حيث أنها لها من الخطورة ما لها وشاءت إرادة الحق جل جلاله أن نلتقى سويا حول هذا الأمر ألا وهو أمر: زيارة النساء إلى المقابر ، وذلك فيما نراه ونشاهده فى المواسم والأعياد من ذهاب النساء إلى المقابر لزيارة ما لها من أموات ويعلم الله أن بعض النساء اللائى يذهبن إلى المقابر من أجل زيارة الزوج الذى رحل إلى الدار الآخرة كان يعيش معها حياة شقية ويوم أن كان من أهل الدنيا كان لا يساوى عندها جناح بعوضة ، ولما أن ذهب إلى المقبرة أصبح الزوج جوهرة وكل هذا من تخطيط الشيطان اللعين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

عباد الله :

إن الله تعالى جعل علامة محبة العبد له اتباع نبيه الكريم وطاعة رسوله الصادق الأمين حيث قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [1] ، فمن لم يتبع الرسول فيما جاء به وادعى أنه يحب الله تعالى فهو كذاب وكتاب الله يكذبه إذ لو كان صادقا فى دعوى محبته لأطاع رسوله ، فإن طاعة الرسول طاعة لمولاه وعصيانه عصيان لله ﴿ مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ

---

(١) سورة آل عمران آية : ٣١ .

وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ [١] .

وإن الله تعالى جعل محبته ورضاه ورحمته وإحسانه فى اتباع نبيه والاهتداء بهديه فالخير كله فى الاتباع والشر فى المخالفة والابتداع يقول صلوات الله وسلامه عليه : «**إن من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**» [٢] .

وإن من البدع القبيحة والمخالفات السيئة يا عباد الله زيارة النساء للقبور فى المواسم والأعياد والجمع على الحال المعروفة من تهتك النساء واختلاطهن بالرجال مع فساد الأخلاق وانتشار الفساد فى هذا الزمان وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وأى بدعة أكبر قبحا وأعظم وزرا من بدعة جمعت مفاسد كثيرة من انتهاك الحرمات وابتذال الأعراض وإضاعة الأموال وإيذاء الموتى وغضب الله المنتقم الجبار ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

عباد الله ، لقد أصبحت نساء هذا الزمان من أشد الأمراض الاجتماعية التى أعيت وأحارت الأطباء الناصحين وكلت منها ألسنة الخطباء المرشدين ؛ لأنهن صرن أكبر عون للشيطان على تنفيذ كل ما يأمرهن به من عادات الجاهلية فى الندب والنياحة وشق الجيوب ولطم الخدود وصبغ الوجوه والأيدى بالسواد ، ورسولنا الأعظم صلوات الله وسلامه عليه يقول: «**ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية**» [٣] .

يجىء شهر رجب أو عيد الفطر أو الأضحى فتصبح النساء ولاهم لهنَّ إلا لما يعدونه لزيارة المقابر ، وليس ذهابهنَّ قاصراً على تلك المناسبات فقط فإنهنَّ يذهبن أيضاً فى موسم عاشوراء أى اليوم العاشر من شهر الله المحرم ، وفى المولد النبوى الشريف

(١) سورة النساء الآية : ٨٠ .
(٢)رواه الأئمة أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم وصححه والبيهقى ، والترمذى وقال : حسن صحيح .
(٣)رواه الأئمة أحمد والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه .

وفى موسم رجب وشعبان ، ناهيك عن يومى الخميس والجمعة من كل أسبوع والخميس الأول والثانى والثالث للميت ، وذكرى الأربعين والسانوية وكلها ما أنزل الله بها من سلطان وسوف تسأل عنها إلا إذا تبرأنا منها فى الدنيا ونحن أحياء إذ لا خميس ولا أربعين ولا سانوية حتى نضعها للميت ، فاتقوا الله واحذروا من بدع النساء الجاهلات وامنعوهن من زيارة المقابر على الإطلاق .

أيها الأحباب ، فى المواسم والأعياد والجمع نجد النساء يذهبن إلى المقابر ومعهن من الأطعمة والفواكه المتنوعة ، فالغنى ينفق عن سعة والفقير يضيع ما فيه حاجة عياله وقد يقترض لهذا الغرض الذميم أو يرهن متاع بيته لدى المرابين ، ويكثر النزاع ويشتد الخلاف بين المرء وزوجه ، وقد يؤدى الأمر إلى الفراق أو داوم النكد والشقاق ، وإذا جاء إلى المقابر رفعت النساء أصواتهنّ بالبكاء وأظهرن الحزن والجزع ووقعن فى كلمات المعاصى بالتسخط على القدر والاعتراض على الله تعالى فى حكمه وقضائه ، وهو الفاعل المختار القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير ، ولا شك أن ذلك يؤدى إلى الكفر وعدم الإيمان بالله عز وجل وأطلب من النساء أن يسألن أنفسهن ثلاثة أسئلة ثم ينظرن إلى الإجابة : أيجرى فى هذا الكون شيء لا يريده الله؟ كلا أفينقص من آجالكن لحظة قد كتبها الله لكنّ فى هذه الحياة؟ كلا ، أفيضيع من أرزاقكن شيء قد قدره الله لكن فى هذه الحياة؟ كلا ، فإذا كان الأمر كذلك فعلام الجزع والسخط على قضاء الله تعالى .

عباد الله ، وإن من البدع المنكرة ما يفعلنه النسوةالجاهلات من شكاى وأخبار إلى الموتى فى قبورهم فمثلا الزوجة تذهب وتشكو إلى زوجها ما جرى لها من إخوته وما حدث لها من أولاده وأزواجهم ، ثم تخبره بالأخبار السارة ابنك تزوج ابنتك تفوقت هذا العام ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

ومن الأمر المؤسف والمحزن والذى إذا عرفناه لا يتردد أى عالم غيور على دينه فى الفتوى بتحريم ذهاب النساء إلى المقابر ، هذا الأمر الذى تقشعر منه الجلود ألا وهو ذهاب بعض النساء للمقابر بأعمال سفلية قصد منها دمار البيوت والتفريق بين المرء وزوجه ، وتقوم هذه المرأة بوضع السحر أو العمل السفلى داخل مقبرة مهجورة كل هذا استجابة لأوامر الشيطان ولأوامر السحرة والساحرات ، أسأل الله الهداية

للجميع ، بل هناك من النساء من يذهبن لكى يركبن النعش وينمن فيه ومعها صاحبتها تحركها به وذلك من أجل إنجاب الأولاد وإذهاب عقمها ، ومنهن من يذهبن للاغتسال هناك وقد رأينا ونحن نزور المقابر صابونا ولوفا تركتهما امرأة بعدما اغتسلت ، بل أقسم لكم بالله الذى لا إله غيره لقد ارتكبت جريمة الزنا داخل المقابر .

كل هذا الشؤم بسبب تفريط الرجال فى نهى النساء عن الرذائل - ناهيك أخى المسلم عن جلوسهن جماعات ليتحدثن عن أمور الدنيا وما فى ذلك من غيبة ونميمة بل ربما كان هذا الجلوس من ورائه تخطيط عظيم لخراب البيوت ، فالزوجة تشكو أم زوجها لصاحبتها ، وتصطنع البكاء من أجل الحسرة التى تمر بها والنكبة التى هى فيها وهذه أخت الزوج تشكو زوجة أخيها ، وهذه أم الزوج تشكو زوجة ابنها إلى صاحبتها فإما أن تكون تلك الصاحبة عاقلة وهذا قليل نادر وإما أن تكون مفسدة وما أكثرهن ، ما أكثر المفسدات من يقول لهن إبليس: يا أستاذى ويا سيدتى ويا معلمتى اتقوا الله عباد الله وراقبوا نساءكم فإن المقبرة جعلت زيارتها للاتعاظ ، والزيارة هى للرجال دون النساء .

أيها المؤمنون ، بعد الذى شرحناه وبيناه لحضراتكم من أفعال الزائرات خبرونى بالله عليكم هل هذا يرضاه الحق جل جلاله؟ أبهذا ترحم الموتى؟ أبهذا تؤدى سنة مولانا رسول الله ﷺ ؟ هل سمعتم أن أحداً من الصحابة أو الأئمة الأربعة كان يخرج هو ونساؤه فى هذه المواسم لزيارة الموتى؟

نعم ، كان سلفنا الصالح يغتسلون ويتطيبون يوم الجمعة ويطعمون الطعام فى رمضان ويكثرون من الصدقات فى أيام الأعياد ، أما زيارة الموتى فقد كانت فى عصرهم تزار يومى الخميس والجمعة وصبيحة السبت لكن للرجال فقط ، أما النساء فكانت المرأة تقرأ كتاب فى بيتها وتدعو وتستغفر لميتها . بل كان مولانا رسول الله ﷺ يخرج مع الصحابة إلى الصحراء لصلاة العيد ، وكان يذهب من طريق ويرجع من طريق آخر ولم يثبت أنه زار قبراً فى ذهابه أو إيابه مع وقوع المقابر فى طريقه ، بل قال فى عيد الأضحى **أول ما نبدأ به فى يومنا هذا أن نصلى ثم نرجع فننحر ، من فعل ذلك فقد أصاب سنتنا .**

فيا أيتها الأخت المسلمة فى عيد الفطر والأضحى اجلسى فى بيتك معززة مكرمة واستقبلى مالك من أقارب يأتون إليك من أجل التهنئة بالعيد ، وإذا أردت زيارة الأب والأم والأخ والأخت والزوج فأكرمى أرحامهم فإن ذلك أفضل لهم .

هدى الله الجميع إلى طاعته ورضاه ،

وغفر لى ولكم ولسائر المؤمنين أجمعين واسألوا الله من فضله .

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله ولى الصالحين الصابرين وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبد الله ورسوله بلغ الرسالة وأد الأمانة وجاهد فى الله حق جهاده حتى أتاه اليقين صل يا رب وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الهداة الطيبين .

أما بعد ،

فيا أتباع سيدنا ومولانا محمد ﷺ .

نعيش بحضراتكم فى خطبة النعت فى رحاب فقه زيارة النساء للمقابر لنعرف موقف الفقه الإسلامى من هذا العمل ، وهذا الصنيع لكن قبيل أن أبين موقف الفقه الإسلامى من هذا الصنيع لى عتاب لبعض أهل العلم الذين يتسرعون فى الفتوى بجواز زيارة النساء للمقابر ، وذلك فى الإذاعة المرئية والمسموعة وفى بعض الكتب وفى المساجد مستدلين بأحاديث عن السيدة عائشة ومولاتنا السيدة فاطمة وغيرهما ، وأين نساء هذا الزمان من مولاتنا السيدة فاطمة وأمنا السيدة عائشة ، ومع ذلك فإن من أجازوا زيارة المقابر للنساء اشترطوا لذلك شروطا :

أولاها: ألا تكون متبرجة .

ثانيها: أن تخرج مع محرم من محارمها كالأب والأخ والزوج .

ثالثها: ألا تذهب إلى المقابر أثناء وجود الرجال هنالك .

رابعها: أن لا تنوح ولا تتكلم بكلام دنيوى حتى لا تؤذى الأموات ، فعلى أصحاب الفضيلة العلماء أن يتريثوا فى الفتوى فى أمر زيارة النساء إلى المقابر ؛ لأن

الشيطان سوف يلفت نظرها إلى كلمة جائرة ويصرفها عن الشروط سالفة الذكر ، ومن المقرر فى أصول الفقه : أن درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة ، فإذا كان من فوائد زيارتها الاتعاظ ومع الاتعاظ مفسدة قدم درء المفسدة على جلب المصلحة وهى الاتعاظ وقد مر بنا مفاسد النساء بين المقابر . أما الآن فمع كلام أهل الفقه فى هذه المسألة والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل .

عباد الله ، يقول الحبيب المصطفى صلوات ربى وسلامه عليه : «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكر الآخرة**»[١] .

يقول الإمام الحافظ المنذرى : قد كان النبى ﷺ نهى عن زيارة القبور نهيا عاما للرجال والنساء ، ثم أذن للرجال فى زيارتها واستمر النهى فى حق النساء . أ هـ[٢] .

وعن سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما : أن رسول الله ﷺ قال : «**لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج**»[٣] .

وفى رواية : «**لعن الله زوارات القبور**»[٤] .

يقول العارف بالله سيدنا ومولانا الإمام حبيب الله الشنقيطى رضى الله عنه : "ووجه لعن زائرات القبور مخالفتهن لما أمرهن الله به فى قوله تعالى : ﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ** ﴾ وغير ذلك مما يفعلنه من البدع والمحرمات .

يقول الإمام المناوى رضى الله عنه : "فى وجه لعنهن ، أى : لأنهن مأمورات بالقرار فى بيوتهن ، فمن خالفت وهى يخشى منها أو عليها الفتنة استحقت اللعن أى : البعد عن منازل الأبرار اهـ . ولعل اللعن محمول على ما إذا ترتب على زيارتهن محرم كنوح ونحوه مما تقدم الإشارة إليه" .

وقد نقل الإمام ابن الحاج المالكى فى المدخل فى زيارة النساء للقبور ثلاثة أقوال :

---

(١) رواه مسلم .
(٢) انظر من وصايا القرآن الكريم لمحمد البلتاجى ص ٢١٨ .
(٣) رواه الإمام الترمذى وحسنه .
(٤) رواه الأئمة أحمد وابن ماجه والترمذى والحاكم .

الجواز مطلقا على ما هو معلوم فى الشرع من التستر أى بالشروط سالفة الذكر .

والقول الثانى: وهو المنع مطلقا .

والقول الثالث: التفصيل بين المتجالة (أى كبيرة السن) وغيرها أى الشابة . فتجوز زيارتها للمتجالة وتمنع لغيرها ، ثم قال رضى الله عنه وهذا الخلاف فى نساء عصر النبوة ، أما نساء هذا الزمان يعنى زمانه هو ، وهو من أعيان القرن السابع الهجرى قال: فمعاذ الله أن يقول أحد من العلماء أو من له مروءة أو غيرة فى الدين بجوازها لهن .

يقول الإمام الشنقيطى معقبا على كلام ابن الحاج : ولو شاهد صاحب المدخل ما يفعلن الآن عندها من الكبائر والمنكرات لحكم بأن زيارتهن كفر صريح . نسأل الله التوفيق لأقوم طريق [1] .

ويقول العارف بالله سيدى عبد الوهاب الشعرانى الشافعى: أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ ألا نمكن عيالنا من الخروج مع جنازة ولا لزيارة قبور أولادهن فضلا عن أولاد غيرهن ثم قال رضى الله عنه :

وهذا العهد يقع فى خيانته كثير من الناس حتى العلماء والصالحين ، وربما تقول لأحدهم امرأته إن فلانة لها على دين فى زيارتها لولدى لما مات ، ومرادى أن أكافئها وهى كاذبة ومراعاة غرض الشارع وهو عدم تمكينهن من الزيارة أولى من مراعاة امرأة حكمها حكم المرتدة عن دينها بتركها الصلاة وكثرة سخطها على ربها ﴿ **وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾ [2] اهـ .

وجاء فى كتاب فتاوى الرسول ﷺ ما نصه :

وأما حكم زيارة النساء للقبور فمنهى عنها ؛ لما أخرجه أبو داود والنسائى فى المجتبى والترمذى بسند صحيح واللفظ له عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : «**لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج**» ، ثم قال واللعن يفيد

---

(١) انظر حاشية فتح المنعم على زاد للمسلم لسيدنا الإمام محمد حبيب الشنقيطى المالكى ج٢ ص ٢٧ ، ٢٨ .

(٢) انظر لواقح الأنوار القدسية لسيدنا الإمام الشعرانى ص ٦٩٥ ط دار الكتب العلمية بيروت .

التحريم قطعا ، وحرمت زيارتهن لقلة صبرهن وكثرة جزعهن ، وكل حديث يُحرِّم خروجهن للجنازة أو زيارتهن للقبور فمحمول على ذلك ، واللعن هنا : الطرد من رحمة الله [١] اهـ .

عباد الله ونجد مولانا رسول الله ﷺ يقول لابنته مولاتنا السيدة فاطمة رضى الله عنها : **«لو ذهبت إلى المقبرة ما شممت ريح الجنة»** [٢] .

عباد الله ، بعد الذى ذكرناه نجد أنه لا حاجة للأموات لزيارة النساء لهم ، وعلى كل رجل أن يتق الله فيما له من نساء ولا يمكنهن من زيارة المقابر ، وعلينا أن نضع كلام الإمام الشعرانى نصب أعيننا ، وعلى السادة العلماء أن يتريثوا فى هذا الأمر فنحن فى زمن المفاسد والفتن والعياذ بالله ، وما أجمل وحدة الصف والكلمة ويا أيتها المرأة اقرئى القرآن فى بيتك وابعثى بثوابه إلى من شئت من الأموات والله يهدى الجميع إلى طاعته ورضاه اللهم إنى قد بلغت اللهم فاشهد ، اللهم ارزقنا الهدى والتقى والعفاف والغنى اللهم وَلِّ أمورنا خيارنا ولا تُوَلِّ أمورنا شرارنا وآتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، اللهم انصر الإسلام والمسلمين وأَعْلِ بفضلك كلمتى الحق والدين وارفع اللهم لواء القادة الأكرمين ووفقهم لنصرة الوطن الأمين .

عباد الله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ وأقم الصلاة .

* * * * * * * * * * *

(١) انظر فتاوى الرسول صلى الله عليه وسلم لابن خليفة عليوى ج ١ ص ١٨١ .
(٢) رواه الإمام أحمد .

الأمانة فى التجارة

الحمد لله جل فى علاه سبحانه تقدست أسماؤه ، عرض الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان لأنها إمارة التدين ودليل الإيمان ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رفع قدر الأمانة وجعل لها فى الإسلام أسمى مكانة .

وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله استأمنته أمنا ومولاتنا السيدة خديجة فى التجارة فكان صادقا أمينا فكان صلوات ربى وسلامه عليه يتعوذ من الخيانة فيقول : **«اللهم إنى أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئس البطانة»** . اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد إمام الأنبياء وصفوة الأمناء وعلى آله وصحبه الأمناء الأحياء ومن تبعهم بصدق وإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ،

فيا أتباع سيدنا ومولانا محمد ﷺ يقول المولى جل علاه فى محكم التنزيل وهو أصدق القائلين : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىَ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [١] .

أيها المؤمنون ، حديثنا اليوم عن "الأمانة فى التجارة" لأنه مما لاشك فيه أن التجارة عمل عظيم ، ومن ثم فقد اتجر مولانا رسول الله ﷺ فى مال السيدة خديجة رضى الله عنها فما رأت منه إلا قمة الصدق والأمانة وما نالت ربحا فى تجارتها بمثل ما نالت من تجارته ﷺ لها .

ومن ثم اختارته ليكون زوجا لها وما ذلك إلا لصدقه وأمانته وهو الذى بشرنا بأن تسعة أعشار الرزق فى التجارة ، ولقد كان سلفنا الصالح رضى الله عنهم يمارسون مهنة التجارة ومنهم الصحابى الجليل سيدنا عثمان بن عفان ذا النورين رضى الله عنه

---

(١) سورة البقرة ٢٧٥ .

وعن زوجتيه عليهما السلام وكذلك سيدنا عبد الرحمن بن عوف ومن الأئمة سيدنا ومولانا الإمام الليث بن سعد فقيه مصر والإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان رضى الله عنهما وغيرهما من الأئمة وسلف الأمة .

إذن فالتجارة عمل طيب وكسب حلال مبارك ما دام التاجر صدوقا أمينا لم يتصف باستغلال الناس ولا باحتكار السلعة حتى يرتفع ثمنها ولم يغش فى بيعه ، فإن الغش ليس من صفات المؤمنين .

إن التجارة عمل طيب مادام المقصد من التجارة التعفف عن المسألة ، وليس جمع الأموال حينئذ نرى المولى سبحانه وتعالى قد أحل له ربح تجارته وجعله رزقا طيبا لا شبهة فيه .

استمعوا إلى الحق جلا علاه وهو يقول فى محكم التنزيل وهو أصدق القائلين : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾ (١) .

عباد الله . وإذا كان المولى جل جلاله قد شرع لنا البيع والشراء كان لزاما علينا أن نتوجه إلى الله تعالى بالشكر حتى يمن علينا بالمزيد من الخير قال جل شأنه : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ (٢) .

وإن من تمام شكر المنعم جل جلاله : أن نتعلم آداب البيع والشراء لعلنا ندرك ما نحن فيه من خطأ نقع فيه ونحن نبيع ونشترى فآداب البيع :

فأولاها : أن يبين البائع عيب السلعة التى يكره المشترى أن يراه فيها .

ومما لاشك فيه أن تبيين ما فى السلعة من عيوب أمر واجب ؛ لذا فقد حرم على البائع أن يكتم ما تكرهه النفوس كان ذلك فى الطعام أو الشراب أو اللباس أو المركوب أو المسكن أو غير ذلك . كان ذلك فى الثمن والمثمن وذلك لقول الحبيب المصطفى ﷺ

---

(١) سورة النساء آية : ٢٩ .
(٢) سورة إبراهيم الآية : ٧ .

فى الحديث الشريف : «**من غشنا فليس منا والمكر والخداع فى النار**»[١] .

ثانيها : عدم مدح السلعة فإن مدح سلعته وانتقص سلعة غيره كان فاسقا فلا يمدح إذا باع ولا يذم إذا اشترى .

ثالثها : السهولة والليونة ، لقوله ﷺ: «**رحم الله عبدا سهلا إذا باع سهلا إذا اشترى سهلا إذا قضى سهلا إذا اقتضى**»[٢] .

رابعها : المبادرة بحقوق الله الواجبة عليه فى أوقاتها لقوله عز وجل : ﴿ **رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ** ﴾[٣] .

تلكم هى أهم وأبرز الآداب لمن أراد البيع المبارك والرزق الطيب الحلال الذى لا غش فيه ولا خداع .

عباد الله : وأما آداب المشترى فهى :

أولا : عدم التحكر وهى المماسكة من المشترى بل يبتغى أن يتوسط مع البائع من غير ترديد ولا تردد ، أما شراء السلعة من أجل احتكارها فهذا مذموم ولسوف نقف عليه بمشيئة الله تعالى ؛ ألا فليتق الله تجار الجملة الذين يشترون السلعة فيحتكرونها حتى يرتفع ثمنها فيبيعونها حينئذ بأعلى الأسعار .

ثانيا : عدم ذم السلعة فإنه ضرر للبائع .

ثالثا : عدم تلقى السلعة قبل وصولها ، فإن التلقى للسلعة قبل سوقها حرام إن كان لها سوق معلوم وذلك لقول الرسول ﷺ : «**لا تلقوا الركبان ولا يبع حاضر لباد**»[٤] .

ثالثا : عدم طلب الزيادة فوق حقه ، فلا يقول للبائع : زد أو أوف أو حاول كل ذلك من خساسة النفس ولآمتها .

تلكم هى أهم آداب المشترى راجيا من الله عز وجل أن يعين الجميع من بائع

(١) رواه الطبرانى فى الكبير وأبو نعيم فى الحلية عن سيدنا عبد الله بن مسعود .
(٢) رواه الإمامان البخارى وابن ماجه عن سيدنا جابر رضى الله عنه .
(٣) سورة النور من الآية : ٣٧ .
(٤) متفق عليه .

ومشترى على التمسك والتخلق بها والله الهادى إلى سواء السبيل .

عباد الله : إننا لو نظرنا إلى الآداب سالفة الذكر وقارناها بأحوال أهل البيع والشراء لوجدنا الحقيقة المرة ألا وهى البعد عن هذه الآداب الطيبة .

نعم يا عباد الله ، إننا بكل أسف وجدنا طائفة من التجار لا يرضون ولا يقنعون بالربح الحلال من الرزق فنراهم يحاولون الغش ويحاولون تطفيف الكيل والميزان ويستغلون من يبيع لهم شيئا وهو لا يعرف ثمنه فنرى مثلا إنسانا جاء ومعه جهاز كهرباء " تسجيل أو راديو " وغير ذلك من المنافع الضرورية وغير الضرورية ، والتى يعرضها البعض لمن يشتريها وذلك لظروف أو ضائقة مالية .

يعلم البائع ثمن هذا التليفزيون مثلا "بستمائة" ويستطيع بهذا السعر أن يربح ربحا كثيرا أمام هذا الاحتياج من البائع يقول له : هى بمائة أشتريها منك ، بمائتين ولاشك أن هذا استغلال وجشع وقد نهانا القرآن الكريم عن هذه الصفة الشنيعة فقال جل جلاله : ﴿ وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (١) .

ومن الصور السيئة فى البيع والشراء : احتكار السلعة حتى يرتفع الثمن ومن هنا يبيع بثمن أعلى ولسوف يسألون أمام الله عن كل ذلك .

فيا أيها التاجر ، ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ، ثم اعلم رحمنى الله وإياك أن القناعة كنز لا يفنى .

أيها المؤمنون ، من أجل ما يحدث من التجار جعلت الحديث هذا اليوم عن الأمانة فى التجارة .

وأرجو من الله عز وجل أن يجعل تلك الموعظة فى قلوب التجار الذين انحرفوا عن الحق إلى الباطل من أجل دنيا فانية .

يا أتباع سيدنا ومولانا محمد عليه الصلاة والسلام .

ومما لاشك فيه أن الاحتكار مذموم شرعا ،

---

(١) سورة هود آية : ٨٥ .

فعن الهيثم بن رافع عن أبى يحيى المكى عن فروخ مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه : " أن طعاما ألقى على باب المسجد فخرج عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو أمير المؤمنين يومئذ ، فقال : ما هذا الطعام ؟ فقالوا : طعام جُلب إلينا ، أو علينا فقال : بارك الله فيه وفيمن جلبه إلينا أو علينا ، فقال له بعض الذين معه يا أمير المؤمنين قد احتكر . قال : ومن احتكره؟ قالوا : فروخ ، وفلان مولى عمر بن الخطاب فأرسل إليهما فأتياه فقال : ما حملكما على احتكاركما طعام المسلمين ؟ قالوا : يا أمير المؤمنين نشترى بأموالنا ونبيع ، فقال عمر رضى الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والإفلاس**» ، فقال عند ذلك فروخ : يا أمير المؤمنين فإنى أعاهد الله وأعاهدك ألا أعود فى احتكار طعام أبدا فتحول إلى مصر ، وأما مولى عمر فقال : "نشترى بأموالنا ونبيع ، فزعم أبو يحيى أنه رأى مولى عمر مجوذما مشدوخا"(١) .

أيها الأحباب ، كفانا احتكارا للسلعة وهيا بنا لنعود إلى الله ونرضى بالطيبات من الرزق عفا الله عنى وعنكم وحفظنا من الحرام وجنبنا كل مكروه لا يرضى عنه الله واسألوا الله العظيم من فضله .

الخطبة الثانية :

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله صلاة وسلام وبركة عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بصدق وإخلاص إلى يوم الدين .

أما بعد ،

فيا أحباب الله ورسوله :

اعلموا أن المحتكر لحاجات الناس محب لذاته عاشق لشخصه لا يعترف بحق أحد سوى نفسه ، وما استحق أن يولد من عاش لنفسه ؛ لأنه رجل أنانى وإنسان نفعى وشخص لا يرى سوى مصلحته فمثل هذا المخلوق لا يساوى فى نظر الدين شيئا ؛ لذا

---

(١) رواه ابن ماجه ورواته ثقات .

نرجوا من الله عز وجل أن يتوب على هؤلاء وأن يصلح شأنهم ليقلعوا عن هذه العادة الذميمة ألا وهى: عادة الاحتكار حتى يتجنبوا ما توعّد به الصادق الأمين أهل هذه الخصلة الشنيعة ، حيث يقول ﷺ: «**من احتكر طعاما أربعين يوما فقد برئ منه الله ، وبرئ الله منه فأيما أهل قرية أصبح منهم امرؤ جائعا فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى**» (١) .

هذا بالنسبة لأهل الاحتكار:

بينما سنة البشير النذير ترفع شأن أهل الصدق والأمانة من التجار فيقول الحبيب المصطفى الكريم: «**يحشر التاجر الصدوق يوم القيامة مع الصديقين والشهداء**» (٢)

ومن ثم فقد وضعت الشريعة الغراء موازين طيبة مستقيمة يجدر بالتجار أن يتبعوها ويسيروا على منهجها فيا ترى ما هى هذه الموازين؟

أولا: على التاجر ألا يغش ولا يدلس ولا يكتم من معايب البيع شيئا كما أسلفنا ، ولا يتخذ الحلف سبيلا ولاسيما الحلف بأيمان الطلاق وذلك لترويج سلعته ، فإن الطلاق يمين الفساق ويهتز له عرش الرحمن ، لذا كان على البائع والمشترى أن لا يكثر من الحلف ، فقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «**الحلف منفعة للسعة ممحقة للكسب**» (٣) .

ولما سئل مولانا رسول الله ﷺ أى الكسب أفضل ؟ قال: «**عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور**» (٤) .

فالكسب الناتج من البيع المبرور هو أطيب الكسب وأفضله وأزكاه وأحسنه ، والبيع المبرور هو البيع الذى لا غش فيه ولا تدليس ولا خيانة ولا تطفيف .

عباد الله ، لقد وضع الله للبيع نظما دقيقة ، وشرع له قوانين محكمة بها تصان الحقوق وتحفظ الأموال وتنضبط المعاملات ، وبتنفيذها يصل كل من البائع والمشترى

---

(١) رواه الإمامان أحمد والحاكم .
(٢) رواه الإمامان الترمذى والحاكم عن أبى سعيد الخدرى .
(٣) متفق عليه .
(٤) رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط ورجاله ثقات .

إلى تمام حقه ، ويقع على كامل غرضه ، ولقد قال مولانا رسول الله ﷺ فى هذا المعنى الذى أشرنا إليه : «**البيعان بالخيار مالم يتفرقا ، فإن صدقا وبينا بورك لهما فى بيعهما وإن كتما وكذبا فعسى أن يربحا ويمحقا بركة بيعهما**» [١] .

وإن من أهم القوانين الإسلامية التى يجب مراعاتها عند البيع والشراء: وفاء الكيل والميزان ، فقد شرع الله الكيل والوزن تحقيقاً للعدالة وتأكيداً للنزاهة ورفعاً للخصومة وليعرف كل من البائع والمشترى ماله وما عليه ، فيأخذ حقه كاملاً ولا يتطلع إلى شىء من حق غيره ، فإذا كان ميزانك أيها التاجر - مضبوباً وكيلك وافياً وقولك صادقاً كان كسبك طيباً ومالك حلالاً وبيعك وشراؤك رابحاً ومباركاً وكنت محبوباً عند الله عز وجل موثوقاً بك عند الناس .

فاتقوا الله أيها التجار ، وضعوا هذا الحديث الشريف نصب أعينكم حيث قال ﷺ: «**إن التجار يبعثون يوم القيامة فجارا إلا من اتقى الله وبر وصدق**» [٢] .

وفى هذا القدر كفاية لمن أراد التوفيق والهداية اللهم اغننا بحلالك عن حرامك وبطاعتك عن معصيتك ، وبك عمن سواك اللهم جنبنا الغش والخداع وارزقنا بفضلك الصدق والأمانة فى بيعنا وشراءنا ، اللهم بارك لنا فى أرزاقنا وفى أوقاتنا وفى بيوتنا وأزواجنا وذرياتنا ، اللهم احفظ علينا ديننا وارزقنا التيسير والرخاء فى حياتنا ووفقنا إلى ما تحب وترضى .

عباد الله نفعنى الله وإياكم بالكتاب العزيز وبسنة البشير النذير ونسأله حسن الختام .

وصلوا على الحبيب المصطفى تفلحوا ، وأقم الصلاة

****

---

(١) رواه الإمامان البخارى وسلم .
(٢) رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح .

خاتمة المطاف الموت

الحمد لله الذى قدر الموت والفناء على جميع العالمين ، وانفرد بالبقاء والقدم والأولية جل شأنه وهو أحكم الحاكمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يقول فى كتابه العزيز وهو أصدق القائلين: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (١) .

وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله خاتم الرسل الكرام ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الذين عملوا للموت ولما بعد الموت فرضى الله عنهم ومن تبعهم بصدق إلى يوم الدين .

أما بعد ،

فيا أحباب المصطفى ﷺ . لقد انشغل الناس بالدنيا انشغالا شديدا وكأنهم فيها خالدون فنسوا أو تناسوا أن الموت آت لا ريب فيه فأكلوا أموال اليتامى ظلما وملؤوا القلوب بأكل ما ليس لهم لذا استحلوا الميراث والربا والرشوة ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . من أجل ذلك يا عباد الله أردت أن يكون حديث اليوم من فوق المنبر عن : الاستعداد للموت ، ثم نتبعه بأهم الأحكام الشرعية التى غفلنا عنها أثناء الاحتضار وبعد الاحتضار وبعد الدفن والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل .

عباد الله . لقد حكم الله بالفناء على جميع البرية فلا مفر لأحد من تجرع مرارة كأس المنية ولا طمع فى الخلود للاختصاص بفضيلة أو مزية ، قال تعالى فى محكم التنزيل : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ (٢) .

ولو جعل الله الخلود لأحد من خلقه من الأنام لكان ذلك لأنبيائه المطهرين ورسله الكرام .

وقد بين ذلك الحق تبارك وتعالى لحبيبه ومصطفاه قائلا سبحانه : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا

(١) سورة القصص الآية : ٨٨ .
(٢) سورة العنكبوت الآية : ٥٧ .

لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾ [1] .

إذا ما علمنا ذلك كان لزاما علينا أن نتعظ بالموت وأن نستعد للقاء الله عز وجل :

عباد الله من هنا إننا جميعا سنموت وكل ميت موقوف وكل موقوف مسؤول فهلا أعددنا للسؤال جوابا؟

أحباب المصطفى ، يعجبنى هذا الموقف الجليل من أحد الصالحين وقد شيع جنازة وإذا به يضحك فسئل عن ضحكه فقال رضى الله عنه : أضحك عن ميت جاء يعزى ميت فى ميت ، وهذا حق فإن كل من كتبت عليه الحياة سيموت ، فإن المعزى ميت والمعزى ميت والمعزى فيه بلسان حاله قد مات فأين العظة والاعتبار به عباد الله؟ فالموت حتم لا محيص منه ولا مفر وإن تطاولت الأجيال .

أيها المؤمنون ، وليس من الضرورى أن يكون للموت مقدمات كالمرض مثلا ، فقد يموت العبد فجأة بلا مرض ، وقد يعيش المريض حينا من الدهر فكيف تفعل لو فاجأك الموت وأنت متلبس بمعصية الخالق جل جلاله؟ وماذا تصنع لو أدركك الموت وأنت مشغول بظلم الخلق؟ فاتق الله يا عبد الله وتزود للموت فإن خير الزاد التقوى ، ولله در القائل :

تـــزود للـــذى لابـــد مـــنه ::: فـــإن المـــوت مـــيقات العـــباد
وتــب ممــا جنيــت وأنــت حَــيٌّ ::: وكـــن منتـــبهاً قـــبل الـــرقاد
أترضى أن تكون رفيـــق قـــوم ::: لهـــم زاد وأنـــــت بغيـــر زاد

يا ابن آدم :

يـــا مـــن بدنـــياه اشـــتغل ::: وغـــره طـــول الأمـــل
المـــوت يأتـــى بغتـــة ::: والقبـــر صنـــدوق العمـــل

وإذا كان الموت قد يأتى بغتة فأيضا قد تموت فى أى مكان أراده الحق عز وجل فليس من المحتم أن تموت فى بيتك وبين أولادك وإلا لما قال الحق تعالى : ﴿ **أَيْنَمَا تَكُونُواْ**

(١) سورة الأنبياء الآية : ٣٤ .

يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [١] .

ثم استمع منى إلى تلك القصة المؤثرة التى أسأل الله أن ينفعنى وإياك بها: انظر بقلبك سلمنى الله وإياك من كل مكروه وسوء .

يقال: إن ملك الموت عليه السلام دخل يوما على سليمان بن داود عليهما السلام فجعل يطيل نظره ويحد بصره إلى رجل من جلسائه ثم خرج فقال ذلك الجليس يا نبى الله من كان ذلك الرجل ؟ قال: إنه ملك الموت ، فقال: يا نبى الله ، رأيته يطيل النظر إلى وأخاف أنه يريد قبض روحى ، فخلصنى من يده ، فقال وكيف أخلصك ؟ فقال: تأمر الريح أن تحملنى إلى بلاد الهند فلعله يضل عنى ولا يجدنى .

فأمر سليمان عليه السلام الريح أن تحمله فى الساعة إلى أقصى بلاد الهند فحملته فى الوقت والحال فقبض روحه هناك وعاد ملك الموت ودخل على سليمان عليه السلام ، فقال له سليمان لأى سبب كنت تطيل النظر إلى ذلك الرجل ؟ قال كنت أتعجب منه لأنى أمرت بقبض روحه بأرض الهند ، وهو بعيد عنها إلى أن اتفق وحملته الريح إلى هناك كما قدر الله تعالى فقبضت روحه هناك [٢] .

أرجو عباد الله أن نتعظ بهذه القصة وأن يكون لها الأثر الطيب فى قلوبنا جميعاً ثم استمع إلى الحبيب المصطفى وهو يعظنا بقوله: «**أكثروا من ذكر هاذم اللذات**» [٣] وعنه ﷺ أنه قال: «**بادروا بالأعمال سبعاً هل تنتظرون إلا فقراً مُنسياً أو غنى مُطغيا أو مرضاً مفسداً أو هرماً مقعداً أو موتاً مجهزا أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة فالساعة أدهى وأمر**» [٤] .

وعن سيدنا أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال: خط النبى ﷺ خطوطاً فقال: «**هذا أمل الإنسان وهذا أجله فبينما هو كذلك إذ جاء الخط الأقرب**» [٥] .

---

(١) سورة النساء الآية: ٧٨ .
(٢) رواه الإمام أحمد فى كتاب الزهد وأبو نعيم .
(٣) رواه الإمام الترمذى وقال حديث حسن .
(٤) رواه الترمذى وقال حديث حسن .
(٥) رواه البخارى .

عباد الله تلكم الموعظة التى أردنا أن نذكركم بها فعلينا أن نتق الله ، وأن نعد العدة لليل صبحه يوم القيامة ، ثم تعالوا بنا إلى أهم الأحكام الفقهية التى وعدناكم بها والمتعلقة بهذا المصير المحتوم ألا وهو الموت ، ولنبدأ بالأحكام المتعلقة بالمحتضر الذى حضرته الوفاة أى من كان فى سكرات الموت .

اعلموا إخوانى بارك الله فيكم أن من حضرته الوفاة ينبغى له ما يلى :

أولا : تحسين الظن بالله تعالى .

فمن المعلوم أن المؤمن يجب عليه أن يحسن الظن بالله تعالى ، وأكثر ما يجب أن يكون إحسانا للظن بالله تعالى عند نزول المصائب والموت فيستحب لمن حضرته الوفاة أن يرجو رحمة ربه ومغفرته وسعة عفوه ترجيحا للرجاء على الخوف [١] .

لقوله ﷺ : «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يُحسن الظن بالله تعالى**» [٢] .

ولما روى أيضا أن النبى ﷺ دخل على شاب وهو يموت فقال : «**كيف تجدك ؟**» قال : والله يا رسول الله إنى أرجو الله وإنى أخاف ذنوبى ، فقال رسول الله ﷺ : «**لا يجتمعان فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف**» [٣] .

ثانيا : الإيصاء بأداء الحقوق لأصحابها كالديون والودائع وكل ما فى الذمة للغير من حقوق للغير ، «**من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو ماله فليؤدها إليه قبل أن يأتى يوم القيامة لا يقبل فيه دينار ولا درهم . . .**» [٤] .

ثالثا : التوبة : فقد أجمعت الأمة كلها على أن التوبة من جميع المعاصى فرض ويقبلها الحق تعالى من العبد تكرما منه وفضلا .

وهذا كله لازم للعبد المحتضر أن يفعله لنفسه .

---

(١) انظر حاشية الدسوقى على الشرح الكبير ج١ ص ٤١٤ ومواهب الجليل ج٢ ص ٢١٨ وحاشية الجمل على شرح المنهاج ج١ ص ١٣٨ .

(٢) رواه مسلم .

(٣) أخرجه ابن ماجه والترمذى عن أنس بسند حسن .

(٤) رواه البخارى .

أما ما يفعله الغير له فهى أمور ثمانية مستحبة .

أولا : التلقين : فعلى الجالسين بجواره أن يلقنوه الشهادة أو كلمة التوحيد ، ويكره أن يطلبوا منه ذلك فلا تقل له قل : لا إله إلا الله ويكفى أن تذكرها أو تقرأ آيات من القرآن تتضمن ذلك كقوله تعالى فى سورة "سيدنا محمد" ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ** ﴾ فإن قالها كان عليك أن تكتفى بذلك ، فإن تكلم بعدها بكلام دنيوى كان عليك أن تذكره بكلمة التوحيد مرة ثانية أو بقراءة آيات التوحيد وذلك لقول النبى ﷺ: «**لقنوا موتاكم لا إله إلا الله**» (١) .

وقد انعقد إجماع الأمة على استحباب ذلك أو سنيته على أن يكون الملقن من أحب الناس إلى العبد المحتضر .

ثانيا : قراءة القرآن الكريم ، والأفضل فى ذلك سور الرعد ويسن والإخلاص والحكمة من القراءة أن الميت يكون أثناء الاحتضار شديد العطش فتغريه الشياطين بالماء إن مات يهوديا أو نصرانيا ، فإذا ما سمع القرآن ارتوى منه وذهبت عنه الشياطين ويستحب أن يكون القارئ ذو صوت طيب حسن .

على ألا يكون جنبا ويجوز للحائض والنفساء تلاوة القرآن الكريم دون مسها للمصحف ، وهذا إذا لم يوجد فى المنزل غيرها ، فإن وجد كُرِه لها التواجد عند المحتضر ، وهذا هو مذهب الإمام مالك وأبو حنيفة والشافعية والحنابلة ، وذلك تبركا بالقرآن الكريم للمحتضر (٢) .

وذلك لقول النبى ﷺ : «**اقرأوا يسن على موتاكم**» (٣) .

ولا يلتفت إلى قول الذين ادعوا أن القراءة عند المحتضر بدعة .

ثالثاً : تحسين ظن المحتضر بالله تعالى : فعلينا أن نطلب منه أن يحسن الظن بالله بقولنا له : أبشر بمقعدك الطيب عند الله أو بإذن الله أنت من أصحاب الجنة ففضل الله واسع .

---

(١) رواه الإمام مسلم .
(٢) انظر مصباح السالك ص ٦٨ والفتاوى الهندية ج١ ص ١٥٧ ونهاية المحتاج ج٢ ص ٤٢٧ والمغنى ج٢ ص ٤٥٠ .
(٣) رواه الأئمة أحمد وابن ماجه وأبو داود والحاكم .

رابعاً: حضور من تُرجى بركتهم من الصالحين عند المحتضر حتى يذكرون الله عنده ويدعون له ويذكرونه بخير ؛ لأن الملائكة يؤمنون على قولهم [١] لخبر: «**إذا حضرتم المريض أو الميت ، فقولوا خيراً فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون**» [٢].

خامسا: بلّ حلق المحتضر بالماء ، وهذا باتفاق الفقهاء كأن يُندّى شفتيه بقطنة وهذا أقل شيء إذا لم يستطيعوا بلّ حلقه بالماء .

سادسا: توجيه المحتضر للقبلة - لأنه من أهل التوحيد ولأن القبلة هى أشرف الجهات ، وكيفية ذلك أن ينام على جنبه الأيمن ووجهه إلى القبلة أو ينام على ظهره ورجلاه للقبلة ويرفع رأسه عن الأرض يسيرا حتى يكون وجهه فى اتجاه القبلة ، وهذا إن استطاعوا ذلك فإن لم يستطيعوا رفع رأسه فلا حرج عليهم .

سابعا: ألا يدخل عليه شخص كان يكرهه المحتضر حتى لا يتأذى من جلوسه .

ثامنا: تغميض عينيه إذا مات ويكون ذلك من أرفق أهله به وبأسهل ما يقدر عليه ويقول فاعل ذلك: بسم الله وعلى ملة رسول الله ﷺ اللهم يسر عليه أمره وسهل عليه ما بعده وأسعده بلقائك ، واجعل ما خرج إليه خيرا مما خرج منه ، لقول النبى ﷺ: «**إذا حضرتم موتاكم فأغمضوا البصر . . .**» [٣].

وللحديث بقية بعد جلسة الاستراحة إن شاء الله تعالى .

غفر الله لى ولكم ووفقنا إلى طاعته واسألوه من فضله .

الخطبة الثانية :

الحمد لله المحيى المميت ، الحى القيوم ، وأشهد أن لا إله إلا الله الباقى بعد فناء خلقه وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله الذى قال له ربه فى عليائه: ﴿ **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ** ﴾ [٤].

---

(١) انظر حاشية الدسوقى على الشرح الكبير ج١ ص ٤١٤ .
(٢) رواه الأئمة مسلم وابن ماجه والنسائى وأبو داود .
(٣) رواه مسلم .
(٤) سورة الزمر الآية: ٣٠ .

فصلاة وسلاما وبركة عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم إلى يوم الدين ،

أما بعد ،

فيا عباد الله : نواصل الأحكام الهامة والمتعلقة بالوفاة وتجهيز الميت وما بعد ذلك والله الهادى إلى سواء السبيل .

عباد الله : تكلمنا عن آداب لابد منها للمحتضر وختمناها بإغماض عين العبد إذا مات ، وها نحن نواصل الحديث عما يستحب للإنسان إذا فارق الحياة .

أيها المؤمنون : إذا قمنا بإغماض عينيه كان علينا أن نشد لحييه بعصابة لئلا يبقى فمه مفتوحا فيدخل فيه الهوام (أى الحشرات من ذباب وغيره) وهذا يتنافى مع كرامة العبد ، وتكريم الحق تعالى له كآدمى ، كذلك عباد الله ، يستحب تليين مفاصله (والحكمة من تليين المفاصل ليسهل غسله) ، ثم نقوم بستر بدنه بثوب خفيف ويكون ذلك بعد نزع ثيابه التى مات فيها لئلا يتغير بدنه بسببها ، كما يستحب أن يوضع على شيء مرتفع كأن يوضع على سرير وهذا إن تيسر وإلا وضع فى المكان الميسور .

وقد أجمع العلماء على جواز تقبيل الميت كما فعل الصديق مع الحبيب المصطفى ﷺ ، ويستحب الإسراع بتجهيز الميت فلا داعى بأحوالنا التى نفعلها الآن ، فالميت يموت عصرا ولا ندفعه إلا ظهر اليوم الثانى بل ربما عصر اليوم الثانى ، لا يا عباد الله إن الميت ينتظر بعد موته ست ساعات فلكية فلربما كان فى غيبوبة فعلينا بعد ذلك أن نجهزه إلى الدفن ولا بأس أن ننتظر بعد الست ساعات ساعة أو ساعتين لانتظار قريب يأتى ، هذا هو اللائق بنا أن نعلمه ومن هنا قال الحبيب المصطفى لحب قلبه مولانا الإمام على : **«يا على ثلاث لا يؤخرون : الصلاة إذا آنت أى إذا وجبت ، والجنازة إذا حضرت ، والأيم إذا وجدت كفؤا»** [1] .

كذلك علينا أن نسرع بقضاء ما عليه من ديون ، ومن الديون مؤخر صداق الزوجة الذى كتبناه عند العقد فهى تستحقه فضلا على نصيبها فى الميراث ، ويلتحق بمؤخر الصداق الذهب الذى أخذه من زوجته فإنه يرد إليها جرامات كما أخذ فضلا عن

(١) أخرجه الأئمة أحمد وابن ماجه والحاكم وابن حبان .

بقية الديون التى عليه للخلق ، ومن الديون أيضا التى يجب علينا أن نقضها عن الميت : إخراج الزكاة إن لم يكن قد زكى ، وإخراج فدية صيامه إن لم يكن قد صام رمضان ولم يخرج الفدية وكفارة اليمين إن كانت عليه كفارة وكل ذلك غفلنا عنه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وكل ذلك يخرج من تركته إن كان له تركة فإن لم يكن له تركة تكفل بقضاء دينه أقرب الناس إليه أو الفضلاء من أهل الخير ، كما فعل الصحابة مع بعضهم البعض أو يسامحه ويعفو عنه صاحب الدين ، ثم نشرع بإذن الله تعالى فى واجبات الميت الخمسة : الغسل والكفن والصلاة عليه وحمله ودفنه .

فأما غسله ، فيجوز للزوجة أن تغسله ويجوز لزوجها أن يغسلها وهما أولى ببعضهما وبه قال الجمهور ، فإن لم يفعلا غسل الميت أقرب الناس إليه وأولاده ورثته فإن لم يوجد من يغسله من أهله غسله أحد الناس بشروط : أولا : أن يكون صالحاً أميناً فقيهاً بأحكام الغسل وإلا فلا يجوز له أن يغسل موتانا ، ولا يحلق شعر الميت ولا تقلم أظافره فإن فعلوا وضعوا ذلك معه فى كفنه لتدفن معه [1] . أما الكفن فلا يكون إلا من بفتة وتحرم المغالاة فيه ، ويستحب تكفين العبد فى ثيابه التى كان يصلى فيها الجمعة تبركا بها ، أما الصلاة عليه فيصل عليه أقرب الناس إليه إن كان فيهم من يحسن الصلاة عليه وإلا صلى إمام المسجد أو أهل الصلاح وعلى الأئمة خاصة والناس عامة أن يلتزموا بتسليمه واحدة على الجنازة حيث أن ذلك فعل النبى ﷺ وصحابته ، وبه قال الأئمة الثلاثة وقال أبو حنيفة يسلم على الجنازة تسليمتين ثم نحمل الميت إلى قبره والمشى أمام الجنازة هو السنة وهكذا فعل رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين وتابيعهم وبه قال الأئمة وقال أبو حنيفة المشى خلفها أفضل والأول أصح لأن المشيع للجنازة شفيع للميت عند ربه وحقه التقدم ، وعلى كل حال يجوز المشى أمامها وخلفها لكن اتباع النبى وأصحابه أولى ، فإذا ما وصلنا بالمتوفى إلى مثواه الأخير وضعنا الميت فى قبره على شقه اليمن ووجهه إلى القبلة ويقول واضعه : بسم الله وعلى ملة رسول الله ثم نلقى ثلاث حسيات من تراب نقول فى الأولى : منها خلقناكم ، وفى الثانية : وفيها نعيدكم وفى الثالثة : ومنها نخرجكم تارة أخرى فإذا سوينا عليه التراب دعونا له بخير واستغفرنا الله

---

(١) انظر شرحى الإمامان ابن ناجى وزروق ج١ ص ٢٧٠ وانظر حاشية العدوى على كفاية الطالب ج١ ص ٣٦٣ .

له ، وحبذا أن نقرأ عند رأسه بسورتى يسن والملك ويستحب تلقين الميت بعد دفنه كأن نقول له : يا فلان ابن فلانة ثلاث مرات فإن لم نعرف أمه قلنا : يا ابن حواء وبعد الثالثة نقول له : ربك الله ودينك الإسلام ونبيك هو سيدنا ومولانا محمد ﷺ .

وهذا ما استحبه الشافعية والحنابلة وطائفة من فضلاء المالكية وهو مباح عند الحنفية ولا أعلم أحدا أنكره إلا ذوى الجهل من شباب هذا العصر الذين فتنوا بذوى التعصب الأعمى فإنا لله وإنا إليه راجعون .

عباد الله ، واعلموا أن زيارة المقابر مستحبة للرجال ، والأرواح تنتظر من يزورها أيام الخميس والجمعة وصبيحة السبت ، ولا زيارة للنساء للمقابر على الإطلاق ، قال الحافظ عبد العظيم المنذرى كان النهى عن زيارة المقابر عام للرجال والنساء ، ثم رخص للرجال واستمر النهى فى حق النساء وعمل المأتم (السرادقات) المغالى فيها بدعة محرمة ولاسيما لو كان الميت فقيرا وله أولاد صغار ، والخميس الأول والثانى والثالث بدعة ضلالة ، وذكرى الأربعين والسانوية وكل ذلك من البدع الضلالة التى يجب الإقلاع عنها[1] . فاتقوا الله عباد الله ولا تبتدعوا فى دين الله فإن الابتداع ضلال مبين وعلينا أن نجلس نساءنا فى بيوتنا ونمنعهن من زيارة المقابر على الإطلاق ، ولا نمشى وراءهن فيما استحدثنه وابتدعنه من أخمسة وأربعين وسنوية ، وعلينا أن نكثر من الخير لموتانا من كثرة صيام ونوافل من الصلوات وإخراج الأموال على سبيل الصدقات مع كثرة الدعاء ، والاستغفار لعل الله يعمنا بالرحمة والمغفرة وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين اللهم أحسن ختامنا وتول أمرنا ، واستر عيوبنا وآمنا فى أوطاننا وأعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ﴿ **سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ واذكروا الله يذكركم وصلوا على الحبيب المصطفى تفلحوا .

وأقم الصلاة ،

* * * * * * * * * * *

---

(١) انظر روضة الطالبين ج١ ص ٦٥٥ وانظر شرح سيدى عبد الباقى الزرقانى ج٢ ، ص ٩٤ ، ٩٥ وانظر شرح فتح القدير ج١ ، ص ٤٤٦ .

خاتمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم وصل اللهم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وبعد ،

أخى فى الله وحبيبى فى سيدى ومولاى رسول الله . فبكتابة هذه الخطبة نهاية المطاف الموت يكون قد تم بحمد الله تعالى الجزء الأول من هذا الكتاب : نفحات من فوق المنبر ولاشك أننا بفضل الله قد قمنا باختيار أهم قضايا العصر حتى ينتفع الناس بذلك إذ أن من أهم رسالة الخطبة : معالجة أمراض المجتمع والعصر الذى نعيشه . وفى النهاية لا يسعنا إلا التضرع إلى الله عز وجل أن ينفع بهذه المجموعة المباركة والتى تضمنها هذا الجزء الأول . وأن يجعل ذلك ابتغاء وجهه سبحانه . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وكان الفراغ من تبيض هذا الجزء صبيحة يوم الخميس المبارك لثلاثة أيام بقين من ذى القعدة لعام ١٤٢٣ هجرية ، الموافق الثلاثين من يناير لعام ٢٠٠٣ ميلادية . وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الفقير إلى رحمة ربه الغفور

أبو محمد عاشور محمود أيوب

خادم الدعوة بمسجد

العارف بالله سيدى على المحلى بمدينة رشيد

* * * * * * * * * * *

تقريــــظ

بسم الله الرحمن الرحيم - وبعد تمام هذا الجزء وفانا صاحب الفضيلة : فضيلة الشيخ / عبده حسن عرب بهذا التقريظ المبارك والذى قال فيه :

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى ، والشكر له على ما أولى من نعم سابغة وأسدى ، أحمده سبحانه وهو الولى الحميد وأتوب إليه جل شأنه وهو التواب الرشيد والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد صفوة الخلق وحبيب الحق وإمام المرسلين وعلى آله وأصحابه هداة الأمة الذين حملوا لواء الشريعة بين الخافقين فاهتدى بهم الضال واستقام بهم المعوج فكانوا من السابقين الأولين ورضى الله عمن ولاهم بإحسان إلى يوم الدين . وبعد ،

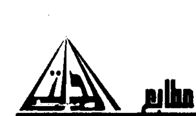
فقد وفقنى الله تعالى للاطلاع على كتاب الخطب المسمى " نفحات من فوق المنبر " لفضيلة الأستاذ الشيخ / عاشور محمود أيوب ، فوجدته قد وفق بحمد الله تعالى إلى الكتابة فى موضعات مهمة وخطب لها مكانتها مما يحتاج إليها الدعاة والمرشدون ، وقد سررت من فضيلة الشيخ حينما سلك أسلوبا لا تعقيد فيه ولا غموض معتمدا فى أدلته بالاستشهاد من كتاب الله والأحاديث الصحيحة النبوية ، والمأثور من اقوال العلماء مما يدل على علمه الغزير وشدة تعمقه فى البحث والاطلاع ، فلقد وهب حياته كلها للدعوة وعرفته المنابر خطيبا مؤثرا ، وعرفته المجالس وحلقات العلم معلماً وواعظاً . وقد حباه الله تعالى أخلاقاً عظيمة يؤثر فيك إذ تراه - أكثر مما يؤثر فيك علمه الجم ، وقد رزقه الله تعالى حبا فى قلوب عارفيه أحسبه من المخلصين ولا أزكيه على الله ، والكتاب الذى بين يديك أخى الداعية قد ألفه بعد فترة طويلة من الخبرة والمطالعة ليكون زاداً للدعاة والخطباء فى خطبهم ووعظهم وإرشادهم وأَحْسَبُ أن كل ما جاء فى الكتاب نصيحة محب لا تزوير خِبٍّ ، فدونك أيها الأخ الداعية مغتسل بارد وشراب .

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع به كل مطلع أو كل من سمعه ، وأن يجزى المؤلف بجهده المشكور خير الجزاء ، إنه سميع قريب مجيب الدعاء وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

عبده حسن على عرب
إمام وخطيب ومدرس بمسجد الرحمة
بمنشأة علوان رقم ١ (مركز رشيد / محافظة البحيرة)

الفهـــــرس

****



المنصورة ت / ٢٢٣٣٨٦٧